

شيخ أبو العباس
أحمد بن فهال الناصري

كتاب

الاستفصال

لأخبار دولة المغرب الأقصى

الدولة العلوية

الجزء السابع

تحقيقه وتعليقه

الأساتذة

جعفر الناصري و محمد الناصري

دار الكتاب

التاريخيضاو

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لدار الكتاب

ساحة المسجد الحمدي

الدار البيضاء

1418هـ / 1997م

رقم الإيداع القانوني والرقمي

1399/96

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدولة العلوية

الخبر عن دولة الأشراف السجلاماسين من آل علي الشريف وذكر نسبهم وأولياتهم

اعلم أن نسب هذه الدولة الشريفة العلوية من أصل الأنساب، وسببها المتصل برسول الله ﷺ من أمتنا الأسباب، وأول ملوكها كما سيراني هو المولى محمد بن الشريف بن علي الشريفي المراكشي بن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريفي السجلامي ابن الحسن بن محمد بن حسن الداخل ابن قاسم بن محمد بن أبي القاسم بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، هكذا ذكر هذا النسب، الذي هو حقيق بأن يسمى سلسلة الذهب، جماعة من العلماء كالشيخ أبي العباس أحمد بن أبي القاسم الصومعي، والشيخ أبي عبد الله محمد العربي بن يوسف الفاسي، والعلامة الشريف أبي محمد عبد السلام القادي في كتابه: «الدر السندي فيما يقال من النسب الحسني» وغيرهم.

وقد تقدم في أخبار السعديين أن الصواب أن يزداد في عمود هذا النسب الشريف بعد قاسم الآخر ما نصه: ابن الحسن بن محمد بن عبد الله الأشتر بن محمد النفس الزكية إلى آخر ما مر.

قال أبو عبد الله الفاسي في المرأة: «إن الشرفاء الذين لا يشك في

شرفهم بالمغرب كثيرون كالجوطيين من الحسينيين الإدريسيين، وكشرفاء تافيلالت من الحسينيين أيضاً المحمديين، وكالصقليين والعرائقيين وكلاهما من الحسينيين بالياء الساكنة بين السين والتون، فإن شرف جميعهم لا يختلف فيه الثنان من أهل بلادهم ومن يعرفهم من غيرهم» اهـ.

وعن شيخ الجماعة الإمام أبي محمد عبد القادر الفاسي رحمه الله أنه قسم شرفاء المغرب بحسب القوة والضعف إلى خمسة أقسام وممثل للقسم الأول المتفق على صحته بأصناف منهم: هؤلاء السادة السجلماسيون. وقال الشيخ أبو علي البوسي رحمه الله: «شرف السادة السجلماسيين مقطوع بصحته كالشمس الضاحية في رابعة النهار». وعن الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الله بن معن الأندلسي أنه كان يقول: «ما ولني المغرب بعد الأدارسة أصبح نسباً من شرفاء تافيلالت».

وبالجملة فإن شرف هؤلاء السادة السجلماسيين مما لا نزاع في صراحته، ولا خلاف في صحته عند أهل المغرب قاطبة بحيث جاوز حد التواتر بمرات رضي الله عنهم وفعينا بهم وبآسلافهم آمين.

دخول المولى حسن بن قاسم إلى المغرب واستبطانه بسجلماسة والسبب في ذلك

قالوا: إن أصل سلف هؤلاء السادة رضي الله عنهم من ينبع التخل من أرض الحجاز. قالوا: وكان رسول الله ﷺ قد أقطع جدهم علي بن أبي طالب أرض ينبع فاستقرت ذريته به وتناسلت إلى هذا العهد، وكان أول من دخل منهم المغرب المولى حسن بن قاسم، فحكي عن الفقيه العالم أبي عبد الله محمد بن سعيد المرغبي صاحب الرجز المسمى: بالمقنع قال: «أخبرني الشيخ الإمام المولى أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني أن جده الداخل إلى المغرب هو المولى حسن بن قاسم قال: «وكان دخوله

إليه في أواخر المائة السابعة وكان يومئذ من أبناء الستين ونحو ذلك وتوفي رحمة الله قبل انتفاضة المائة المذكورة» اهـ.

وخبر ابن طاهر هذا هو أصح ما ينقل في كيفية الدخول ووقته. وذكر بعضهم عنه أن دخوله كان سنة أربع وستين وستمائة. وقال الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن هلال: أن دخوله كان في أوائل الدولة المرinية، ذكر ذلك في منسكه فعلى هذا يكون دخوله في دولة السلطان يعقوب بن عبد الحق المرini، وقد أشرنا إلى ذلك في محله فيما سلف. وقال العلامة أبو سالم العياشي في رحلته: «إن المولى حسن بن قاسم دخل المغرب في المائة السابعة وكان سكانه من بنين التخل بمدشر يعرف بمدشربني إبراهيم. فهو لاء كلهم انفقوا على أن الدخول كان في المائة السابعة وهو الصحيح الصواب إن شاء الله. وزعم بعضهم أن ذلك كان في المائة السادسة وهو بعيد».

واختلفوا في السبب الداعي إلى دخول هذا السيد إلى المغرب. فذكر صاحب كتاب، «الأثار السننية فيما بسجلماسة من النسبة الحسينية» أن سبب دخوله أن ركب العجاج المغربي كان يتواجد على الأشراف هناك وكان شيخ الركب في بعض الخدمات رجلاً من أهل سجلماسة يظن أنه السيد أبو إبراهيم، فلما حجج اجتمع بالموسم بالسيد حسن المذكور، وكانت سجلماسة وأعمالها يومئذ شاغرة من سكنا الأشراف فلم يزل أبو إبراهيم يحسن للمولى حسن موطن المغرب والسكنى بسجلماسة حتى استماله فأجمع السير مع الركب، وقدم به أبو إبراهيم فاستوطن بيدهم سجلماسة. وقال حافظه المولى أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر فيما قيد عنه: «وكان الذين آتوا به من أهل سجلماسة أولاد البشير وأولاد المتراري وأولاد المعتصم وأولاد ابن عاقلة وصاهره منهم أولاد المتراري» اهـ.

وذكر صاحب الأرجوزة: أن الشيخ أبي إبراهيم الذي جاء به من ذرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقال بعضهم: إن أهل سجلماسة لم تكن

تصلح الشمار ببلدهم فذهبوا إلى الحجاز يقصد أن يأتوا برجل من أهل البيت تبركاً به فأتوا بالمولى حسن المذكور فتحقق الله رجاءهم وأصلاح ثمارهم حتى عادت بلادهم هي هجر المغرب. وقال غيره: إن سبب إتيانهم به أن الأشراف من آل إدريس وضي الله عنه كانوا قد تفرقوا ببلاد المغرب وانتشر نظامهم واستولى عليهم القتل والصغار من أمراء مكناسة وغيرهم فقل الشرف بال المغرب وأنكره كثير من أهله حقناً لدمائهم، فلما طلع نجم الدولة المربيبة بال المغرب أكيراً الأشراف ورفعوا أقدارهم واحترموهم، ولم يكن ببلد سجلماسة أحد من آل البيت الكريم فأجمع رأي كبرائهم وأعيانهم أن يأتوا بمن يتبركون به من أهل ذلك النسب الشريف فقيل: إن الذهب يطلب من معدنه، والياقوت يجلب من موطنه، إن بلاد الحجاز هي مقر الأشراف، ولذلك الجوهر النفيس من أجل الأصداف، فذهبوا إلى الحجاز وجاؤوا بالمولى حسن على ما ذكرنا فأشرقت شمس البيت التبوi على سجلماسة وأضاءت أرجاؤها، وظللتها من الشجرة الطيبة ظلالها وأنياؤها، حتى قيل: إن مقبرة أهل سجلماسة هي بقيع المغرب وكفافها هذا شرفاً وفخراً ومزية وذخراً، وذكر بعضهم: أن أهل سجلماسة لما طلبوا من المولى قاسم بن محمد أن يبعث معهم أحد أولاده وكان يومئذ أكبر شرفاء الحجاز ديانة ووجهة اختبر من أولاده من يصلح لذلك، وكان له على ما قيل ثمانية من الولد، فكان يسأل الواحد منهم بعد الواحد ويقول له: «من فعل معك الخير مما تفعل معه أنت؟» فيقول: «الخير» «ومن فعل معك الشر؟» فيقول: «الشر» فيقول: «اجلس» إلى أن انتهى إلى المولى حسن الداخل فقال له كما قال لإخوته فقال: «من فعل معي الشر أفعل معه الخير» قال: «فيعود ذلك بالشر» قال: «فأعود له بالخير إلى أن يغلب خيري على شره» فاستثار وجه المولى قاسم ودخلته أريحية هاشمية ودعا له بالبركة فيه وفي عقبه فأجاب الله دعوته.

وكان المولى حسن الداخل رجلاً صالحًا ناسكاً له مشاركة في العلوم خصوصاً علم البيان فإنه كانت له فيه اليد الطولى، ولما استقر بسجلماسة

واطمأنت به الدار زوجه الشيخ أبو إبراهيم ابنته وسكن على ما قبل بموضع يقال له: المصلح، ولما توفي نازع أهل سجلماسة في موضع دفنه حتى كادت نار الحرب تشب بينهم فأجمع رأيهم أن يدفنوه بمحل وسط هم فيه سواء، فمسحوا أرض سجلماسة بالجبال وقسموها أرباعاً ودفونه بمكان سوي يتوسط جميع النواحي، ولم يحفظ تاريخ وفاته، وما استنبطه اليفرني في ذلك فمبني على غير أساس. والله تعالى أعلم.

ذكر ذرية المولى حسن بن قاسم وتناسلها بال المغرب والإسلام بشيء من مناقب المولى علي الشريف

لما توفي المولى حسن بن قاسم رحمه الله لم يخلف إلا ولداً واحداً، وهو المولى محمد، ثم خلف المولى محمد هذا ولداً واحداً أيضاً، وهو المولى الحسن يسمى باسم جده، وهو المدقون حول المدينة الكبيرى يازاه الشيخ أبي عبد الله الخراز من أرض سجلماسة، وخلف المولى الحسن المذكور ولدين. أحدهما: المولى عبد الرحمن المكنى بأبي البركات، وهو أكبرهما، ومن ذريته أولاد أبي حميد بالتصغير القاطنون بوادي الرتب بالقصر الجديد على مرحلة من سجلماسة. ومنهم أيضاً الشرفاء النازلون ببني زروال، وثانيهما: المولى علي المعروف بالشريف ومنه تفرعت فروع المسلمين وتکاثرت وكان رحمة الله رجلاً صالحًا مجاب الدعوة كثير الأوقاف والصدقات حاجاً مجاهداً ذا همة سنية وأحوال مرضية.

رحل في بعض الأوقات إلى فاس واستوطنها مدة طويلة. وكان سكناه منها بالحومة المعروفة بجزاء ابن عامر من عدوة القرقوين، وترك هنالك داراً ثم أقام مدة بقرية صفرو خلف بها عقاراً وأثاراً هي بها إلى الآن، وأقام مدة أخرى ببلد جرس التي على مرحلتين ونصف من سجلماسة، وترك بها مثل ذلك. ودخل عدوة الأندلس برسم الجهاد مراراً وأقام بها مدة طويلة ثم عاد إلى سجلماسة، فكتبه أهل الأندلس يطلبون منه العود إليهم ويحضونه على

الاعتناء بأمور الجهاد، ويشكون إليه ضعف أهل الأندلس عن مقاومة العدو، وأنها شاغرة ممن تجتمع عليه القلوب، وقد كانوا راودوه، وهو مقيم عندهم، على أن يبأيدهم ويملكوه عليهم والتزموا له الطاعة والنصرة فرغم عن ذلك ورعاً وزهداً وعزوفاً عن الدنيا وزهراتها، قال اليفرني رحمة الله: وقد وقفت على رسائل عديدة بعث بها إليه علماء غرناطة يحضونه على الجواز إليهم واستئثار المجاهدين إلى حماية بيضتهم ويدركون له أن كافة أهل غرناطة من علمائها وصلحائتها ورؤسائها قد وظفوا على أنفسهم من خالص أموالهم دون توظيف سلطان عليهم أموالاً كثيرة برسم الغزاة الذين يردون معه من المغرب، وحلوه في بعض تلك الرسائل بما نصه: «إلى الهمام الضرغام قطب دائرة فرسان الإسلام الشجاع المقدام، الهصور الفاتك، الوقور الناصك، طليعة جيش الجهاد، وعين أعيان الأنجاد، المؤيد بالفتح في هذه البلاد، المسارع إلى مرضاة رب العباد، مولانا أبي الحسن علي الشريف» اهـ. نص التحلية. وكتبوا مع ذلك إلى علماء فاس يلتسمون منهم أن يحضروا المولى علينا على العبور إلى العدو فكتب إليه أعلام فاس بمثل ذلك وحثوه على المسارعة إلى إغاثتهم، وذكروا له فضل الجهاد وأنه من أفضل أعمال البر، وكان من موجبات تخلفه عن إغاثة أهل غرناطة أنه كان قد عزم على الذهاب إلى الحج فقللوا له في بعض تلك الرسائل: وعواضوا هذه الوجهة الحججية التي أجمع رأيكم عليها، وتتوفر عزّمكم لديها بالعبور إلى الجهاد فإن الجهاد، أصلحكم الله في حق أهل المغرب، أفضل من الحج كما أفتى به الإمام ابن رشد رحمة الله حين سئل عن ذلك، وقد بسط الكلام عليه في أجوبته ووجه ما ذهب إليه من ذلك اهـ. وكان منمن كتب إليه من علماء غرناطة جماعة منهم: الفقيه أبو عبد الله محمد بن سراج شيخ المواقف وقاضي الجماعة بها. ومن شيوخ فاس الذين كتبوا إليه: الفقيه أبو عبد الله العكرمي شيخ شيوخ الإمام ابن غازي، وأبو العباس أحمد بن محمد بن مواس، وأبو زيد عبد الرحمن الرقعي صاحب الرجز المشهور وغيرهم.

ومما ضمنه أهل الأندلس في رسائلهم القصيدة الآتية في مدح المولى على وصاحبه الفاضل أبي عبد الله محمد بن إبراهيم العمري وحثهما على إجابتهم وهي من إنشاء الفقيه أبي فارس بن الريبع الغرناطي يقول فيها:

أيا راكباً يطوي المفاوز والقفراء
ترحل وجد السير يوماً وليلة
تحمل رعاك الله مني إلى الحما
وأم ديار الحي من سجل ماسة
 وسلم على تلك الديار وأهلها
فعندي لهم حب جرى في مفاصلني
فتلك بقاع الدين والخير والهدى
هم القوم لا يشقى بهم جلساؤهم
وقل يا أهيل القبلة السادة الأولى
وخصص سليل الهاشمي ابن صهره
أبا الحسن المولى الشريف الذي به
وا لاحت بأفاق القلوب عجائب
هو الصقر مهما اهتز كل مجلجل
هو الغوث إن دارت رحى الحرب للقا
أغار على الأعلام فاجتاح جمعهم
بطنجة قد طاب الممات لزمرة
دعاهما بأقصى السوس قوم فأسر جوا
فهبت ركاب القوم والشمس أشرقت
ولا عجب أن الأولى هو منهم
أجر جارك اللھفان من غمراته
وناد أبا عبد الإله خليلكم
سليل أبي إسحاق أكرم به أبا
أليس الذي لبى نداء أهل طنجة

رشدت ولقيت السلامه والخيرا
واسفر تجدها في مطالعها زهرا
تحية مشتاق تهيجه الذكرا
فتلك ديار تجمع العز والفخرا
سلام محب لم يطق عنهم صبرا
ومازج مني العظم والدم والشاعرا
فكם من تقى في سماها سما بدرها
يضوع عبر الزهر من بينهم نشرا
إذا ما دعوا في حادث أسرعوا النفرا
علي الذي يعلو على زحل قدرا
على الغرب شمس التصر طبت الصحرا
بها سلب الألباب تحسيها سحرا
هزير إذا ما انشب الناب والظفرا
وغيث إذا ما العزن ما أرسلت قطرها
وجد لهم قتلاً وشددهم أسرا
بنصرتها ترجو من الملك الأجراء
من الصافنات الجرد لم يأخذوا الحذرا
وأرهق جيش الله أعداءه خسرا
ليوث الشرى قد أوسعوا مرحباً شرا
أبا حسن وانصر جزيرتك الخضرا
به تجلب السراء في حادث الضرا
لقد خلف الفرع الزكي الرضي البرا
وجمع أهل الغرب من حيث طرا

فمن لم يمتن بالسيف مات له ذعرا
 وأرهق وجه الكفر من حزن فترا
 وجحات عذن في المعاد له ذخرا
 شعاراً وسامي في منازلها الشعرا
 لأندلس يرجو بطلعتكم نصرا
 وبالراية البيضاء كي تنصر الحمرا
 كثيرون والطفل والكاعب العنرا
 رجالاً وفرساناً غطارة غرا
 كريم ياري الغيث والسبيل والبحرا
 وتشيع من قتلامن الوحش والطيرا
 وإهلاكم في لربنا الحرج والثمرا
 تناذلكما غوثاً لخطب أئمأ امرا
 وشيخ بها أربى على مائة عشررا
 وصبية مهد لا تتع النفع والضرا
 ومسجد دين للصلة وللإقرأ
 تصدر يملي ما يضيء لنا الصدرا
 وكل ولبي أشعثت لابس طمرا
 فقد كاد أن يستأصل الكفر ذا البرا
 أجيرانا من كيد من أضرم الجوزرا
 ليبيصر هذا الفتشر مثلكم كبروا
 عن المصطفى في العزو من خبر خبرا
 قتلت فأحيى ثم أقتل مذمرا
 كثمن الفحوى في الصحو سفرة غرا
 يضوع شنى تهلي لمعناكمما عطرا
 من أندلس للغرب قد عبروا البحرا
 أحاطت بها اليساه واشتئت الضرا
 وأوقع بالكافار أي وقيعة
 وأصبح ثغر الدين أشنب باسماً
 ونال من الله السعادة والرضى
 وقل أيها العدل الذي اتخذ التقى
 أرى كل ما في الغرب أصبح قانطاً
 وغرنطة الغراء نادتكما أقبلا
 فساكنها وقف عليكم رجاؤه
 فجتنا بمن في أرضكم حامي لهم
 حماة أباء الضيم من كل ماجد
 فدونكم الكافار تعني طغاتها
 لقد طمع الكفار ملك رقابنا
 منازلنا من كل حصن وقرية
 فكم من ضعيف لا حراك بجسمه
 وبيبض وسمير من أوانس كالدمى
 ومنبر جمع للخطابة والدعا
 وكرسي علم مقعد لمذهب
 وأجداث أبناء الصحابة فوتها
 تناذلكما غوثاً من الله سرعة
 فتحوا لنا بالسير بعداً وقرية
 وعزم بأخرى مثل تلك التي مضت
 وأنتم بحمد الله تدرون ما أنتى
 فللله ما أنسى وددت لو أنتى
 وما في كتاب الله من آية أنت
 خذاها بحمد الله عذراً جبيناها
 وتبلغ عني للكرام تحية
 فعوناً رجال الله عوناً لعدوة .

فأنتم لنا الجناد القوي ونحوكم تشووفنا فاستجلوا نحونا السيرا
ونشئي على خير البرية ذي الهدى محمد المبعوث بالملة البسرا
وآل وصحب ثم تال لنهجهم ومن لذوي الإسلام قد قصد النصرا
وبهذه الرسائل العذبة الألفاظ المستوقفة الألحاظ يعلم أن المولى علينا
الشريف رحمة الله كان مشهوراً في عصره، متقدماً على كافة أهل مصره،
وأنه كان ملحوظاً بالإجلال عندهم والإكبار، وأن هذه الدار العالية البناء
والأسوار معظمها من لدن قديم، مشهود لها بالخير والتقديم، وأظن أن وقعة
طنجة المشار إليها في هذه القصيدة هي وقعة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة،
وقد تقدمت الإشارة إليها في محلها.

وقد كان للمولى علي المذكور جهاد في ناحية أكدرج من بلاد السودان
ورزق الظفر والفتح كما ذكره مبسوطاً في «التزهه» فلينظر هناك.

وذكر صاحب كتاب الأنوار السنية أن المولى علينا مكت أربع عشرة سنة
لا يولد له ثم ولد له بعد ذلك ولدان: أحدهما: المولى محمد بفتح الميم،
والثاني: أبو المحاسن يوسف وهو أصغرهما، أما المولى محمد فخلف أربعة
أولاد وهم: السيد الحسن والسيد عبد الله والسيد علي والسيد قاسم وهم
على هذا الترتيب في السن، ويقال لسائرهم: أولاد محمد نسبة إلى هذا الجد
وفروعهم كثيرة يطول تبعها. وأما المولى يوسف فإنه ولد زاوية أبيه وأجمع
الناس على أنه المتأهل لها دون غيره لرذانته ووفر عقله فتولاها بعد نزاع
ورسم توليته لها لم يزل موجوداً عند بعض حفته. وكان ذلك كله في دولة
بني مرین.

وقال صاحب كتاب الأنوار: وقد قيل: إنه لم يكن له ولد حتى بلغ
ثانية عشرة فولد له تسعه من الولد خمسة منهم أشقاء، وأمهم حليمة من ذرية
بعض المرابطين بسجلماسة، وهو السيد علي وهو جد الملوك أبقى الله
فضلهم، والسيد أحمد، والسيد عبد الواحد، والسيد الطيب، والسيد عبد

الواحد المكنى : بأبي الغيث جد الأشراف البلغشيين ، وإنما كني بذلك لكثره ما نزل من الغيث عند ولادته ، وكان الناس قبله في جدب شديد . وهم على هذا الترتيب في السن . وأربعة أشقاء أمهم ظاهرة من ذرية بعض المرابطين أيضاً وهم : السيد الحسن بالتكبير والسيد الحسين بالتصغير والسيد عبد الرحمن والسيد محمد ، ومن منازل هؤلاء الأشقاء اليوم الموضع المعروف بأخرين .

وتفصيل أنساب هؤلاء الأولاد الشمانيه يطول فلنقتصر على ذكر المولى علي المنشي لأنه الغرض المقصود فنقول : ولد للمولى علي المذكور ثلاثة من الولد وهم : السيد محمد والسيد محرز والسيد هاشم جد الأشراف المرانين أهل زاوية المرانى . وكلهم قد عقبوا فأاما المولى محمد فولد له المولى علي الشريف المراكشي وهو المثلث مع عدة أولاد سواه ، والمولى علي هو جد الملوك أيضاً وتوفي بمراكش وبنى عليه حافظه أمير المؤمنين المولى الرشيد قبلة بدعة تلقاء ضريح القاضي عياض رحمه الله . وولد للمولى علي الشريف المذكور تسعة من الولد ، المولى الشريف اسماء وكانت ولادته سنة سبع وتسعين وتسعمائة وهو جد الملوك . والمولى الحفيد ، والمولى حجاج والمولى محرز والمولى حرون والمولى فضيل والمولى أبو زكرياء والمولى مبارك والمولى سعيد ، فهو لاء هم أولاد المولى علي الشريف ، وكان المولى الشريف أفضلهم وأشرفهم وله رحمه الله عدة أولاد كلهم نجوم زاهرة ذوو همم باهرة ، منهم المولى محمد بفتح العين وهو أكبرهم والمولى الرشيد والمولى إسماعيل ، وهؤلاء الثلاثة ولوا الأمر بالمغرب على هذا الترتيب ومنهم : المولى الحران وسيأتي ، والمولى محرز والمولى يوسف والمولى أحمد والمولى الكبير والمولى حمادة والمولى عباس والمولى سعيد والمولى هاشم والمولى علي والمولى مهدي وهو شقيق إسماعيل من بينهم . هذا ما تيسر ذكره من نسب هذه الدولة الشريفة ، ذات الظلال الوريفة ، وبياهه التوفيق .

الخبر عن رياضة المولى الشرييف بن علي وما دار بينه وبين أبي حسون السملالي المعروف بأبي دميعة

قد قدمنا أن ظهور أبي حسون السملالي كان في أيام السلطان زيدان بن المنصور السعدي وأنه استولى على القطر السوسي أولاً ثم تناول درعة وسجلماسة ثانياً، قالوا: وكان استيلاؤه على سجلماسة سنة إحدى وأربعين وألف باستدعاء المولى الشرييف بن علي له واستصراخه إياه على بني الزبير أهل حصن تابوعصامت أعدائه، كذا في البستان، فقدمها أبو حسون واستولى عليها وولى عليها عاماً من قبله ورجع إلى مقره من أرض السوس.

وقال اليفرنى في «التزهه» كان أبو الأملأك المولى الشرييف بن علي وجيئاً عند أهل سجلماسة وسائر المغرب يقصدونه في المهمات ويستشفعون به في الأزمات، ويهربون إليه فيما جل وقل، قال: وكان قد من ذات يوم وهو صبي، على الإمام المولى أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني فسأل عنه إذ لم يكن يعرفه قبل ذلك، فقيل له: هو ابن المولى علي الشرييف ففرح به أبو محمد ومسح على ظهره وقال: ماذا يخرج من هذا الظهر من الملوك والسلطانين، فعلم الناس أن ذلك كائن لا محالة لما يعلمون من صحة كشف أبي محمد وصدق فراسته، فكان المولى الشرييف بعد أن كبر وولد له الأولاد يشيع أن هذا الأمر لا بد أن يصير إلى بيته ويكون لهم شأن عظيم اعتماداً على فراسة أبي محمد بن طاهر رحمة الله.

ثم كان بين المولى الشرييف المذكور وبين أهل تابوعصامت، وهي حصن متبع من حصون سجلماسة، عداوة تامة، فاستصرخ عليهم أبي حسون السملالي صاحب السوس لصداقه كانت بينهما، واستصرخ أهل تابوعصامت أهل زاوية الدلاء، فأغاث كل منهما من استصراخه، والتقوى العسكريان معاً بسجلماسة لكنهما انفصلا على غير قتال حقناً لدماء المسلمين، وكان ذلك سنة ثلاثة وأربعين ألف، ولما رأى أهل تابوعصامت ما بين المولى

الشريف وأبي حسون من الصداقة والوصلة مالوا بكليتهم إلى أبي حسون وخدموه بأنفسهم وأولادهم وأظهروا له النصح وصدق المعجبة طمعاً في استفساده على المولى الشريف إذ كان ظاهراً عليهم به، فلم يزالوا يسعون في ذلك إلى أن أظلم الجو بينهما واستحكمت العداوة وتوفرت دواعيها، ولما رأى ابنه المولى محمد بن الشريف ذلك اهتب الغرة في أهل تابوعصامت، وخرج ليلاً في نحو مائتين من الخيل مظهراً أنه قاصد لبعض التواхи ثم كبسهم على حين غفلة وتسور عليهم حصنهم فما راع أهل تابوعصامت إلا المولى محمد في جماعة قد وضعوا السيف فيهم وحكموا في رقابهم، فلم يكن عندهم دفاع، واستمكنت بهم واستولى على ذخائرهم، وشفى صدر أبيه مما كان يجده عليهم. ولما انتهى الخبر بذلك إلى أبي حسون حمى أنفه واشتد غضبه، وكتب إلى عامله بسجلماسة، وأسمه أبو بكر، يأمره أن يحتال على المولى الشريف حتى يقبض عليه ويبعث إليه به حبيساً، فامتنع أمره وتقبض على المولى الشريف غدرًا بأن تمارض ثم استدعاه لعيادته والتبرك به، ثم قبض عليه وبعث به إلى السوس فاعتقله أبو حسون في قلعة هنالك مدة إلى أن افتكه ولده المولى محمد بمال جزيل، وعاد المولى الشريف إلى سجلماسة في خير طريل وكان ذلك كله في حدود سنة سبع وأربعين وألف.

قال في البستان: وأعطي أبو حسون المولى الشريف وهو محتجل عنده جارية مولدة من سبي المغافرة كانت تخدمه قال: «وهي أم المولى إسماعيل وأخي المولى مهدي» أهـ.

ولست أدرى ما مراده بهذا، فإن كانت الجارية نسبية في المغافرة فهي حرمة فيكون المولى الشريف قد وطئها بعدد النكاح وهذا هو الذي يغلب على الظن بدليل أن السلطان الأعظم المولى إسماعيل رحمه الله لما عزم على جمع جيش الودايا قال لهم: «أنتم أخوالى» إشارة إلى هذا الصهر كما سيأتي. وإن كانت مملوكة لهم ثم صارت إلى أبي حسون فالوطء حيثئذ كان

بملك اليمين. والله تعالى أعلم. وصاحب «البستان» كثيراً ما يجازف في النقل ويتساهل فيه فلا ينفي أن يعتمد على ما ينفرد به من ذلك وبالله التوفيق.

للخبر عن إمارة المولى محمد بن الشريف وبيعته بسجلماة والسبب في ذلك

لما قبض أبي حسون على المولى الشريف وسجنه عنده كان ولده المولى محمد «فتح العيم» مجمعاً على إهلاك من بقي من أهل تابو عاصمت واستصال شأفتهم، وكان قد تقوى عضله بعض الشيء بما أخذ من أمرائهم في الوعنة السالفة فانخدع بعد تغريب أبيه إلى السوس جيشاً لا يأس به، وانضم إليه جمع من أهل سجلماة وأعمالها، وذلك سنة خمس وأربعين وألف. وكان أصحاب أبي حسون قد أساوا السيرة بسجلماة ونصبوا حالة الطمع في الناس حتى ملتهم القلوب وزرعوا بغض الملكة السوسية في قلوب الخاصة والعامة، ومن عسفهم أنهم كانوا قد ضربوا الخراج بسجلماة وأعمالها على كل شيء حتى على من يجلونه في الشمس زمن الشتاء! وفي الظل زمن الصيف! وضيقوا على الناس حتى ازدرتهم العيون وملتهم التقوس، فلما قام المولى محمد واجتمع عليه من ذكرناه آنفأ دعاهم إلى الإيقاع بأهل السوس فأجايده، ووجد فيهم داعية لذلك، فاعصوصبوا عليه وصرفوا عزمه إلى محظوظة أبي حسون من بلادهم، فشاروا بعمالة للحرين وأخرجوهم عنها صاغرين بعد قتال شديد، ثم أجمع رأيهم على بيعة المولى محمد قبایعوه سنة خمسين ألف في حياة أبيه ووافق على بيعته أهل الحل والعقد بسجلماة فاستتب أمره واستحكمت بيعته ووافقه المقدر، وساعدته السعد واتّح من ملك المغرب بابه، وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه.

استيلاء المولى محمد بن الشريف على درعة وطرده أبا حسون السملالي عنها

لما تمت البيعة للمولى محمد بن الشريف وجمع الله سبحانه شمله بأبيه كما من شمر ل مضائقه أبي حسون السملالي وأهل السوس ببلاد درعة إذ كانت تحت ولايته كما قلنا فنهض إليه في جمع كثيف، ووقيت بينهما حروب فظيعة يشيب لها الوليد، ثم انقض سحاب تلك الفتنة عن انتصار المولى محمد وأنهزام أبي حسون وفراره إلى مسقط رأسه من أرض السوس فاستولى المولى محمد على درعة وأعمالها، واتسعت إمارته وتوفرت جموعه وعظمت جيائمه وطار في بلاد المغرب صيته وكان من أمره ما نذكره.

وقعة القاعة بين المولى محمد بن الشريف وأهل زاوية الدلاء وما نشا عنها

لما صفا للمولى محمد بن الشريف قطر سجلماسة ودرعة حدثه نفسه بالاستيلاء على الغرب إذ هو يومئذ مقر الرئاسة ومتبوا الخلافة فما دام لم يحصل عليه استيلاء فالملك عرضة للزوال، وصاحب ناسخ على غير منوال وكان الرئيس أبو عبد الله محمد الحاج الدلائي يومئذ مستولياً على فاس ومكناسة وأعمالهما وامتدت ولايته بعد مهلك أبي عبد الله العيashi إلى سلا وأعمالها، فلما ظهر المولى محمد بالصحراء واستفحَل أمره وقويت شوكته خاف محمد الحاج منه الوثوب على فاس فعاجله بالحرب وعبر إليه نهر ملوية وكان الدلائي أشد قوة من الشريف وأكثر جمعاً، فضايقه بإقليل الصحراء وقصد سجلماسة مراراً، وكانت بينهما أثناء ذلك وقعة القاعة ضحى يوم السبت الثاني عشر من ربيع النبوي سنة ست وخمسين ألف، فكانت الهزيمة فيها على الشريف، وتقدم الدلائي إلى سجلماسة فافتتحها. واستولى عليها، وفعلت البرير فيها الأفاعيل العظيمة.

ثم انبرم الصلح بينهما على أن ما حازت الصحراء إلى جبل بني عياش فهو للمولى محمد، وما دون ذلك إلى ناحية الغرب فهو لأهل الدلاء، ثم استثنى أهل الدلاء خمسة مواضع آخر كانت في إيالة المولى محمد فجعلوها لهم وهي: الشيخ مغفر في أولاد عيسى، والسيد الطيب في قصر السوق، وأحمد بن علي في قصر بني عثمان، وقصر حليمة في وطن غريس، وأسرير في فركلة، فهذه الأماكن الخمسة شرطوا على المولى محمد أن لا يحرك لهم منها ساكناً.

وانبرم الصلح على ذلك ورجع أهل الدلاء في جموعهم بما كان غير بعيد حتى اطلع المولى محمد على ما أوجب الفتك بالشيخ مغفر وبعض من شرطوا عليه بقاءه ففك بهم واصطلهم نعمتهم، فبلغ ذلك أهل الدلاء فجمعوا جموعهم ونهضوا إلى سجلmasة عازمين على استتصال المولى محمد وشييعته، وأن لا يدعوا له قليلاً ولا كثيراً. وكتبوا إليه كتاباً يتهددونه فيه. ورموه بالغدر، وأنه ناكت ومقسم حانت، وأغلظوا له في الكلام، وأفحشوا عليه في الملام.

فأجابهم المولى محمد برسالة يقول فيها: «إلى السيد محمد الملقب بالحاج ابن السيد محمد بن أبي بكر بن سيري الوجاري الزموري ومن شمله رداء الديوان، من الأبناء والإخوان، سلام على جلهم سلام استحباب وسنة، فقد كتبنا إليكم من سجلmasة، كتب الله لها من شركم أفعى التمام، وألبسها من الظفر بكم أرفع العمائم، وبعد السلام، فإن نيران هذه الفتنة التي أضرمتها بعد خموتها لست لها بأهل إذ لم يعرفكم أهل المغرب إلا بإطعام قصاع العصائد، وهو جو بعضكم لبعض بما لا يسمع من بشيع القصائد، أما العلوم فقد أقررنا لكم فيها إنصافاً بالتسليم، لو قصدتم بها العمل وأجر التعليم، وايم الله لشن نظم فيما الديان، يوماً من الدهر شمل الديوان، لتعاينن أنت أو بنوك ما يحبه لنا البنون والإخوان، ولقد حدث

السادة أهل البصيرة، أن ستدور عليكم منا الدائرة المبيرة، أتطعمون في التجاة بعد ترويعكم الشرفاء والشريفات والعابدين والعابدات؟ فشمروا إن شئتم عن ساعد الجد للصلح، واغتنموا السلم ما دام يساعدكم وقت النجح، فإن الحرب نار، والتخلف عنها بعد إيقادها شثار، والله يعلم أن هذه المراودة ليست بجزع ولا وجع لكم، وما نسبهكم عند الهراش إلا بما يطيش حول المصايبع من الفراش، بل المراد الأكيد نشر رداء التبرى ليلاً تجأرون متى أنشبنا فيكم مخالب التجري، وما قدفتم به أغراضنا من خسة القدر، وأننا قساة لا نصغي لقبول العذر، فأقامت تنهون عن الفحشاء، وقد ملأتم منها الأجشاء، وإن زجرتم عنها قلتكم: كلاً وحاشاً لكم من نفع نسلاً نسب إليه، ومن خاف من شيء يسلط عليه وأما ما احتوى عليه بساط الغرب ما بين بريز وعرب فقد طمعنا من الله كونه في القبضة، عندما تمكنت إليه النهضة، إن لم أكن بالذات والديوان فبالآباء والإخوان، كعوايد الدول، يشيد الأخير منها ما أسمه الأول، وانتظر ما يكون لخاطركم به اطمئنان فنساعدكم عليه الآن، فله دره من دغوغى أشاع عارك بأبيات أنشدناها مولاي محمد بن مبارك:

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| واعلم بأنك من دجاجل مغرب | فبعيسى صولة نصره ستموت |
| أنتم عكاكر خلفتكم عامر | وأبو يسير جدكم جالوت |
| شبانكم مرد وكل كهولكم | قرنان صنعة شيخكم ديوبث |
| ضجرت لدولتكم سموات العلي | واستقلتها الأرض والبهوت |

وما أنت في الحقيقة إلا قرد من القرود، والقراد اللاحق في كل كلب مجرود، وما حرصتم به من الصلح بين الملوك مكيلة فقد سبقكم بها السلطان أبو حمو رحمة الله وحتى الآن رغبتكم في الخير فهو مطلبي ومنفطيس طبي، وإن عشقتم الغير فجوبي لكم قول المتنبي:

ولا كتب إلا المشرفية والقنا ولا رسول إلا الخميس العرم

استيلاء المولى محمد بن الشريف على فاس ثم رجوعه عنها

كان محمد الحاج الدلاني مستولياً على فاس بعد سيدي محمد العيashi كما قلنا، وكان أهل فاس يمرضون في طاعته تارة ويستقيمون أخرى، فولى عليهم قائده أبي بكر الثاملي وأنزله بدار الإمارة من فاس الجديد، فاتفق أن وقعت بيته وبين أهل فاس القديم حرب فحاصرهم وقطع عنهم الماء، فكتب أهل فاس إلى المولى محمد بن الشريف يستنصرخونه ويضمنون له الطاعة والنصرة بما شاء من عدد وعدة متى قدم عليهم واحتل بين أظهرهم، ووافقهم على ذلك عرب الغرب من الخلط وغيرهم، فاغتنمتها المولى محمد منهم وأقبل مسرعاً حتى اقتحم دار الإمارة بفاس الجديد منسلخ جمادى الثانية سنة ستين وألف، وقبض على أبي بكر الثاملي فسجنه وبايعه أهل البلدين فاس القديم وفاس الجديد معاً، وانفقوا على نصرته والقيام بأمره، وكتبت له البيعة بفاس سابع رجب فأقام عندهم نحو أربعين يوماً.

وأتصل الخبر بمحمد الحاج فجهز إليه جيشاً كثيفاً فبرز إليهم المولى محمد وذافعهم يوماً أو بعض يوم فضعف عنهم وانهزم بظهور الرمكة خارج فاس يوم الثلاثاء عاشر شعبان سنة تسع وخمسين وألف، فأسلم فاساً وانكفا راجعاً إلى سجلماسة، ودخل أهل فاس الذين كانوا معه مدحاتهم فأغلقوها عليهم.

وحاصرهم الثاملي وأصحابه وقطع عنهم الماء وجرت خطوب هلك فيها جماعة من أعيان فاس، منهم: عبد الكرييم اللايريني الأندلسي، ومحمد بن سليمان وغيرهما، وكان ذلك أواخر صفر سنة إحدى وستين وألف. ثم راجعوا طاعة أهل الدلاء فولى عليهم محمد الحاج ولده أحمد، ولما استقر بفاس طالب أهلها بإخراج الجناء ورؤوس الفتنة من ضريح المولى إدريس رضي الله عنه، فتعصب لهم الشريف أبو الحسن علي بن إدريس الجوطي وقام دونهم ثم عجز واختفى، حتى أخرج بالأمان إلى زاوية أهل المخفية

ومنها خرج عن فاس بالكلية، وسكنت الفتنة. وكان ذلك في رمضان سنة إحدى وستين ألف.

واستمر أحمد الدلائي أميراً على فاس إلى أن توفي في عشرين من ربيع الأول سنة أربع وستين ألف، وخلفه أخيه محمد ومات سنة سبعين ألف. رحم الله الجميع ثم وثب على فاس الجديد أبو عبد الله الدريدي فاستولى عليه.

استيلاء المولى محمد الشريف على وجدة وشن الغارات على تلمسان وأعمالها وما نشأ عن ذلك

لما أيس المولى محمد بن الشريف من فاس والمغرب صرف عزمه لتهويد عمار الصحراء وبلاد الشرق، فسار يترى المحلل والمداشر والقرى إلى أن بلغ بسيط آنکاد، فباعته الأحلاف وهم العمارنة والمنبات من عرب معقل، وباعته سقونة منهم أيضاً، فسار بهم إلى بني بوزناسن، وكانوا يومئذ في ولاية الترك فأغار عليهم وانتهاب أمرائهم وامتلأت أيدي العرب من مواشיהם، ثم اثنى إلى وجدة وكان أهلها يومئذ حزبين بعضهم قائم بدعة الترك، وبعضهم خارج عنها، فانحاز الخارجون إلى المولى محمد فأغاراهم بشيعة الترك فانتهبوهم وشدوهم عن البلد، وصفت وجدة له فاستولى عليها، وكان ذلك أعوام الستين ألف. ثم دلته العرب على أولاد ذكرى وأولاد علي وبني سنوس المجاورين لهم فشن عليهم الغارات وانتهابهم فدخلوا في طاعته، ثم سار إلى ناحية ندرومة فشن الغارة على مضيقه وقديمة وطرارة ولوهاصة ورجع إلى وجدة فأقام بها مدة ثم توجه إلى تلمسان فأغار على سرحها وسرح القرى المجاورة لها واتتسع بساحتها، فيرز إليه أهلها ومعهم عسكر الترك الذي كان بالقصبة فأوقع بهم وقتل منهم عدداً كثيراً، ورجع عوده على بدئه إلى وجدة فشتى بها.

ولما انصرم فصل الشتاء خرج على طريق الصحراء فأغار على الجعافرة وانتهباً أموالهم، وقدم عليه هنالك محمود شيخ حميـان من بنـي يـزيد بن زـغـبة، وـهـمـ الـيـوـمـ فـيـ عـدـادـ بـنـ زـغـبةـ، فـقـدـمـ عـلـيـهـ مـحـمـودـ الـذـكـورـ فـيـ قـبـيـلـتـهـ مـبـاـيـعـاـ لـهـ وـمـتـمـسـكـاـ بـطـاعـتـهـ، وـقـدـمـتـ عـلـيـهـ أـيـضـاـ دـخـيـسـةـ فـرـحـ بـهـمـ وـأـكـرـهـمـ وـدـلـوـهـ عـلـىـ الـأـغـواـطـ وـعـيـنـ مـاضـيـ وـالـغـاسـوـلـ فـنـهـبـ تـلـكـ الـقـرـىـ وـاـسـتـولـىـ عـلـىـ أـمـوـالـهـاـ، وـفـرـتـ أـمـامـهـ عـرـبـ الـحـارـثـ وـسـوـيدـ وـحـصـينـ مـنـ بـنـيـ مـالـكـ بـنـ زـغـبةـ فـنـزـلـوـ بـجـلـ رـاشـدـ مـتـحـصـنـيـنـ بـهـ، فـرـجـعـ عـنـهـمـ.

واضطربت أحوال المغرب الأوسط وشرأبت رعایاه إلى الانتقام على الترك، وأخذ باي معسکر يخندق على نفسه، وبعث إلى صاحب سجلماسة المسمى عندهم: بالدولة يخبره بما لحق الرعایا من عیث صاحب سجلماسة فأخرج صاحب الجزائر عساکرہ وهیأ مدافعاً واستعد لحرب المولى محمد وقدم نائبه بالعساکر إلى تلمسان، فلما سمع به المولى محمد استمر راجعاً إلى وجدة، وفرق العرب الذين كانوا مجتمعين عليه، ووعدهم لفصل الربع القابل.

ثم قفل إلى سجلماسة بعد ما شب نيران الحرب في الإيالة التركية ونسفها نسفاً وضرب أولها بأخرها.

ولما وصل عسکر الترك إلى تلمسان وأخبروا برجوع المولى محمد إلى تافیلات سقط في أيديهم، وووجدوا البلاد خالية وكل الرعایا قد أجهلت عن أوطنها، وتحصنتا بالجبال، ولم يأتهم أحد بمؤنة ولا خراج، وانحرف عنهم أهل تلمسان أيضاً، وكانوا قد ركزوا إلى المولى محمد وخاطبوه، فرأى الترك أنهم قد شورکروا في بلادهم وزوحموا في سلطانهم، فرجعوا إلى الجزائر. وكان من أمرهم ما ذكره الآن.

مراسلة عثمان باشا صاحب الجزائر للمولى

محمد بن الشريف وما دار بينهما في ذلك

لما رجع عسكر الترك إلى الجزائر وأخبروا صاحبها عثمان باشا الدولة بحال الرعايا وما نالها من صاحب سجل ماسة جمع أهل ديوانه وأرباب مشورته وتفاوضوا في أمر المولى محمد وكيف التخلص من سلطنته، فلم يروا أجدى لهم من أن يبعثوا إليه برسالة مع اثنين من أعيان الجزائر وعلمائها، واثنين من كبار الترك ورؤسائهما، لأنهم كانوا لا يتمكنون من حرية، لو أرادوا ذلك، لأنه يغير ويظفر ويتهب ثم يصرح فلا يمكنهم التعلق بأذيه، ولا قطع فراسخه وأماليه، فبعثوا إليه برسالة من إملاء الكاتب أبي الصون المحجوب الحضرى مع الوفد المشار إليه يقول فيها:

«الحمد لله الذي وصى ولا رخص في مدافعة اللص والصائل شريفاً أو مشروفاً، ونص، وهو الصادق سبحانه، على فضيم عرى أصله المتأصل مجھولاً أو معروفاً، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وعلى آله تيجان العز وبراقع الجباء والخياسم، وصحابته صوارم الصولة الخامسة من الكفر الطلي والغلاصم، بالرماح العاملة والسيوف القواصم، ولا زائد بعد حمد الله إلا مقصد خطاب الشريف الجليل القذر، الصادق اللھجة والصدر، من رتق الله به فتوق وطنه، وحمى به من أحزاب الأبطيل أنجاد أرضه وأغوار عطنه، حاقد مولانا علي وسيدنا البتول، وولد مولانا الشريف بن مولانا علي السيئل الصئل سلام عليكم ما رصعت العفان سموت البحور ولمعت الجوادر الحسان على بياض التحور، ورحمة الله تعالى وبركاته ما أساغت محض الحال ذكاته، ويعده: فقد كاتبناكم من مغني غنيمة المقيم والظاعن والزائر، رباط الجريد مدينة ثغر الجزائر، صان الله من البر والبحر عرضها، وأمن من زعزع العواصف والقواصف أرضها، إلماعاً لكم معادن الرياسة، وفرسان القيافة والعبافة

والفراسة، فضلاً عن سماء صحا من الغيم والقتمام جوه، وضحى نشرت عليه الودقة وشياً فتشاً ضوءه، بأن شؤون المملكة لم يتوان عن مكتون علمكم أمرها، ولا أعز عزائمكم زيلها وعمرها، وذلك أن الوهاب سبحانه من حكم هيبة وهمة في الجود والحلم والحماسة، واختار لكم عنوان عنيتها في خاتم الصنون سجل ماسة، لكن فاتكم سر رأي التدبير، وأركبتم حزمكم جموع الجهل والتبذير، مع أن ذلك في الحقيقة دأب كل مؤسس لدولة، لا يجمعها إلا بجهنيات الجولة والصولة، فخرقت على الإيالة العثمانية جلباب صونها الجلديد، من وجدة الأبلق إلى حدود الجريدة، فشوشت علينا أخلاق أخلاق الأعراب، إلى أن تعوقوا علينا في أرقن الآراب، وشننت الغارة الشعواء علىبني يعقوب، فخسمت رسمهم على العقب والعرقوب، وغادرت جماهرهم تسعى على عيالهم الزيناني والموزونة في أسواق مستغانم وديار مازونه، وجررت ذيل المذلة على أطراف الغاسول والأغواط، فالقطعتهم بطنانتك التقاط سباع الطير الوطواط، وقادك الجاهل الجهم محمود حيمان، لعين ماضي والصوانع وبنى يطفيان، فراح رياح وسويد يتفض كل بطل منهم غباره وطينه، على طود راشد، وبيليد قسطنطينة، ولا كادنا إلا ما هتكتم من ستر السر على مرسي أبي الريبع السيد سليمان مع أنكم أولى من يراعي حرمته وتوقيره، ويدافع عنه وعمن سواه ويرفده فقيره، وتنسبون العجم للجهل وأنهم جفاة وأجلال، ثم صرتم بدلاً وأخلاق خرج جيش قصبتنا بتلمسان، بما لديهم من الرماة والقرسان، فهزتهموهم بقرار، وقتلتهموهم قتل مذلة واحتقار، فقلنا: هذا أقل جزاء كل كلب حقير، عفور. يعرض عرضه لصولة الأسد الهصور، ولا وافت الآفة في الغالب إلا الحضر، مع شيع في الأجنحة تجني الجنى والخضر، كان أولاد طلحة وهداج وخرج، يؤدون لهذه المثابة ما ثقل وخف من الخراج، ولا يفوتنا من ملازمها وبر ولا شعر ولا صوف، ولا سقب ولا جدي ولا خروف، إلى أن طلعت علينا غرة شمسك السعيدة،

فعادت كل شيعة قريبة عنا بعيدة، وأعاتك افتراق الجفة من أهل وجدة، وأن نصيبيك الأوفر منهم أهل جدة ونجدة، ولو لاك ما ثار علينا أهل تلمسان، وأنكروا ما لنا عليهم من قديم الحنانة والإحسان، وردوا عليك الساحة والبساط، ومرغوبهم أن تزفر علينا بسطوة الثعبان والساط، مع علمنا اليقيني أن شجرتنا لا تضعضع بزعزع حيان، ولا تندرس ولو انهارت عليها جبال حيان وأن الحجر لا يدق بالطوب، والخاطف لا يطاً أو طية الخطوب، كذلك في المثل جندك خلال الصدر والورود، لا يصبرون لصواعق البارود، ولا تنفع حجة الدروع والذوابيل، إلا في سوق شن الغارات على حلل القبائل، وأما أسوار الجحافل وأدوار الكتاب، فلا يصدمنها فيهدمنها إلا سيول الخيول والرماة الرواتب، وزنت صولتك لبني عامر، لذادة النفار لكتف الكافر، وداخل الوسوس والسوس، جبال طراره ومضرغة وبني سنوس، والرعايا تود أن يحتفل لبنيها في ضروعها، لتختن في تبن الخداع سبل زروعها، وإن قبلت منهم الأقوال والأفعال، تعل طباعها على الدولة فتصير كالأغوال، وإياك وإياك والغرر لما عثرت عليه في كتاب البوئي وأوراق السيوطى وعلى بادي وابن الحاج، ورسالة أهل سبطة عبد الحق بن أبي سعيد المریني بأنك المخصوص بصعود تلك الأدرج، ذلك منك بعيد الوصول لا تدركه بالمسرة ولا بقبائع النصول، وإن أوتاد الروم والترك تتقوض من أرض الغرب، ولا يبقى من ينazuكم فيها بحرب ولا ضرب، ليس لك في غنية إدراكه طمع، ولا سبيل لتبديد ما نظمه حازمنا وجمع، وقد غرتك أضغاث الأحلام، وأغواك ضباب الغيب فأصبح ظنك منه في غياب الأظلام، فإن حرمت به فأنت لا شك حانت، وإن كان منكم يقيناً فرابع أو ثالث، أولكم ثائر، والثاني مقتف له سائر، والثالث لكم أمير ثائر، إما عادل أو جائز، ولا تمدن باع المحاطرة إلى أوطانا فتخشى مخالب سطوة سلطاناً، أما الشجاعة الغريزة فقد علمنا أن لك منها بالمهيمين أوفر نصيب، ومن ضرب فيها فأصاب

الغرض بسهم مصيبة، لكن غاية كفاية الشجاع إذا حمي الوطيس الدفاع،
سيما في هذا الحين التي أبخستها عند الخلاص، صناعة البارود والرصاص،
و Gorsuk علينا كونك عقايا على فرع شجر، أو يعسوب نحل احتل صدع
حجر، لو رأيت ملوك آحاد أمراء البر والبحر، لعلمت أنك محجوب
ومحجور، في حق ذلك الحجر، وتحقق أن بين الأمراء مداراة ومراعاة،
وأن أحوال الدول أيام وساعات، كل أحد يخاف على صدع بخاره، وبطرق
بخوره تحت نتن بخاره، وما مرادنا إلا أمان العرب في المواقع، ليطيب لها
جولان الانتقال في المشتاة والمرابع، ويجلب إليهم الغني والعديم، ما
يحصل له فيه ريح من الكساد والحناء والأديم، فإن تعلقت همتك بالإماراة
فعليك بالمدن التي حجرها عليك همج الباربر فصار يدعى لها بها على
المنابر، فشد لها حيازيمك لتذوق حلارة الملك، المعجونة بمرهم النجاة أو
الهلك، دع عنك وطن الرمال والمعاجج، ومخاطرة النفس في الفدائد
والفجاج، فناشدنك جدك من الأب والأم، وما لك فيه من أخ وحال وعم،
إلا ما تجنبت ساحات تلمسان، ولا زاحمتها بجموع رماة ولا فرسان، وإن
اشتهت الأعراب غارات بعضها على بعض، فموعدها ما نأى عنا من مطلق
الأرض، وخمسنا أبداً على الغالب، لتعلموا أن رايهم عن معانى الصواب
غائب، إذ كلهم ذرو جفاء ونفار، ويعهم عن الدول ما يعم الكفار، ليبقى
بيتنا وبينكم الستر المديد على الدوام، وتلغى كلام الوشاة من الأقوام، وقد
شيعنا نحوكم أربعة صحاب، تسر بمجالستهم الخواطر والرحايب، الفقيه
الوجيه السيد عبد الله التفزي، والفقيه الأبر السيد الحاج محمد بن علي
الحضري المزناني، وأثنين من أركان ديواننا، وقواعد إيواننا، أتراءك سيوط
وغایة غرضنا جميل الجواب، بما هو أصدق وأصدق خطاب، والله تعالى
يوفقنا لأحمد طريق، ويحشرنا مع جدك في خير فريق، أمين السلام،
وكتب في متصرف رجب الفرد الحرام عام أربعة وستين ألف» اهـ.

ولما وصلت الرسال إلى المولى محمد وقرأ الكتاب اغتناط مما تضمنه من العتاب، فأحضر الرسال وعابتهم على قول مرسليهم وتحامله عليه فقالوا له: «نحن أتيناك سفراً برسالة باشا الجزائر فاكتتب لنا الجواب، ولا تقابلنا بعتاب» فقال: «صدقتم» فكتب إليهم بكتاب يقول في أوله (وبعد): «فقد كتبنا إليكم من غرة جبيعن الصحراء، وصراً أمصار المغرب والبراري، مغني سجلmasة التي هي قاعدة العرب والبرير المسماة في القديم كتر البركة، حالي السكون والحركة، ومضى في كتابه إلى أن ختمه ولم يجدهم إلى ما أرادوا.

ولما رجعوا برسالته إلى صاحب الجزائر قرأها بمحضر أرباب الديوان ثم ردّهم في العين دون كتاب، ولما قدموا على المولى محمد ثانية قالوا له: إنه لم يكن لنا علم بما في الكتاب ولو اكتفيينا به ما رجعنا إليك، نحن جئناك لتعلّم معنا شريعة جدك وتتفق عند حدقك، فما كان جدك يحارب المسلمين، ولا يأمر بنهب المستضعفين، فإن كان غرضك في الجهاد، فرابط على الكفار الذين هم معك في وسط البلاد، وإن كان غرضك في الاستيلاء على دولة آل عثمان، فابرز إليها واستعن بالرحيم الرحمن، فلا يكن عليك في ذلك ملام، فهذا ما جئنا له والسلام، وأما إيقاد نار الفتنة بين العباد، فليس من شيم أهل البيت الأمجاد، ولا يخفى عليك أن ما تفعله حرام لا يجوز في مذهب من مذاهب المسلمين ولا قانون من قوانين الأعجماء، وهذا فقيهان من علماء الجزائر قد جاءا إليك حتى يسمعوا منك ما تقوله، ويحكم الله بيننا وبينك رسوله، فقد تعطلت تجارتنا، وأغلقت عن وطننا رعيتنا، فما جوابك عند الله في هذا الذي تفعله في بلادنا، وأنت ابن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أنه لم يعجزنا أن نفعله نحن في بلادكم وزعيتكم، على أننا محملون على الظلم والجور عندكم، لكن تأبى ذلك همة سلطانتنا».

فلما سمع المولى محمد كلامهم أثر فيه وعظهم ودخلته القشعريرة

وعلاه سلطان الحق فأذعن له وقال: «والله ما أوقعنا في هذا المحذور إلا شياطين العرب انتصروا بنا على أعدائهم وأوقعونا في معصية الله وأبلغناهم غرضهم فلا حول ولا قوة إلا بالله، وإنني أعاهد الله تعالى لا أعرض بعد هذا اليوم لسلامكم ولا لرعايتكم بسوء، وإنني أعطيكم ذمة الله وذمة رسوله لا قطعت وادي تافنا إلى ناحتكم إلا فيما يرضي الله ورسوله» وكتب لهم بذلك عهداً إلى صاحب الجزائر وقنع بما فتح الله عليه من مسلحة ودرعة وأعمالهما، ولم يعد يغزو الشرق ولا توجه إليه بعد ذلك إلى أن خرج عليه أخوه المولى الرشيد فكان من أمره معه ما نذكر بعد إن شاء الله.

ثورة المقدم أبي العباس الخضر غيلان الجرفطي ببلاد الهبط

كان أبو العباس الخضر غيلان الجرفطي من أصحاب أبي عبد الله العياشي، وكان مقدماً على الغزاة ببلاد الهبط، ولما قتل العياشي في التاريخ المتقدم استقل هو ببرиاسة تلك الجهة، واستمرت حاله إلى ثلث وستين ألف قثار بالفحص ورمح إلى قصر كنامة فبرز إليه أهله فاقتتلوا ملياناً ثم انهزوا، واتبعهم الخضر فاقتحم القصر عنوة وقتل جماعة وافرة من أعيانه وفر الكثير منهم إلى فاس، منهم: أولاد الفقيه أبي عبد الله القنطري من أعيان القصر، وبقي الخضر متغلباً على تلك الناحية.

وفي ذي الحجة سنة تسع وستين ألف خرج من فاس المرابط الرئيس أبو سليمان بن كدار، واتصل بالخضر غيلان وصار في جملته، وكان أبو سليمان المذكور من ظاهر الدلائل على سيدي محمد العياشي فبقي ذلك في قلب الخضر غيلان حتى قبض على أبي سليمان المذكور واعتقله بأصيلاً ثم سرمه بعد حين. قاله في «نشر المثاني».

وفاة المولى الشريف بن علي رحمة الله

كان المولى الشريف بن علي بسجلماسة وأعمالها على ما وصفناه قبل من الوجاهة والرئاهة والسيادة، ممثل الأمر، متبع العقب منذ نشأ، ثم بايده أهل سجلماسة سنة إحدى وأربعين وألف، ونazuعه بنو الزبير أصحاب تابوعصامت، وبذلك استصرخ عليهم أبي حسون السملالي حتى ملك سجلماسة كما مر، ولما تخلص من نكبة السوس وعاد إلى سجلماسة وجد ابنه المولى محمداً قد قام بالأمر بعده فتخللى له عنه، وقطع بقية عمره فيما يرضي الله تعالى إلى أن أتاه اليقين ثالث عشر رمضان سنة تسع وستين وألف بسجلماسة مسقط رأسه ومقر عزه ومنبت أشباهه، ومدرج ملوكه وأقباليه، وجددت البيعة للمولى محمد، ففارقه آخوه المولى الرشيد فخرج إلى الجبال فبقي متقللاً في أحياها إلى أن كان من أمره ما ذكره.

إغارة المولى محمد بن الشريف على عرب الحيائنة من أعمال فاس وما يتبع ذلك

لما كان آخر سنة ثلاثة وسبعين وألف أغار المولى محمد بن الشريف على زرع الحيائنة بأحواز فاس فانتسفه وأفسده، ووقعت عقب ذلك مجاعة عظيمة أكل الناس فيها الجيف والدواب والأدمي، وخللت الدور وعطلت المساجد، وخرج أهل فاس يستغيثون بأهل الدلاء، وكان الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسني قد قدم فاساً بقصد أن يبايعه أهلها فلم يجيئه، وقيل: بل نصره بعضهم، وخرج إلى عرب الحيائنة فذهب بهم إلى قتال المولى محمد بن الشريف فلم يلقه.

وفي أوائل سنة أربع وسبعين وألف حاز طاغية النجليز طنجة من يد البرتغال قال في «البستان»: لضعفهم عن مقاومة المسلمين يومئذ بسبب أن

ال المسلمين غزوهـم في هذه الأيام فقتلوا منهم ستمائة مقاتل ثم غزوهـم فقتلوا
منهم أربعمائة أخرى .» وقال منويل القشتيلي في كتابه الموضوع في أخبار
المغرب الأقصى : «سبـب ذلك أن طاغية البرتغال وهو إخوان السادس يقال
بالخاء والجيم أراد تأكـيد المحـبة بيـنه وبين طاغـية التـجلـيز وهو كارلوس الثاني
فزوـجهـ أختـه وجـهزـها إـلـيـه بـمـفـاتـيـع طـنـجـة فـبـقـيـتـ بـيـدـهـ اـثـيـنـ وـعـشـرـينـ سـنـةـ ثـمـ
تـخـلـىـ عـنـهـاـ لـلـمـسـلـمـيـنـ» اـهـ.

قيام المولى الرشيد بن الشريف على أخيه المولى محمد ومقتل الأخ المذكور رحمه الله

قد قدمـناـ ماـ كانـ منـ فـارـ المـولـىـ الرـشـيدـ عنـ أـخـيهـ المـولـىـ مـحـمـدـ يـوـمـ وـفـاةـ
أـبـيهـماـ رـحـمـهـ اللهـ فـذـهـبـ المـولـىـ الرـشـيدـ يـوـمـنـذـ إلىـ تـدـغـةـ فـأـقامـ بهاـ مـدـةـ،ـ ثـمـ سـارـ
إـلـىـ دـمـنـاتـ فـأـقامـ بهاـ مـدـةـ أـيـضـاـ،ـ ثـمـ أـتـىـ زـاـوـيـةـ أـهـلـ الدـلـاءـ فـأـقامـ عـنـدـهـ مـاـ شـاءـ
الـهـ،ـ فـيـقـالـ:ـ إـنـ بـعـضـ أـهـلـ الزـاـوـيـةـ أـشـارـ عـلـيـهـ بـالـخـرـوجـ مـنـهـ خـوـفـاـ عـلـيـهـ مـنـ
الـفـتـكـ بـهـ،ـ لـأـنـ الدـلـانـيـنـ كـانـوـ يـزـعـمـونـ،ـ فـيـمـاـ عـنـدـهـ مـنـ الـعـلـمـ،ـ أـنـ خـلـاءـ
زاـوـيـهـمـ يـكـونـ عـلـىـ يـدـهـ،ـ فـقـبـلـ المـولـىـ الرـشـيدـ إـشـارـتـهـ،ـ ثـمـ خـرـجـ إـلـىـ جـبـلـ
آـصـرـوـ فـأـقامـ بـهـ بـرـهـةـ مـنـ الـدـهـرـ،ـ ثـمـ تـوـجـهـ إـلـىـ فـاسـ،ـ وـمـعـهـ نـفـرـ قـلـيلـ،ـ فـبـاتـ
بـظـاهـرـ فـاسـ الـجـدـيدـ،ـ فـأـكـرمـ رـئـيـسـهاـ أـبـوـ عـبـدـ اللهـ الدـرـيـديـ ضـيـاقـهـ،ـ وـمـنـ الـغـدـ
أـرـتـحلـ عـنـهـاـ إـلـىـ تـازـاـ ثـمـ إـلـىـ عـرـبـ الـأـحـلـافـ.

قالـ فـيـ «ـالـنـزـهـةـ»ـ:ـ «ـإـلـىـ أـدـهـ خـاتـمـةـ الـمـطـافـ إـلـىـ قـصـبةـ الـيـهـودـيـ أـبـنـ
مشـعلـ.ـ وـكـانـ لـهـذـاـ الـيـهـودـيـ أـمـوـالـ طـائلـةـ وـذـخـائـرـ نـفـيـسـةـ،ـ وـلـهـ عـلـىـ الـمـسـلـمـيـنـ
صـوـلـةـ وـاستـهـانـةـ بـالـدـيـنـ وـأـهـلـهـ،ـ فـلـمـ يـزـلـ المـولـىـ الرـشـيدـ يـفـكـرـ فـيـ كـيـفـيـةـ اـغـتـيـالـ
الـيـهـودـيـ المـذـكـورـ إـلـىـ أـنـ أـمـكـنـهـ اللهـ مـنـهـ فـيـ خـبـرـ طـوـيلـ.ـ فـقـتـلـهـ وـاستـولـىـ عـلـىـ
أـمـوـالـهـ وـذـخـائـرـهـ وـفـرـقـهـ فـيـمـ تـبـعـهـ وـانـضـافـ إـلـيـهـ مـنـ عـرـبـ آـنـكـادـ وـغـيرـهـ فـقـويـ
عـضـدـهـ وـكـثـرـ جـمـعـهـ»ـ اـهـ.

وقال صاحب «نشر المثاني»: إن المولى الرشيد لما رحل عن فاس قدم على الشيخ أبي عبد الله اللواتي بأحواز تازا وكان الشيخ المذكور يتحل طريقة الفقر ويعظم أهل البيت فبالغ في إكرامه، فبيتما هو مقيم عنده إذ رأى ذات يوم رجلاً ذا هيئة من مماليك وأتباع وخيل، وهو يصطاد كهيئة الملوك، فسأل عنه فقيل له: هذا ابن مشعل من يهود تازا. فانصرف المولى الرشيد وجعل مدبة في فمه وجاء إلى الشيخ اللواتي، فلما رأه الشيخ على تلك الحال أعظم ذلك، وقال له: «المال والرقة لك يا سيدي فما الذي دهاك؟» قال: «تأمر جماعة من عشيرتك يسيرون معنٍ حتى أفتاك بهذا اليهودي غيره على الدين» فقال: «قد فعلت، لا يختلف عنك منهم أحد» فاختار المولى الرشيد منهم جماعة وواعدهم على تبییت اليهودي واقتحام داره عليه، وكان اليهودي قد اتخذ داراً بالبيداء على نحو مرحلة من تازا في جهة الشرق، فلما كانت ليلة الموعد تقدم المولى الرشيد إلى دار ابن مشعل في صورة ضيف، فأضافه ابن مشعل، ولما انتصف الليل أحاط أصحابه بالدار وكبس المولى الرشيد اليهودي في بعض خلواته فقتله، وأدخل الرجال فاستولى على دار ابن مشعل بعد الفتک بأصحابه وحراسه، وعثر فيها على أموال كثيرة وذخائر نفيسة، وقيل، وهو الشائع عندبني يزناسن: أن ابن مشعل المذكور كان مقیماً بين أظهرهم قد اتخاذ حصنًا ببعض جبالهم، وهم محدقون به، فجاءهم المولى الرشيد ولم يزل يلاطفهم في شأن اليهودي حتى أثر كلامه فيهم، ونما إلى اليهودي بعض ذلك، وأنهم مسلموه، فنزل إلى المولى الرشيد بهدية نفيسة يسترضيه بها، فلم يكن بأسع من أن قبض عليه وقتله، وتقدم إلى الدار فاستولى عليها، واستخرج ما فيها من الأموال قاله أعلم أي ذلك كان.

ثم إن المولى الرشيد دعا لنفسه أعراب الشرق وجمع كلمتهم ونزل وحده واتصل ذلك كله بأخيه المولى محمد صاحب سجل ماسة فتخوف منه

لما يعلم من صرامته وشهادته، فنهض لقتاله والقبض عليه، فلما التقى الجماعان بيسقط آنکاد كانت أول رصاصة في نحر المولى محمد، فكان فيها حتفه. وذلك يوم الجمعة التاسع من المحرم سنة خمس وسبعين وألف، ودفن بدار ابن مشعل، فأسف المولى الرشيد لقتله وأظهر الحزن عليه، وتولى تجهيزه بنفسه فحمله إلى بيته يزنان من ووراه هنالك في رمسه رحمة الله وغفر له.

وكان المولى محمد شجاعاً مقداماً لا يبالي بالعظائم ولا يخطر بباله خوف الرجال، ولا يدرى ما هي النكبات والأوجال، وتقديم وصف أهل الدلاء له بقولهم: «الأجدل الذي لا تؤده هموم الليالي ولا حرارة قيظ المصيف عقاب أشهب على فتة كل عقبة، لا يقتعه المال دون حسم الرقبة»، وشجاعته شهيرة. وكان مع ذلك قويأً في بدنـه أيدأً في أعضائه وجسمه لا يقاوم في الصراع ولا يزاول في الدفاع.

حكي أنه في بعض أيام حصاره لتابعه عاصمت جعل يده في بعض ثقب الحصن وصعد عليها ما لا يحصى من الناس حتى كأنها خشبة منصوبة ولبنة مضروبة، وكان سخياً جداً حتى أنه أعطى الأديب الشهير المتقدم في صناعة الشعر المغربي والملحون أبي عثمان سعيداً التلمساني صاحب القصيدة العقيقية وغيرها نحواً من خمسة وعشرين رطلاً من خالص الذهب جائزة له على بعض أمداحه فيه، وحكاياته في هذا المعنى شهيرة.

ولما قتل رحمة الله قام بسجل ماسة ولده المولى محمد الصغير مقامه لكن لم يتم له أمر وسيأتي بعض خبره إن شاء الله.

الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى الرشيد بن الشريف رحمه الله

لما قتل المولى محمد بن الشريف رحمه الله في التاريخ المتقدم وانحشرت جموعه كلها إلى أخيه المولى الرشيد، فبايعوه البيعة العامة، ودخل في طاعته الأخلاف وبنو يزناسن وغيرهم، وبعث إلى أهل تلك النواحي كلها من العرب والبربر بدعوهم إلى الطاعة واجتماع الكلمة، فقدمت عليه وفودهم بالهدايا، وكتب من كان مع أخيه في ديوان جيشه وكساهم وأعطاهم الخيل والسلاح وعظم أمره وعلا كعبه، ثم احتاج إلى المال، وكان قد أخذ ولد اليهودي ابن مشعل يوم قتل أخيه، فجاءت أمره تطلب فداءه فنفرس فيها وساطتها به، ثم قال: «لا أسرحه حتى تدلني على مال زوجك أو أقتله» فأنعدمت له بذلك، وركب معها إلى القصبة فدلته على خزانة في بيت فتقب عنها فلقى فيها خوابي مملوءة ذهبًا وفضة فاستخرجها، وارتاش بتلك الأموال، وفرق منها على من معه من العرب والبربر وسائر الأجناد، فحسنت حاله وحالهم وعد ذلك من سعادته، ولما قضى إربه ورتب جنده بعث رسلاه إلى الآفاق بالأعذار والإذنار والوعود والوعيد لأهل الطاعة والعصيان ثم سار على أثرهم فاصداً فتح المغرب الذي كان قد تعرّ على أخيه من قبله فنزل على وادي ملوية وأقام به أيامًا للاستراحة وانتظار من يأتيه من أهل تلك النواحي مثل جاوت والريف وغيرهما فلم يأته أحد، والله غالب على أمره.

فتح مدينة تازا ثم سجلماسة وما تخلل ذلك

لما أقام المولى الرشيد رحمة الله على ملوية ولم يأته من أهل المغرب أحد تقدم إلى تازا فاقتحمها بعد محاربة طويلة وبايعه أهلها والقبائل التي حولها، ولما اتصل خبر ذلك بأهل فاس اجتمعوا مع جيرانهم من عرب الحيابنة والبهاليل وأهل صفر وغيرهم، وتحالفوا على حرب المولى الرشيد وعدم بيعته بحال ظناً منهم أنه يفعل بهم ما فعله أخوه محمد بالحيابنة من النهب والقتل، وأمر رؤساء فاس عامتها بشراء الخيل والعدة والإكثار منها، ووظفوا على كل دار مكحلة، ومن لم توجد عنده مكحلة منهم يعاقب، فاشتروا من ذلك فوق الكفاية وخرجوا إلى باب الفتوح لعرض الخيل والسلاح، وعملوا اللعب المسمى بالميز، واجتمعوا أيضاً مع الحيابنة، وأكدوا الحلف على حرب المولى الرشيد، ولما بلغه خبرهم وما هم عليه أعرض عنهم وعدل إلى سجلماسة. وكان ذلك منه صواباً في الرأي إذ قدم الأسهل فالأسهل. وتناول الأخف فالأخف.

ولما أناخ على سجلماسة حاصرها نحو تسعه أشهر إلى أن فر عنها ابن أخيه المولى محمد الصغير المنتزري بعد أبيه كما مر، فخرج منها ليلاً ودخلها المولى الرشيد واستولى عليها وسد فرجها ورتب حاميتها ومهد أطرافها ورجع إلى تازا فاحتل بها، ولكل أجل كتاب.

حصار مدينة فاس ثم فتحها والإيقاع بثوارها

لما قفل المولى الرشيد رحمة الله من سجله ماسة إلى تازا أقام بها أيامًا فاتفق أهل فاس مع أحلافهم من الحبابية أن يغيروا عليه بمستقره منها، ويبذلوا بالحرب قبل أن يبدأهم ليكون ذلك كاسراً من شوكته، وفاتاً في عضده، فتأهلاً للحرب وخرجوا في شوال سنة خمس وسبعين وألف، ولما قابلوا محلته افترقت كلمتهم ورجعوا منهزمين من غير قتال، فتبعهم المولى الرشيد إلى قنطرة نهر سبو خارج فاس، ثم رجع عنهم فبعتوا إليه في الصلح، فلم يتم بينه وبينهم صلح إلى أن ملك أطراف المغرب كلها، وكان ذلك من حسن تدبيره وترتيبه الأمور.

ثم دخلت سنة ست وسبعين وألف ففي صفر منها زحف إلى فاس وحاصرها وقاتلها ثلاثة أيام فأصابتها رصاصة في طرف أذنه ورجع سالماً ثم عاد إلى حصارها مرة أخرى في ربيع الأول من السنة المذكورة فقتل ونهب ورجع إلى تازا لأنه لم يأت بقصد فتحها، ثم توجه إلى الريف بقصد الرئيس أبي محمد عبد الله آعراس الشائر به، فكانت بينهما وقفات، وحاصره في بعض حصونه إلى أن قبض عليه في رمضان من السنة فعفا عنه واستبقاءه وكر راجعاً إلى فاس فنزل عليها في أواخر ذي القعدة من السنة وقاتلها قتالاً شديداً إلى ثالث ذي الحجة فاقتتحم فاساً الجديد من أعلى السور من ناحية الملاح، وفر أميرها يومئذ أبو عبد الله الدريدي، وهذا الدريدي كان في جملة من إخوانه بنى دريد بن أشجع الهلاليين، وكانوا في ديوان السعديين، ولما بابع أهل فاس الرئيس أبي عبد الله محمد الحاج الدلائي كان الدريدي هذا في عسكره، فلما فشلت ريح أهل الدلاء بالمغرب نزع عنهم واستبد بفاس الجديد، وحالف أهل فاس القديم على حرب الدلائين ثالث جمادى الثانية سنة أربع وسبعين ألف، وقد كان أحمد بن صالح الليريني رئيس أهل عدوة الأندلس قد خطب ابنة الدريدي لولده صالح بن أحمد فزوجه إياها، والتجم

ما بينهما فكان الدريدي يشن الغارات على قبائل البربر الذين بأحواز مكتنasse وغيرها . وب يأتي بالنهب ، والطلب يقع عليه إلى أن يدخل دار الإمارة ، واستمر على ذلك إلى أن اقتحم عليه المولى الرشيد فاساً كما قلنا ففر إلى منجاته . وقال في «النزهة» بل قتله المولى الرشيد وسكن هيبة فاس الجديد ، ومن الغد زحف إلى فاس القديمة فحاصرها وقاتلها فضعفوا عن مقاومته ، وفر رئيس اللمطيين ابن الصغير وولده ليلاً إلى بستيون باب الجيسة ، ولما طلع الفجر فر أيضاً رئيس عدوة الأندلس أحمد بن صالح فرأى أهل فاس أن أمرهم قد ضعف وكلمتهم قد افترقت ، فخرجوa إلى المولى الرشيد وبايعوه واجتمعت كلمتهم عليه ، فبعث في طلب ابن صالح فوجد بحوز المدينة فجيء به وسجن بباب دار ابن شقراء بفاس الجديد ، ثم قتل وقتل معه عدة من أصحابه ، ثم قبض على ابن الصغير وولده ، وبعد سبعة أيام أمر السلطان بقتلهما فقتلا ، واستقام أمر فاس وصلحت أحوالها . قال في «النزهة»: افتح أمير المؤمنين المولى الرشيد فاساً القديمة فحكم السيف في رؤسائها وأفناهم قتلاً فتمهدت البلاد واجتمعت الكلمة ، وكان دخوله حضرة فاس القديمة صبيحة يوم الاثنين أوائل ذي الحجة سنة ست وسبعين وألف ، ويوبع بها يومه ذلك ، ولما تمت له البيعة أفاض المال على علمائها وغمرهم بجزيل العطاء ووسط على أهلها جناح الشفقة والرحمة ، وأظهر إحياء السنة ونصر الشريعة ، فحل من قلوبهم بالمكان الأرفع وتمكنـت محبته من قلوب الخاصة والعامة ، اهـ .

وولي قضاء فاس السيد حمدون المزوار ثم خرج إلى بلاد الغرب فقد الخضر غيلان الشائر ببلاد الهبط ، وكان بقصر كتامة ، فزحف إليه المولى الرشيد فانهزم الخضر إلى آصيلاً ، ورجع المولى الرشيد عنه إلى فاس أوائل ربيع الأول سنة سبع وسبعين وألف ، فكتبت له البيعة بفاس وقرئت بين يديه قبل زوال يوم السبت الثامن عشر من ربيع الأول المذكور ، ثم في شهر ربيع

الثاني من السنة غزا المولى الرشيد أحواز مكناسة وقصد آيت واللال من البرير شيعة محمد الحاج الدلائني فأوقع بهم، ورجع عوده على بدئه، وبعد رجوعه نزل محمد الحاج بجムوع البرير قرب وادي فاس بأبي مزورة من أحواز فاس فقاتلته المولى الرشيد ثلاثة، ورجع كل إلى وطنه، ثم خرج المولى الرشيد إلى تازا وأعمالها حادي عشر رجب فقدتها ورجع إلى فاس في شوال من السنة المذكورة، ثم عزل العقید قائد مكناسة، ثم خرج ثانٍ يوم النحر من السنة إلىبني زروال فأوقع بالشريف النابغ فيهم. وبعث به محبوساً إلى فاس فدخلها ثانٍ محرم سنة ثمان وسبعين وألف، ثم مال المولى الرشيد إلى تطاوين فقبض على رئيسها أبي العباس النقسيس في جماعة من حزبه وقدم بهم إلى فاس فسجفهم بها أوائل ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وألف إلى أن كان من أمرهم ما ذكره.

فتح زاوية الدلائني وتغريب أهلها إلى فاس وتلمسان وما يتبع ذلك

لما كانت ضحية يوم الخميس الثاني عشر من ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وألف خرج أمير المؤمنين المولى الرشيد رحمة الله عزيزاً زاوية أهل الدلاء، وكان قد أستد الفتوى إلى الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد الفاسي، فلقي جموع الدلائين وعليهما ولد محمد الحاج بيطن الرمان من فازار، فانتشرت الحرب بين الفريقين مليأً ثم انهزم الدلائين ورجعوا يقفون أثراً إلى الزاوية. قال الشيخ اليوسي رحمة الله في محاضراته: «كان الرئيس أبو عبد الله محمد الحاج الدلائني قد ملك الغرب بستين عديدة واتسع هو وأولاده وإخوته وبنو عمه في الدنيا، فلما قام السلطان المولى الرشيد بن الشريف ولقي جموعهم بيطن الرمان فقضىها دخلنا على الرئيس أبي عبد الله المذكور، وكان لم يحضر المعركة لعجزه وكبر سنه يومئذ، فدخل عليه أولاده وإخوته وأظهروا له عجزاً شديداً وضيقاً عظيماً فلما رأى منهم ذلك

قال لهم: «ما هذا؟ إن قال لكم حسبكم فحسبكم يريد الله تعالى. قال اليوسى: «وهذا كلام عجيب وإليه يساق الحديث والمعنى: إن قال الله تعالى لكم حسبكم من الدنيا نكفوا راضين مسلمين» أهـ. وكان استيلاء المولى الرشيد على الزاوية في ثامن المحرم سنة تسع وسبعين وألف ولما خرج إليه أهلها عفا عنهم ولم يرق منهم دمًا ولا كشف لهم ستراً حلماً وكرماً منه رحمة الله. قال في «النزهة»: لما وقعت الهزيمة على أهل الدلاء دخل المولى الرشيد الزاوية، وأمر بمحمد الحاج وأولاده وأقاربه أن يحملوا إلى فاس ويسكنوا بها فحملوا إليها واستوطنوها مدة، ثم أمر أن يذهب بهم إلى تلمسان فغربوا إليها وسكنوها مدة.

وحدثوا أن محمدًا الحاج رحمه الله لما دخل تلمسان قال: «كنت وجدت في بعض كتب الحديث أنني أدخل تلمسان فظننت أنني أدخلها دخول الملك فدخلتها كما ترون» ولم يزل بها إلى أن توفي فاتح سنة اثنين وثمانين وألف ودفن عند ضريح الإمام السنوسي رضي الله عنه ولما توفي المولى الرشيد رجع أولاده وأقاربه إلى فاس فاستوطنوها بإذن من السلطان المظفر المولى إسماعيل، ولما دخل المولى الرشيد الزاوية غير محاسنها وفرق جموعها وطمس معالمها وصارت حصيداً كان لم تغن بالأمس، بعد أن كانت مشرقة إشراق الشمس، فمحت الحوادث ضياءها، وقلصت ظلالها وأقياءها، وطالما أشرقت بأبي بكر وبنية وابتهجت، وفاحت من شذائم وتأرجت، ارتحل عنها فرسان الأقلام، الذين ينحاجب بوجوههم الظلم، وبيانت عنها ربات الخدور، وأقامت بها أثافي القدور، ولقد كان أهلها يعفون آثار الرياح فعفت آثارهم، وذهبت الليالي بأشخاصهم وأبقيت أخبارهم، فثل ذلك العرش، وعدا الدهر حين أمن من الأرش، ولم يدفع الرمح ولا الحسام ولم تنفع تلك المنن الجسم، فسحقاً لدنيا ما رعت لهم حقوقاً، ولا أبقي لهم شروقاً، وهي الأيام لا تقي من تجنيها، ولا تبقي على مواليها ومدانيها،

أذهبت آثار جلق، وأحمدت نار المحلق، وذللت عزة ابن شداد، وهدت القصر ذي الشرفات من سنداد، وكل يلقى معجله ومؤجله، ويبلغ الكتاب يوماً أجله، ولقد أحسن ربي نعمتهم، المقر بإحسانهم ومتهم شيخ مشايخ المغرب على الإطلاق، الإمام الذي وقع على علمه وعمله الاتفاق، أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي رحمة الله في رأيته التي رثى بها الزاوية المذكورة وبיקى أيامها يقول في مطلعها:

أكلف جفن العين أن ينشر الدرا فيأبى ويعتاض العقيق بها خمرا
وهي طولة شهرة. قلت: ولم يصرح فيها بأسمائهم مراعاة لجانب السلطان وذلك هو الواجب والمناسب فرحم الله الشيخ اليوسي ما كان أعرفه بمقتضيات الأحوال.

فتح مراكش ومقتل الأمير أبي بكر الشباني وشييعته

لما فرغ المولى الرشيد رحمة الله من أمر الزاوية توجه إلى مراكش في الثاني والعشرين من صفر من السنة أعني سنة تسعة وسبعين وألف فاستولى عليها وقتل رئيسها أبي بكر بن عبد الكريم الشباني وجماعة من أهل بيته.

وقال في «التزهه»: لما بلغ أبي بكر الشباني وقومه مسير المولى الرشيد إليهم خرجوا فارين بأنفسهم من مراكش إلى شواهد العجائب لما خامر قلوبهم من رعبه، فدخل المولى الرشيد مراكش وأفني من وجد بها من الشبانات، وقبض على أبي بكر وبني عمه، فعرضهم على السيف واستنزل تلك الفتنة الشريرة من الصيادي، وأخذ منهم بالأقدام والتواصي، وأخرج عبد الكريم من قبره فأحرقه بالنار.

ولما فتح مراكش قام بها نحو شهر ثم رجع إلى فاس، فدخلها يوم الجمعة السابع والعشرين من ربيع الثاني من السنة المذكورة، وفي هذه السنة خرج العولى محمد الصغير من تافيلالت في شيعته وخلى سبيل البلد، وفيها

أيضاً ركب الخضر غيلان البحر إلى الجزائر وخلى سبيل أصيلا، ولما رجع المولى الرشيد إلى فاس عزل أبي عبد الله الفاسي عن الفتوى، وعزل الفقيه المزوار عن قضائها منسلاخ جمادى الثانية من السنة، وولى القضاء الفقيه أبي عبد الله محمد بن الحسن المجاachi، والخطابة بجامع القرقوين الفقيه أبي عبد الله محمداً اليوعناني، وفي منتصف رجب من السنة المذكورة غزا المولى الرشيد بلاد الشاوية ورجع إلى فاس في سابع رمضان العام، فعفا عن بعض أهل الدلاء، وبقي الآخرون بضریح الشيخ أبي الحسن علي بن حرزم إلى تمام السنة، فعفا عن الجميع وردهم إلى بلادهم إلا ما كان من محمد الحاج وبنيه. فإنهم غربوا إلى تلمسان، ومات هو هناك، ولما ولّي الأمر المولى إسماعيل وقعت الشفاعة في الأولاد فرجعوا إلى فاس كما مر.

وفي يوم السبت سابع عشر ذي الحجة من السنة غزا المولى الرشيد آيت عياش من برابر صنهاجة، وفيها أمر بضرب السكة الرشيدية وأفرض تجار فاس وغيرها الثنين وخمسين ألف مثقال بقصد التجارة إلى أن ردوها بعد سنة.

وفي هذه السنة أيضاً حاز طاغية الإصنيف مدينة سبتة من يد البرتغال في سبيل مشارطة وقعت بينهم في مدينة أشبيلية واستمرت في يد الإصنيف إلى الآن.

بناء قنطرة وادي سبو خارج فاس

وفي يوم السبت الرابع عشر من ذي القعدة سنة تسعة وسبعين وألف أمر المولى الرشيد ببناء قنطرة نهر سبو الأفواس الأربع خارج فاس فأخذوا في تهيئه الأسباب وحفر الأساس، وفي منتصف جمادى الثانية سنة ثمانين وألف شرعوا في البناء بالأجر والجير فكملت على أحسن حال.

ولما تكلم الشيخ اليوسي في المحاضرات على الحديث الصحيح: إن

أخن الأسماء عند الله رجل تسمى بملك الأملالك قال ما نصه: ومن البشيع الواقع في زماننا في الأوصاف، أنه لما بني السلطان المولى الرشيد بن الشريف جسر نهر سبو صنع بعضهم يعني: القاضي أبا عبد الله المجاachi آياتاً كتبت فيه برسم الأعلام أولها:

صاغ الخليفة ذا المجاز ملك الحقيقة لا المجاز

قال فحمله اقتناص هذه السجعة والتغالي في المدح والاهتزال بالاسترضاء على أن جعل ممدوحه ملكاً حقيقة لا مجازياً، وإنما ذلك هو الله وحده، وكل ملك دونه مجاز الممدوح وغيره^١.

وفي هذه السنة وذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من رجب خرج المولى الرشيد غازياً الأبيض فقبض على أولاد أخي الأبيض، ولما وصل إلى تازا أمر بقتلهم فقتلوا، ثم مرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت، فأمر بتسريع المساجين وإخراج الصدقات فعفاه الله.

وفي منتصف ذي القعدة من السنة أمر بإعمال وليمة العرس لأخيه المولى إسماعيل بدار ابن شقراء من حضرة فاس الجديد. قال اليفرنبي: «احتفل المولى الرشيد في ذلك العرس بما لم يعهد مثله»^٢. وكانت العروس من بنات الملوك السعديين. وفي شوال من السنة جدد قطارة الرصيف بفاس والله أعلم.

فتح تارودانت وإيليق وسائر السوس

قد قدمنا أن أبي حسون السملالي كان مستولياً على بلاد السوس فاستمر حاله على ذلك إلى أن توفي سنة سبعين وألف، وكان رحمه الله لين الجانب محمود السيرة موصوفاً بالعفة متوقفاً في الدماء، ولما هلك خلفه ولده أبو عبد الله محمد بن أبي حسون، فلما كانت سنة إحدى وثمانين وألف غزا المولى الرشيد رحمه الله بلاد السوس فاستولى على

تارودانت رابع صفر من السنة، وأوقع بهستوكة، فقتل منهم أكثر من ألف وخمسة وأربعين بأهل الساحل فقتل منهم أكثر من أربعة آلاف، وأوقع بأهل قلعة إيلينج دار ملك أبي حسون، فاستولى عليها في مهل ربيع الأول من السنة، وقتل منهم بسفح الجبل أكثر من ألفين وصفاً أمر السوس للمولى الرشيد.

وفي هذه السنة أيضاً في سابع ربيع الأول منها قتل المولى إسماعيل، ورکان نائباً عن أخيه بفاس، ستين رجلاً من أولاد جامع، وكانتوا يقطعون الطريق فقتلهم وصلبهم على سور البرج الجديد. وفيها في جمادى الآخرة منها أمر المولى الرشيد بضرب فلوس النحاس المستديرة، وكانت قبل مربعة وهي الأشقوية وجعل أربعة وعشرين في الموزونة وكانت قبل ثمانية وأربعين ورجع إلى فاس في ثالث رجب من السنة. وفي أول شعبان منها شرع في بناء مدرسة الشراطين بدار الباشا عزوز من فاس وكان قد أمر ببناء مدرسة عظيمة بيازاء مسجد الشيخ أبي عبد الله محمد بن صالح من حضرة مراكش والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

تألیف جیش شراقة وأولیتهم وشرح لقبهم

قد قدمنا في أخبار السعدين: أن لفظ شراقة في الأصل لقب لعرب بادية تلمسان ومن انتصاف إليهم، وسموا بذلك لأنهم في جهة الشرق عن المغرب الأقصى، فأهل تلمسان مثلاً يسمون أهل المغرب الأقصى مغاربة، وأهل المغرب الأقصى يسمون أهل تلمسان مشارقة، إلا أن العامة يلحظون في هذه النسبة فيقولون شراقة بتخفيف الراء وإيقاف المعقودة، وقد كان للسعدين جند من هؤلاء العرب كما مر.

ولما جاء الله بدولة أمير المؤمنين المولى الرشيد رحمه الله واجتمع عليه من عرب آنکاد وغيرهم ما قدمنا ذكره نزع إليه من أهل تلك البلاد عدة قبائل

بعضها من العرب وبعضها من البربر أثناً من ولاية الترك فقبلهم. فمن العرب أشجع (وينو عامر) ومن البربر مدينة وهوارة وينو سوس، فأمر رحمة الله ببناء القصبة الجديدة بفاس بديار لمتون وعرصة ابن صالح وبذل لأصحابه وقواده ألف مثقال لبناء سورها وأمرهم ببناء الدور فيها وأعطى شرقة هؤلاء ألف دينار لبناء قصبة الخميس، بعد أن كان أنزلتهم أولًا بأحواز فاس، فحصل منهم الضرار لأهل المدينة وشكواهم، فأمرهم بالانتقال بحلتهم إلى بلاد صددينة وفشتلة بين النهرين سبو وورغة، وأقطعهم تلك الأرض وعزل عزابهم وأمرهم ببناء بيوتهم على حدة، ثم أعطاهم ألف دينار لبناء سور القصبة كما قلنا، وجعلهم قبيلة واحدة فلم تتميز الآن عربهم من بربيرهم، ثم خرج المولى الرشيد رابع رمضان من السنة لزيارة الشيخ أبي يعزى رضي الله عنه ومنه ذهب إلى سلا فزار صلحاءها وعاد إلى فاس فدخلها منسلخ رمضان المذكور.

ثم دخلت سنة اثنين وثمانين وألف في صفر منها بعث خيلاً للجهاد على طنجة، وفي منتصف جمادى الأولى بعث خيلاً أخرى إلى السوس وعليهم أبو محمد عبد الله آعراس، ثم خرج إلى الصيد بتافرطاس فبلغه هنالك خبر ثورة ابن أخيه المولى محمد بن محمد بمراكب. فرجع إلى فاس، فدخلها يوم السبت حادي عشر رمضان، ثم خرج منها عصر يومه ذلك، فلقيه ابن أخيه بفرازة مقبوضاً عليه يد أصحابه فبعث به إلى تافيلالت وسار هو إلى مراكش وبعث (فائد زيدان العماري) إلى فاس في ذي القعدة ليأتيه بالجيش لغزو السوس، فأتاه أهل السوس طائعين ولم يبق للحركة محل بعد أن كانت الأخبية قد أخرجت إلى وادي فاس وضررت به، فاستقرت قواعد الملك للمولى الرشيد وتمهدت أمور الدولة وأله غالب على أمره.

وفاة أمير المؤمنين المولى الرشيد رحمة الله

كان أمير المؤمنين المولى الرشيد رحمة الله في هذه المدة مقيناً بمراكش كما قلنا إلى أن كان عيد الأضحى من سنة اثنين وثمانين وألف، فلما كان ثاني يوم النحر وهو يوم الخميس ركب فرساً له وأجراه فجمح به في بستان المسرة ولم يملك عنانه فأصابه فرع شجرة نارنج فهشم رأسه وقيل دخل في أذنه وكانت فيه منيته رحمة الله، ودفن بمراكش بالقصبة منها، ثم نقل إلى ضريح الشيخ أبي الحسن علي بن حرزهم بفاس لوصية منه بذلك. ومات رحمة الله وسنة اثنتان وأربعون سنة لأنه ولد سنة أربعين وألف، ورثاه بعضهم بقوله:

لسوء له خدن المحبة جاحد
ولكنه قد غار من لين قده وما شيج ذات الغصن رأس إمامنا
وان من الأشجار ما هو حاسد

قلت: لا يخفى أن مثل هذا الشعر لا يحسن أن ت مدح به الملوك فإنه بالغزل أشبه منه بالرثاء، وكان قد وقع بين المولى الرشيد رحمة الله وبين شيخ الوقت الإمام أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي رضي الله عنه مكاتبات توعده أمير المؤمنين في بعضها فمات عقب ذلك وكفى الشيخ المذكور أمره.

ومن مآثره رحمة الله: أنه لما مر في بعض حركاته بالموضع المعروف بالشط من بلاد الظهراء أمر بحفر آبار شتى فهي الآن تدعى بآبار السلطان إضافة له يستقي منها ركب الحجيج في ذهابه وإيابه، فهي إن شاء الله في ميزان حسناته، وكان رحمة الله محباً في جانب العلماء مؤثراً لأغراضهم مولعاً بمجالستهم محسناً إليهم حيث ما كانوا.

ومن نوادره معهم: ما حكى أن العلامة أبا عبد الله محمد المرابط بن محمد بن أبي بكر الدلاني حضر يوماً بمجلس السلطان المذكور وذلك بعد

الإيقاع بزاورتهم وتغريبهم إلى فاس فأنشد السلطان معرضًا بالفقير المذكور
قول أبي الطيب المتنبي:

ومن نك الدنبا على الحر أن يرى عدوًا له ما من صداقته بد

ففهم أبو عبد الله المرابط إشارته فقال: «أيد الله أمير المؤمنين، إن من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلاً» فاستحسن الحاضرون حسن بديهته ولطف متزنه.

ومن تواضع العولى الرشيد رحمة الله مع أهل العلم ما حكاه صاحب الجيش من أنه بعث إلى بعض علماء عصره ليقرأ معه بعض الكتب فامتنع ذلك العالم وقال كما قال الإمام مالك رضي الله عنه: «العلم يوتى ولا يأتي» قال: «فكان المولى الرشيد رحمة الله يتربّد لمتزل ذلك العالم لقراءة عليه، وقد ذكر صاحب «نشر المثاني»: «أنه كان يحضر مجلس الشيخ البوسي بالقرويين» اهـ. وهذه لعمري منقبة فخيمة، وما ثرة جسيمة، فرحم الله تلك الهمم التي كانت تعرف للعلم حقه وتقدر قدره، قالوا: وكان رحمة الله جواداً سخياً رحل الناس إليه من المشرق فما دونه وقصده بعض طلبة ثغر الجزر افamtidhه بيبيتين وهما:

فاض بحر الفرات في كل قطر من ندى راحتلك عذباً فراتاً
غرق الناس فيه والتمس الفق بر خلاصاً فلم يجده فماتا
فوصله بألفين وخمسين ديناراً.

قال اليفرنى: وشأوه رحمة الله في السخاء لا يلحق، والحكايات عنه بذلك شهيرة، وفي أيامه كثر العلم واعتذر أهله وظهرت عليهم أبهته، وكانت أيامه أيام سكون ودعة ورخاء عظيم حتى قيل إنه في اليوم الذي يوم فيه بفاس كان القمع في أول النهار بخمس أواق للسد وصار في آخره بنصف أوقية فتيمن الناس بولاته واغتبطوا بها، والله تعالى أعلم.

الخبر عن دولة أمير المؤمنين المظفر باشة أبي النصر المولى إسماعيل بن الشريف رحمة الله

لما توفي المولى الرشيد رحمة الله في التاريخ المقدم وكان أخوه المولى إسماعيل بمكناسة الزيتون خليفة على بلاد الغرب فبلغه خبر موته فاجتمع الناس عليه وبايعوه وافتقت كلمتهم عليه، ثم قدم عليه أعيان فاس وأعلامها وأشرافها ببيعتهم، وقدم عليه أهل بلاد الغرب من الحواضر والبواقي كذلك بهداياهم وبيعاتهم إلا مراكش وأعمالها فإنه لم يأت منها أحد، فجلس رحمة الله للوفود إلى أن فرغ من شأنهم ورتب أمره بمكناسة وعزم على السكنى بها إذ كان لا يغى بها بدلاً حيث أعجبه ما بها وهوأها هكذا في البستان.

وقال أبو عبد الله اليفريني في النزهة ونحوه في «نشر المثاني»: «لما توفي المولى الرشيد رحمة الله اتصل خبر وفاته بالمولى إسماعيل وهو يومئذ خليفة بفاس الجديد ليلة الأربعاء السادس عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وألف ببوعير رحمة الله، وحضر بيته أعيان المغرب وصلحاؤه بحيث لم ينزع في أنه أحق بها وأهلها أحد ممن يشار إليه»، زاد في «الظلل الظليل»: «ووافق على بيته أهل الحل والعقد من العلماء والأشراف كالشيخ أبي محمد عبد القادر بن علي الفاسي، والشيخ أبي علي اليوسي، وأبي عبد الله محمد بن علي الفيلالي، وأبي العباس أحمد بن سعيد المكيلي، وأبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي، وأخيه أبي زيد صاحب نظم العمل، والقاضي أبي مدين، وغيرهم من بقية الأعيان، وكانت بيته في السنة الثانية من يوم الأربعاء السادس عشر من ذي الحجة المذكور آنفاً، ووافق ذلك اليوم الثالث من شهر إبريل العجمي.

وكان سنة يوم ببوعير ستاً وعشرين سنة لأن ولادته كانت عام وقعة

القاعة وهي مؤرخة بخط من يوثق به سنة ست وخمسين وألف، ولما تمت بيته نهض بأعباء الخلافة وضبط الأمور وأحسن السيرة.

ثورة المولى أبي العباس أحمد بن محرز بن الشريف وما كان من أمره

لما توفي المولى الرشيد رحمه الله واتصل خبر وفاته بأهل سجلماسة وغيرها أقبل ابن أخيه المولى أبو العباس أحمد بن محرز مبادراً إلى مراكش طالباً للأمر وداعياً إلى نفسه، والتفت عليه طواف من عرب السوس وغيرهم وغلب على تلك النواحي ونشبت أهل مراكش بلامع برقة، وبذلك تقاعدوا عن الوفادة على أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمه الله.

ولما صرحت به خبر ابن محرز وذلك في آخر ذي الحجة من السنة نهض إلى مراكش فوصل إليها ويرزق إليها أهلها فيمن انضم إليهم من قبائل أحوازها وقاتلواه فانتصر عليهم وهزمهم، ودخل مراكش عنوة يوم الجمعة سابع صفر سنة ثلاث وثمانين وألف، فعفا عن أهلها، وأجفل ابن محرز وشييعته إلى حيث نجوا.

ولما احتل المولى إسماعيل بمراكش أمر بنقل شلو أخيه المولى الرشيد في تابوتة إلى فاس ليُدفن بضريح الشيخ ابن حزبهم كما مر، ثم قفل السلطان إلى مكناس منسلخ ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وألف.

انتقام أهل فاس وقتلهم القائد زيدان وإعلانهم بدعة ابن محرز وما نشا عن ذلك من محاصرة السلطان لهم

لما قفل أمير المؤمنين المولى إسماعيل إلى مكانة أخذ في ترتيب أمور دولته وفرق الراتب على الجندي وكان عازماً على غزو بلاد الصحراء فلم يرمه إلا الخبر بأن أهل فاس قد انتقضوا وقتلوا قائد الجيش زيدان بن عبيد العامري وكان مقتله ليلة الجمعة ثانية جمادى الأولى من السنة فزحف السلطان إليهم وحاصرهم واستمر القتال بينه وبينهم أيام، ثم بعثوا إلى المولى أحمد بن محرز ليأتيهم فيجتمعوا عليه فقدم بدبو وأنزل على ملوية ويعث إليهم رسوله يعلمهم بمجيئه فأعلنوا بنصره، وذلك يوم الخميس العشرين من جمادى الثانية من السنة، وفي منتصف الشهر المذكور بعثوا عشرة من الخيول للقاء بتازا، ثم أصبح عليهم رسول الخضر غيلان يعلمهم بأنه قد قدم من ثغر الجزائر في البحر، وأنه نزل بتطاوين مع رؤسائها أولاد النقسيين، فتشعبت الآراء وتعددت أسباب الهراش، وتكللت الظباء على خداش، وهاجت فتنة بفاس قتل فيها ثغر من أولاد الثائر المتقدم أبي الريح سليمان الزرهوني على يد مولاي أحمد بن إدريس من شرفاء دار القبطون، ثم قتل بعض شيعة الزرهوني مولاي حميد بن إدريس أخا الشريف المذكور، وكان ما كان مما لست أذكره.

ولما اتصل خبر ابن محرز بالمولى إسماعيل نهض إليه في جنوده قاصداً تازا فحاصرهم بها أشهراً فقرّ عنها ابن محرز ودخل الصحراء، ولما علم السلطان بقراره عدل إلى ناحية الهبط يقصد الخضر غيلان فحاربه إلى أن ظفر به وقتلته يوم الأحد العشرين من جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وألف، وعاد إلى فاس الجديد أواسط جمادى الثانية من السنة، وحاصر أهل فاس وطاولهم ولم يحدث معهم حريراً إلى أن أذعنوا إلى الطاعة وراجعوا بصائرهم ففتحوا البلد وخرجوا إلى السلطان تائين فغاف عنهم، وذلك في سابع عشر

رجب سنة أربع وثمانين وألف، فكانت مدة انتقادهم أربعة عشر شهراً وثمانية عشر يوماً ذاقوا فيها وبال أمرهم، ثم ولـي عليهم القائد أبي العباس أحمد التلمساني، وعلى فاس الجديد الوزير أبي زيد عبد الرحمن المنزارى وسار إلى مكناسة، ثم عاد بالقرب، إلا أن هذين الوالـيين قد جارا في الحكومة، وعاثا في البلدين بضرر الأبشر ونهب الأموال وغير ذلك والله لا يظلم مثقال ذرة، وعزل أيضاً عن خطابة القرويين الفقيه أبي عبد الله البوعناني وولـاما القاضي أبي عبد الله المجاـصي وذلك في آخر رجب من السنة والله أعلم.

تجدد أمير المؤمنين المولى إسماعيل بناء مـكنـاسـةـ الـزـيـتـونـ وـاتـخـاذـهـ إـيـاـهـاـ دـارـ مـلـكـهـ

كانت مدينة مـكـنـاسـةـ الـزـيـتـونـ منـ الأمـصـارـ الـقـدـيمـةـ بـأـرـضـ الـمـغـرـبـ بـنـاهـاـ البرـيرـ قـبـلـ الـإـسـلـامـ؛ـ ولـماـ جـاءـتـ دـوـلـةـ الـمـوـحـدـيـنـ حـاـصـرـوـاـ مـكـنـاسـ سـيـعـ سـنـينـ ثـمـ اـفـتـحـوـهـاـ عـنـهـاـ أـوـاسـطـ الـمـائـةـ السـادـسـةـ وـخـرـبـوـهـاـ،ـ ثـمـ بـنـواـ مـكـنـاسـ الـجـدـيـدـةـ الـمـسـعـاةـ بـتـاكـرـارـتـ،ـ وـمـعـنـاهـاـ:ـ الـمـحـلـةـ،ـ وـاعـتـنـىـ بـهـاـ بـنـوـ مـرـينـ مـنـ بـعـدـهـمـ فـبـنـواـ قـصـبـتـهاـ وـشـيـدـوـ بـهـاـ الـمـسـاجـدـ وـالـمـدـارـسـ وـالـزـوـاـيـاـ وـالـرـبـطـ،ـ وـكـانـتـ يـوـمـنـذـ هيـ كـرـسـيـ الـوـزـارـةـ كـمـاـ أـنـ حـضـرـةـ فـاسـ الـجـدـيـدـ هيـ كـرـسـيـ الـإـمـارـةـ،ـ وـاـخـتـصـتـ مـكـنـاسـ بـطـيـبـ الـتـرـيـةـ وـعـذـوبـيـةـ الـمـاءـ وـصـحةـ الـهـوـاءـ وـسـلـامـةـ الـمـخـزنـ مـنـ التـعـفـينـ وـغـيـرـ ذـلـكـ.ـ وـقـدـ وـصـفـهـاـ اـبـنـ الـخـطـيـبـ فـيـ مـوـاضـعـ مـنـ كـتـبـهـ مـثـلـ «ـالـنـفـاضـةـ»ـ وـ«ـالـمـقـامـاتـ»ـ وـغـيـرـهـماـ وـأـثـنـيـ عـلـيـهـاـ نـظـمـاـ وـنـشـرـاـ وـأـنـشـدـ قـوـلـ اـبـنـ عـبـدـونـ مـنـ أـهـلـهـ فـيـهـاـ:

إـنـ تـفـتـخـرـ فـاـسـ بـمـاـ فـيـ طـيـبـهاـ وـبـأـنـهـاـ فـيـ زـيـمـاـ حـسـنـاءـ
يـكـفـيـكـ مـنـ مـكـنـاسـ أـرـجـاؤـهـاـ وـالأـطـيـبـانـ هـوـاـهـاـ وـالـمـاءـ

فـلـمـاـ كـانـ بـهـذـهـ الـمـثـابـةـ كـانـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ الـمـوـلـيـ إـسـمـاعـيلـ رـحـمـهـ اللهـ لـاـ

ييفي بها بدلأً، فلما فرغ من أمر فاس رجع إليها وشرع في بناء قصور. بها بعد أن هدم ما يلي القصبة من الدور، وأمر أربابها بحمل أقاضها، وبنى لهم سوراً على الجانب الغربي، وأمر ببناء دورهم به، وهدم الجانب الشرقي كله من المدينة وزاده في القصبة القديمة، ولم يبق أمامه إلا الفضاء فجعل ذلك كله قصبة. وبنى سور المدينة وأفردها عن القصبة وأطلق أيدي الصناع في البناء ومداومة العمل، وجلبهم من جميع حواضر المغرب، ولما لم يقنعه ذلك فرض العملة على القبائل مناوية، فصارت كل قبيلة من قبائل المغرب تبعث عدداً معلوماً من الرجال والبهائم في كل شهر، وفرض الصناع وأهل الحرف على الحواضر، فصار أهل كل مصر يبعثون من البنائين والنجارين وغيرهم عدداً معلوماً كذلك، وأسس المسجد الأعظم بداخل القصبة مجاوراً لقصر النصر الذي كان أساسه في دولة أخيه المولى الرشيد رحمة الله، ثم أسس الدار الكبرى التي بجوار الشيخ المجنوب، واستمر البناء والغرس بمحكمة سنين كما سيأتي التنبية على ذلك في مجلمه إن شاء الله.

مجيء المولى أحمد بن محرز إلى مراكش واستيلاؤه عليها ونهوض السلطان إلى محاصರته بها

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وألف فيها ورد الخبر على السلطان المولى إسماعيل وهو بمكناسة بدخول ابن أخيه المولى أحمد بن محرز مراكش واستيلائه عليها، وكان السلطان يومئذ متوجهاً إلى آنکاد لما بلغه من عيش العرب الذين به وقطعهم الطريق فلم يشه ذلك عنهم بل سار إليهم وأوقع بسقونة منهم وقتل خلقاً كثيراً ونهب ورجع مؤيداً منصوراً، ثم استعد لحرب ابن محرز وخرج في العساكر على طريق تادلا، فكان اللقاء بينهما على أبي عقبة من وادي العبيد، فاقتتلوا وأنهزم ابن محرز وقتل كبير جيشه

حيلة الطويري، ورجع أتراجه إلى مراكش، فتبعته السلطان المولى إسماعيل، وألقى بكلكله على مراكش أوائل سنة ست وثمانين وألف، ونما إليه أن بعض أهل محلته قد أضمروا الغدر منهم الشيخ عمر البطوئي وولده عبد الله آعراس وإخوته، هؤلاء كانوا أمراء عسكراً، فاحتقهم وأتلف نفوسهم، ويعث إلى من بقي منهم بفلس قبيض عليهم وقتلوا وحيزت دورهم وأموالهم.

واستمر السلطان محاصراً لمراكش إلى ربيع الثاني من سنة سبع وثمانين وألف فشدد في الحصار، وازدلف إليها في جنوده، فوقع قتال عظيم مات فيه من الفريقين ما لا يحصى، واتحجز ابن محرز داخل البلد ويقي يقاتل من أعلى الأسوار، ثم تمادي الحصار إلى ثاني ربيع الثاني من سنة ثمان وثمانين وألف، فاشتد الأمر على ابن محرز وضاق فرعاً، فخرج فلزاً عن مراكش ناجياً فيما أبنته الحرب من جموعه. ودخل السلطان المولى إسماعيل المدينة عنوة، فاستباحها وقتل سبعة من رؤسائها وكحل ثلاثة منهم وهدأت الفتنة وذهبت أيام المحنة. والله غالب على أمره.

تأليف جيش الودايا وبيان فرقهم وأولياتهم

هذا الجيش من أمثل جيوش هذه الدولة الشريفة أبقى الله فضلها ويسط على البلاد والعباد يمتها وعلتها وهو ينقسم إلى ثلاثة أرجاء: رحى أهل السنوس، ورحى المغافرة، ورحى الودايا، ويطلق على الجميع ودايا تغليباً، فاما أهل السنوس فمنهم أولاد جرار وأولاد مطاع وزراة والشبانات وكلهم من عرب معقل، وكانتوا في القديم جنداً للدولة السعودية، وكان ملوكها يستغرونهم للغزو بحللهم لاعتقادهم ذلك أيام كونهم بالصحراء، ثم أتزلوهم ببساط آذغار مراغمة لعرب جشم من الخلط وسفيان وغيرهم، إذ كانت

الخلط شيعةبني مرين وأصحابهم كما مر، فلما جاءت الدولة السعودية بقوا منحرفين عنها، وكلما طرقها خلل ناروا عليها وخرجوا عن طاعتها، فقيض لهم السلطان محمد الشيخ السعدي هؤلاء القبائل من معقل وزاحمهم بهم في بلادهم، وشغلهم بهم، فكانت تكون بينهم العروبة، فتارة تتصرف معقل من جسم، وتارة العكس حتى أوقع المنصور السعدي بالخلط وقيعته الشهيرة، وأسقطهم من الجنديّة، فنقل أولاد مطاع إلى زينة قرب تادلا.

ولما أشرفَت الدولة السعودية على الهرم استطاعت الشيّانات عليها بما كان لهم من الخولة على أولاد السلطان زيدان، فاستبدت فرقة منهم بمراكنش كما مر، وثارت أخرى بقاس الجديد مع أبي عبد الله الترمي المغلوب بها حسبما سلف، إلى أن نقل أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمة الله جميعهم إلى وجدة كما سيأتي، ثم خلطهم بعد بإخوانهم من المغافرة والودايا وصبر الجميع جيشاً واحداً فهذه أولية أهل السوس.

وأما المغافرة فسيأتي بيان كيفية اتصالهم بالمولى إسماعيل ومصادرتهم له.

وأما الودايا فكان السبب في جمعهم واستعمالهم في الجنديّة أنه لما فتح المولى إسماعيل رحمة الله مدينة مراكش الفتح الثاني وأجفل ابن محرز عنها أقام بها أياماً، ثم خرج إلى الصيد بالبسيط المعروف بالبحيرة من أحواز مراكش، فرأى أعرابياً يرعى غنماً له وبيده شفرة يقطع بها السرر ويضعه لقنه لتأكل ورقة، فقال للوزعة: «عليّ بأبي الشفرة» فأسرعوا إليه وجاؤوا به إلى أن أوقفوه بين يديه، فسألته فانتسب له إلى: ودي، كعنى: قبيلة من عرب معقل بالصحراء، وأخبره بأنهم دخلوا من بلاد القبلة بسبب جدب أصحابهم، قال: «دخلنا السوس بنجع كبير فاقتربنا وذهب كل طائفة منها إلى قيلة فنزلت عليها، ونحن نزول مع الشيّانات» فقال له المولى إسماعيل رحمة الله: «أنت أخي وسمعتم بخبرني ولم تأتوني، والآن أنت صاحبي وإذا رجعت بختك

إلى خيمتك فاقدم على مراكش» وأوصى به من يوصله إليه، ثم بعد أيام قدم أبو الشفرة على السلطان فكساه وحمله وبعث معه خيلاً يجمع بها إخوانه من قبائل العوز، فجمع من وجد منهم وجاء بهم إلى السلطان فأثبتتهم في الديوان وكساهم وحملهم، ثم نقلهم بحلتهم إلى مكناسة الزيتون دار الملك ومقر الخلافة.

ثم دخل نجع آخر بعدم فاثبتهم في الديوان أيضاً وبالغ في إكرامهم والإحسان إليهم وعين لسكناتهم من مكناسة المحل المعروف بالرياض بجوار قصبتها، وأمرهم ببناء الدور وأعطى أعيانهم ورؤسائهم التواب و هي: الزوايا التي لا تغрем مع القبائل، ثم قدم نجع ثالث جاؤوا من جهة القبلة فأثبتتهم كإخوانهم الذين قدموا قبلهم وسلك بهم مسلكهم.

ولما نقل رحمه الله زارة والشبانات الذين كانوا بفاس الجديد مع الدريدي بعث بهم إليها أيضاً ليجتمعوا مع إخوانهم، ثم قسم الودايا الذين بالرياض قسمين فبعث نصفهم إلى فاس الجديد وعمره بهم. وولى عليهم القائد أبي عبد الله محمد بن عطية منهم، وأبقى النصف الآخر بالرياض من مكناسة، وولى عليهم القائد أبي الحسن علينا المدعو بأبي الشفرة، فكانا يتداولان القسمين مرة هذا ومرة هذا. ثم استقر الأمر على أن صار أبو الشفرة بفاس وأبن عطية بالرياض.

وأما خبر الخلط: فإنه لما أوقع بهم المنصور السعدي تفرقوا في القبائل شذر مذر، وصاروا عيالاً على غيرهم، ولما أشرفت الدولة السعودية على الهرم اجتمعوا ورجعوا إلى أزغاف فغلبوا عليه، وعفوا وكتروا وتمولوا وأثروا من الخيال والسلاح إلى أن جاء الله بالمولى إسماعيل رحمه الله فانتزع منهم خيلهم وسلاحهم كغيرهم من قبائل المغرب، وضرب عليهم المغارم، واستمروا على ذلك إلى أيام السلطان المرحوم المولى محمد بن عبد الله ظهروا في دولته، وكانوا يعكسون معه في حروب ويغرون ما وجب عليهم

من الزكوات والأعشار، وكذلك مع ابنه المولى سليمان وابن ابنه المولى عبد الرحمن بن هشام رحم الله الجميع بمنه، وهم اليوم في عداد القبائل الغارمة، وكذا قبائل الحوز الذين هم من عرب معقل كلهم غارمة، والله تعالى المحتول لأمور العباد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

انتفاض البربر شيعة الدلائين والتغافلهم على أحد بن عبد الله منهم ولِيقاع السلطان بهم

لما كان أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمة الله مقيماً بمراكش بعد فرار المولى أحمد بن محرز عنها بلغه اجتماع البربر الصنهاجيين على أحمد بن عبد الله الدلائي وعيщهم فيمن جاورهم من قبائل العرب من تادلا إلى سايس، فأبعث رحمة الله عسكراً إلى تادلا إعانته لأهلها على البربر فهزموهم البربر وقتلوا يخلف وانتهبا واستولوا على تادلا، ثم بعث إليهم عسكراً آخر في ثلاثة آلاف من الخيول وعقد عليه ليخلف فهزموهم البربر وقتلوا يخلف وانتهبا معسراً، ثم أعقبهما بعسكر ثالث فوق به ما وقع بالأولين هذا كله والسلطان مقيم بمراكش يرصد ابن محرز الذي بالسوس، ثم بلغه قيام أخيه المولى حمادة بالصحراء وحربه لأخيه المولى محرز الثائر بها أيضاً، وهو والد المولى أحمد صاحب السوس فقدم السلطان رحمة الله الأهم ورجع إلى حرب البربر بتادلا خوفاً من اتساع خرقهم على الدولة، وهناك لقيه أخوه المولى الحران جاء مسترضاً له على أخيه المولى حمادة، ثم تقدم السلطان رحمة الله إلى البربر فأوقع بهم وقعة شناعة واستحلبهم وقطع منهم سبعمائة رأس بعث بها إلى فاس مع عبد الله بن حمدون الروسي. وفي «نشر المثاني» أنه قتل من البربر يومئذ ثلاثة آلاف فزيت المدينة وأخرجت المدافعين وكان يوماً مشهوداً، ولما انقضت الواقعة فرَّ المولى الحران من

المحلة إلى الصحراء ورجع السلطان إلى مكناسة فدخلتها في أواسط شوال سنة ثمان وثمانين وألف.

وفي هذه الأيام ولـي قضاء فاس الفقيه الورع أبا عبد الله محمد العربي بردة بعد عزل القاضي أبي عبد الله المجاuchi، ولـي مظالمها وجبايتها عبد الله الروسي، ولـي مواريثها أباء حمدون، وأمر بقتل أهل تطاوين الذين كانوا يسجن فاس وهم عشرون فضررت أعناقهم ورفعت على الأسوار، ثم جيء بالمولى الحران من الصحراء مقيداً مغلولاً فلما قابله من عليه وأطلقه وأعطاه خيلاً وأقطعه مداشر الصحراء يتعيش بها وسرحه إلى حال سـيله.

عود الكلام إلى بناء حضرة مكناسة الزيتون

واستمر السلطان المولى إسماعيل رحمـه الله بمـكـناسـة قـائـماً عـلـى بـنـاء حـضـرـتها بـنـفـسـه وـكـلـمـا أـكـمـلـ قـصـرـاً أـسـنـ غـيرـهـ، وـلـمـا ضـاقـ مـسـجـدـ القـصـبةـ بـالـنـاسـ أـسـنـ الجـامـعـ الـأـخـضـرـ أـعـظـمـ مـنـهـ، وـجـعـلـ لـهـ بـابـينـ بـابـاًـ إـلـىـ القـصـبةـ وـبـابـاًـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ وـجـعـلـ رـحـمـهـ اللـهـ لـهـنـدـ القـصـبةـ عـشـرـينـ بـابـاًـ عـادـيـةـ فـيـ غـاـيـةـ السـعـةـ وـالـارـتـقـاعـ، مـقـبـوـةـ مـنـ أـعـلاـهـ وـفـوـقـ كـلـ بـابـ مـنـهـ بـرجـ عـظـيمـ عـلـيـهـ مـنـ المـدـافـعـ النـحـاسـيـةـ الـعـظـيمـةـ الـأـجـرـامـ وـالـمـهـارـيـسـ الـحـرـيـةـ الـهـائـلـةـ الـأـشـكـالـ مـاـ يـقـضـيـ مـنـهـ الـعـجـبـ، وـجـعـلـ فـيـ هـذـهـ القـصـبةـ بـرـكـةـ عـظـيمـةـ تـسـيرـ فـيـهـ الـفـلـكـ وـالـزـوـارـقـ الـمـتـخـلـنـةـ لـلـنـزـهـةـ وـالـابـسـاطـ، وـجـعـلـ بـهـاـ هـرـيـاـ عـظـيمـاـ لـاـخـرـزانـ الطـعـامـ مـنـ قـمـحـ وـغـيـرـهـ مـقـبـوـةـ الـقـنـاتـيـطـ، يـسـعـ زـرـعـ أـهـلـ الـمـغـرـبـ، وـجـعـلـ بـجـوارـهـ سـوـاقـيـ للـمـاءـ فـيـ خـلـيـةـ الـمـعـمـقـ مـقـبـوـةـ عـلـيـهـاـ، وـجـعـلـ فـيـ أـعـلاـهـ بـرـجـاـ عـظـيمـاـ مـسـتـدـيرـ الشـكـلـ لـوـضـعـ الـمـلـافـعـ الـمـوـجـةـ إـلـىـ كـلـ جـهـةـ، وـجـعـلـ بـهـاـ إـصـطـبـلـاـ عـظـيمـاـ لـمـرـيطـ خـيـلهـ وـبـغـالـهـ مـسـيـرـةـ فـرـسـخـ فـيـ مـثـلـهـ مـسـقـفـ الـجـوـانـبـ بـالـبـرـشـلـةـ عـلـىـ أـسـاطـيـنـ وـأـقوـاسـ عـظـيمـةـ، فـيـ كـلـ قـوـسـ مـرـيطـ فـرـسـ وـبـيـنـ الـفـرـسـ وـالـفـرـسـ عـشـرـونـ شـيـراـ، يـقـالـ: إـنـهـ كـانـ مـرـيوـطـاـ بـهـذـاـ الـإـصـطـبـلـ اـثـنـيـ عـشـرـ أـلـفـ فـرـسـ مـعـ كـلـ فـرـسـ سـائـسـ مـنـ

ال المسلمين و خادم من أسرى النصارى يتولى خدمته ، وفي هذا الإصطبل مائة من الماء دائرة عليه مقبوة الظهر ، وأمام كل فرس منها ثقب كالمعدة لشربه ، وفي وسط هذا الإصطبل قباب معلنة لوضع سروج الخييل على أشكال مختلفة ، وفيه أيضاً هري عظيم مربع الشكل مقبوب الأعلى على أساطين عظيمة وأقواس هائلة لوضع سلاح الفرسان أصحاب الخييل ، وينفذ إليه الضوء من شبابيك في جوانبه الأربع كل شباك ينبع وزنه على قنطرة من حليدين ، وفوق هذا الهري من أعلىه قصر يقال له : المتصور ، ولا يقصر ارتفاعه من مائة ذراع خمسون في الأسفل وخمسون في الأعلى ، وفيه عشرون قبة في كل قبة طاق عليه شباك من حليدين يشرف منه أهل القبة على بسيط مكناسة من الجبل إلى الجبل ، وكل قبة مسقفة باليرشلة والقرمود وغير ذلك ، ثم أربع قباب منها مقابلة سعة كل واحدة منها سبعون شيئاً في مثلها ، وبباقي العشرين أربعون . ويجاور هذا الإصطبل بستان على قدر طوله فيه من شجر الزيتون وأنواع الفواكه كل غريب ، طوله فرسخ وعرضه ميلان ، ويتخلل هذه القصور التي في داخل القلعة بشوارع مستطيلة متعددة وأبواب عظيمة فاصلة بين كل ناحية وبين الأخرى ، وورحاب عظيمة مربعة معلنة لعمارة المشور في كل جانب ، إلى غير ذلك مما لا يحيط به الوصف .

قال صاحب «البستان» : «وقد شاهدنا آثار الأقدمين بالشرق والمغرب وببلاد الترك والروم فما رأينا مثل ذلك في دولهم ولا شاهدناه في آثارهم ، بل لو اجتمعت آثار دول ملوك الإسلام لرجح بها ما بناء السلطان الأعظم المولى إسماعيل رحمة الله في قلعة مكناسة دار ملكه ، ولم تزل تلك البناءات على طول النهر قائمة كالجبال لم تخلفها عواصف الرياح ولا كثرة الأمطار والتلوج ولا آفات الزلازل التي تخرب المباني العظام والهياكل الجسام » قال : «ومن يوم مات المولى إسماعيل والملوك من بنيه وحفدته يخرسون تلك القصور على قدر وسعهم ويحسب طاقتهم ويسدون بأنقاضها من خشب وزجاج

ورخام ولبن وقرمود ومعدن وغير ذلك إلى وقتنا هذا. وبينيت من أنقاضها مساجد ومدارس ورباطات بكل بلد من بلدان المغرب، وما أتوا على نصفها هذه مدة من مائة سنة، وأما الجدرات فلا زالت مائلة كالجبال الشوامخ وكل من شاهد تلك الآثار من سفراء الترك والزروم يعجب من عظمتها ويقول ليس هذا من عمل بني آدم ولا يقوم به مال آدم.

تألیف جیش عبید البخاری و ذکر اولیتہم و شرح تسمیتهم

هذا الجيش من أعظم جيوش هذه الدولة السعيدة كما تقف عليه، وكان السبب في جمعه ما وجد مفصلاً في كتاب كاتب الدولة الإسماعيلية ووزيرها الأعظم الفقيه الأديب أبي العباس أحمد اليعمدي رحمه الله، قال: لما استولى السلطان المولى إسماعيل بن الشريف على مراكش ودخلها أول مرة كان يكتب عسكره من القبائل الأحرار حسبما مر، حتى أنه الكاتب أبو حفص عمر بن قاسم المراكشي المدعو عليليش، وبيتهم بيت رياضة من قديم. وكان والده كاتباً مع المنصور السعدي ومع أولاده من بعده، فتعلق أبو حفص هذا بخدمة السلطان المولى إسماعيل وأطلاعه على دفتر فيه أسماء العبيد الذين كانوا في عسكر المنصور، فسأل السلطان رحمه الله هل بقي منهم أحد؟ قال: «نعم، كثير منهم ومن أولادهم وهم متفرقون بمراكش وأحوازها وبقبائل الديبر، ولو أمرني مولانا بجمعهم لجتمعهم» فولاه أمرهم وكتب له إلى قواد القبائل يأمرهم بشد عضده وإعانته على ما هو بصدره فأخذ عليليش يبحث عنهم بمراكش وينتظر عن أنسابهم إلى أن جمع من بها منهم، ثم خرج إلى الديبر فجمع من وجده، ثم سار إلى قبائل الحوز فاستقصى من فيها حتى لم يترك بتلك القبائل كلها أسود، سواء كان مملوكاً أو حرطانياً أو حراً أسود، واتسع الخرق وعسر الرتق فجمع في سنة واحدة ثلاثة آلاف

رأس، منهم المتزوج والعزب ثم كتبهم في دفتر ويبعث به إلى السلطان بمكناة فتصفحه السلطان وأعجبه ذلك فكتب إليه بأمره بشراء الإمام للأعزاب منهم، ويدفع أثمان المماليك منهم إلى ملاكهم ويكسوهم من أغشار مراكش، وتأتي بهم إلى مكناة فاجتهد عليليش في ذلك واشترى من الإمام ما قدر عليه، وجمع من العرطانيات عدداً إلى أن استوفى الغرض وكماهم وألزم القبائل بحملهم إلى الحضرة، فحملوا من قبيلة إلى أخرى إلى أن وصلوا مكناة، فأعطاهم السلطان السلاح وولى عليهم قوادهم، ويبعث إليهم إلى الموضع المعروف بال محللة من مشروع الرملة من أعمال سلا.

ثم بعث السلطان كاتبه أبي عبد الله محمد بن العياشي المكتناسي إلى قبائل المغرب وبني حسن وأمره بجمع العبيد الذين بها فمن لا ملك لأحد عليه يأخذنه مجاناً، ومن كان مملوكاً لأحد فليعطي صاحبه ثمنه ويحوزه منه، فخرج ابن العياشي وطاف في تلك القبائل واستقصى كل أسرد بها، وكان السلطان قد كتب أيضاً إلى عمالة بالأمسار بأن يشتروا له العبيد والإماء من فاس ومكناة وغيرهما من حواضر المغرب عشرة مثاقيل للمعبد وعشرة مثاقيل للآمة، فاستوعبوا ما وجدوا حتى لم يبق عند أحد عبد ولا آمة، فاجتمع مما اشتراء العمال ثلاثة آلاف أخرى، فكماهم السلطان وسلحهم ويبعث بهم إلى المحللة بعد أن عين لهم قوادهم، ثم أن ابن العياشي قدم بدفتر فيه ألفان من العبيد فيهم المتزوج والعزب، فكتب السلطان إلى القائد أبي الحسن علي بن عبد الله الريفي صاحب بلاد الهبط أن يشتري للأعزاب منهم الإمام ويكسوهم ويعطيهم السلاح من تطاوين ويعين لهم قوادهم ويبعث بهم إلى المحلة، فصار المجموع ثمانية آلاف، وهذا العدد هو الذي نزل أولاً بها.

ثم ألزم السلطان قبائل تامستا ودكالة أن يأتوا بعيد المخزن الذين عندهم فلم يسعهم إلا الامتثال، فجمعوا كل عبد في بلادهم وزادوا بالشراء من عندهم، وأعطوهم الخيل والسلاح وكسوهم ويعشاوا بهم فمن تامستا

القان، ومن دكالة القان، فأنزلهم السلطان بوجه عروس من أحواز مكناسة إلى أن بنى قصبة آدحسان فأنزل عبيد دكالة بها وأنزل عبيد تامستا بزاوية أهل الدلاء.

ثم دخلت ستة تسع وثمانين وألف فيها غزا السلطان المولى إسماعيل صحراء السوس فبلغ آفاؤطاطاً وتيشيت وشنكيط وتخوم السودان فقدمت عليه وفود العرب هنالك من أهل الساحل والقبلة ومن دليم وبريوش والمعافرة ووادي ومطاع وجرار وغيرهم من قبائل معقل وأدوا طاعتهم، وكان في ذلك الوفد الشيخ بكار المغفري والد الحرة خناثي أم السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل، فأهدي الشيخ المذكور إلى السلطان ابته خناثي المذكورة، وكانت ذات جمال وفقه وأدب، فتزوجها السلطان رحمة الله وبنى بها وجلب في هذه الغزوة من تلك الأقاليم ألفين من الحرطاطين بأولادهم فكساهم بمراکش وسلحهم، وولى عليهم، وبعث بهم إلى المحلة وقتل هو إلى حضرته من مكناسة فكان عدد ما جمع من العسكر البخاري أربعة عشر ألفاً، عشرة آلاف منها بمشعر الرملة وأربعة آلاف بآدحسان وما والاها من بلاد البرير، ثم عفوا وتناسلوا وكثروا حتى ما مات المولى إسماعيل إلا وقد بلغ عددهم مائة وخمسين ألفاً كما سيأتي إن شاء الله.

واعلم أنه قد وقع في هذه الأخبار لفظ الحرطاني، ومعناه في عرف أهل المغرب: العتيق، وأصله الحر الثاني كان الحر الأصلي حر أول وهذا العتيق حر ثان ثم كثر استعماله على الألسنة فقيل الحرطاني على ضرب من التخفيف.

وأما سبب تسمية هذا الجيش بعبيد البخاري: فإن المولى إسماعيل رحمة الله لما جمعهم وظفر بمراده بعصبيتهم واستغنى بهم عن الانتصار بالقبائل بعضهم على بعض حمد الله تعالى وأثنى عليه، وجمع أعيانهم وأحضر نسخة من صحيح البخاري وقال لهم: «أنا وأنت عبيد لسنة رسول الله ﷺ وشرعه المجموع في هذا الكتاب، فكل ما أمر به نفعله وكل

ما نهى عنه تركه وعليه نقاتل» فعاهدوه على ذلك، وأمر بالاحتفاظ بتلك النسخة وأمرهم أن يحملوها حال ركوبهم ويقدموها أمام حربهم كتابوتبني إسرائيل، وما زال الأمر على ذلك إلى هذا العهد فلهذا قيل لهم عبيد البخاري.

قال في «البستان»: «كان مآل هذا العسكر البخاري مع أولاد أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمة الله مثل مآل الترك مع أولاد المعتصم بن الرشيد العباسي في كونهم استبدوا عليهم وصاروا يولون ويعزلون ويقتلون ويستحيون إلى أن تم أمر الله فيهم وتلاشى جمعهم وتفرقوا في البلاد شذر مذر، وما أحياهم إلا السلطان المرحوم المولى محمد بن عبد الله ولما عفوا وكثروا خرجوا عليه بابته المولى يزيد وفعلوا فعلتهم التي فعلوها من قبل حسبما تسمعه بعد إن شاء الله».

غزو أمير المؤمنين المولى إسماعيل بلاد الشرق وانعقاد الصلح بينه وبين دولة الترك أهل الجزائر

ثم غزا أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمة الله بلاد الشرق فترك تلمسان عن يساره، وأصرح في ناحية القبلة فقدمت عليه هنالك وفود العرب من ذوي منيع ودخيسه وحميان والمهایة والعمور وأولاد جرير وسقونه وبني عامر والحسن، فسار بهم إلى أن نزل القويعة على رأس وادي شلف المسمى اليوم بوادي صا، وكان رائده إليها والدال له عليها هم بنو عامر بن زغبة فخرج جيش الترك مع ثغر الجزائر بقضهم وقضيضهم ومدافعيهم ومهارسيهم، ونزلوا على وادي شلف قبالة السلطان رحمة الله، ولما كان وقت العشاء أرعدوا مدافعيهم ليذهبوا العرب الذين مع السلطان فكان الأمر كذلك، فإنه لما انتصف الليل انسد بنو عامر من محلة السلطان وأصبحت الأرض منهم بلا قع، ولما أصبح بقية العرب وعلموا بغراربني عامر انهزموا دون قتال، ولم يبق مع السلطان إلا عسكره الذي جاء به من المغرب، فكان ذلك سبب تأخره عن حرب الترك وقوله إلى حضرته، وكانته الترك في أن يتخلّى لهم

عن بلادهم ويقف عند حد أسلafe، ومن كان قبلهم من ملوك الدولة السعودية فإنهم ما زاحموهم قط في بلادهم، ويعثروا إليه بكتاب أخيه المولى محمد بن الشريف الذي كان بعث به إليهم مع رسالهم حسبما تقدم، وبكتاب أخيه المولى الرشيد الذي فيه الحد بينه وبينهم، فوقع الصلح على ذلك الحد الذي هو وادي تافنا.

ولما قفل السلطان رحمة الله ومن في طريقه بمدينة وجدة أمر ببنائها وتتجديد ما تلجم منها، ثم قفل إلى فاس ثم منها إلى الحضرة بمكناة الزيتون، وكان ذلك كله سنة تسعة وثمانين وألف.

خروج الإخوة الثلاثة من أولاد المولى الشريف ابن علي بالصحراء وما كان من أمرهم

وفي أواخر رمضان سنة تسعة وثمانين ألف بلغ السلطان رحمة الله وهو بمكناة خروج إخوته الثلاثة المولى العرآن، والمولى هاشم، والمولى أحمد بن الشريف بن علي مع ثلاثة آخرين منبني عمهم، وأنهم تدرجوa إلى آيت عطاء من قبائل البربر، فنهض إليهم السلطان رحمة الله بالعساكر وسلك طريق سجلماسة فكان اللقاء بجبل ساغرو في عشرين من ذي الحجة من السنة، فالتقى جيش السلطان وجيش الخارجين وجدهم آيت عطاء، فاقتتلوا، وكان الظفر للسلطان بعد أن هلك من جيشه ثم من رماه فاس بالخصوص نحو أربعين دون من عداهم، وهلك قائد العسكر موسى بن يوسف، وانهزم الإخوة وأبعدوا المفر إلى الصحراء.

وكان في تلك السنة وباء عظيم قد انتشر في بلاد المغرب، فرجع السلطان على طريق الفايجة، فأصابه ثلج عظيم بشنية الكلاوي من جبل درن هلك الناس وأتلف متعاهem وأخيتهم، وما تخلصوا منه إلا بمشقة فادحة.

ولما نزلت العساكر بزاوية الشيخ أبي العزم سيدى رحال الكوش مدوا

أيديهم إلى أموال الناس وزروعهم بالنهب لما مسهم من ضرر الجوع، فشكى الناس ذلك إلى السلطان فأمر بقتل كل من وجد خارج المحلة، فقتل في ذلك اليوم من الجيش نحو ثلاثةمائة، ثم أمر بجر الوزير أبي زيد عبد الرحمن المتزري لأمر نعمه عليه وقتل أصحابه بالرصاص فجر الوزير المذكور إلى فاس ومكناة ولم يصل إليهما إلا بعض شلوه فطرح على المزيلة، ووصل السلطان إلى مكناة فاحتل بدار ملكه واقتعد أربعة عزه.

ثم دخلت سنة تسعين وألف ففي المحرم منها وقع الوباء يفاس وأعمالها، فأمر السلطان العبيد أن يردوا الناس عن مكناة، فكانوا يتعرضون لهم في الطرقات بناحية سبو وسيس يردونهم عن مكناة، وكل من يأتي من ناحية القصر وفاس يقتلونه، فانقطعت السبل وتعذر المرافق.

وفي أواخر المحرم من هذه السنة أوقع جيش المسلمين بتصاري طيبة فقتلوا منهم نحو ثلاثة وخمسين، وانتزعوا منهم قصبة بأربعة أيام واستشهد من المسلمين نحو الخمسين رحمهم الله.

نقل زراة والشباتات إلى وجدة وبناء القلاع بالتخوم وما تخل ذلك

وفي هذه السنة التي هي سنة تسعين وألف أمر أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمة الله بنقل عرب زراة والشباتات قوم كروم الحاج من الحوز إلى وجدة لما كانوا عليه من الظلم والفساد في تلك البلاد، فأنزلتهم بوجلة ثغر المغرب وكتبهم في الديوان، وولي عليهم أبو البقاء العيashi بن الرويعي الزراوي، وتقدم إليه في التضيق علىبني يزناسن إذ كانوا يومئذ منحرفين عن الدولة ومتمسكين بدعوة الترك، فكان زراة والشباتات يغرون عليهم ويمنعونهم من الحرث بيسط آنکاد، وأمر السلطان رحمة الله أن تبني عليهم قلعة من ناحية الساحل قرينة وجدة بالموقع المعروف برفادة، وأمر القائد

العيashi أن ينزل بها خمسمائة فارس من إخوانه يمنعونهم التزول ببساطة ترفة والارتفاق به من حرث وغيره، ثم أمر رحمة الله أن تبني قلعة أخرى بطرف بلادهم بالعيون، وينزل بها القائد المذكور خمسمائة أخرى من إخوانه أيضاً، وأمر أن تبني قلعة ثالثة بطرف بلادهم على ملوية وينزل بها خمسمائة فارس كذلك، وجعل للقائد العيashi المذكور النظر في القلاع الثلاث وهو بوجدة في ألف فارس فكانوا في الدفتر ألفين وخمسمائة.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وألف ففي جمادى الثانية منها خرج السلطان من الحضرة في الجنود قاصداً بني يزناسن الذين تمادوا على العصيان فاقتتحم عليهم جبلهم، واعتسف بروعهم وانتسف زروعهم وضرورتهم، وحرق قراهم، وقتل رجالهم وسيى ذرايهم، فطلبو الأمان فأمن بيتهم على أن يدفعوا الخيل والسلاح التي عندهم فدفعوها من غير توقف، وقاموا بدعونه جبراً عليهم، ثم نزل بسيط آنکاد وحضر عنده قبائل الأحلاف وسقونة فأرجلهم من خيولهم وجردهم من سلاحهم وانتزعها منهم، وألزم أشياخهم أن يجمعوا له ما بقي بحولهم منها ففعلوا ثم فعل بالمهابة وحميان كذلك، وانكفاء راجعاً إلى المغرب.

ولما نزل وادي صا أمر ببناء قلعة تاوريرت التي بناها السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني فجددها وأنزل فيها مائة فارس من عبيده بعيالهم وأولادهم، ولما نزل بوادي مسون أمر أن تبني به قلعة أخرى بجوار القديمة وأنزل فيها مائة فارس من العبيد كذلك، ثم أنزل بتازا ألفين وخمسمائة من خيل العبيد بعيالهم وولي عليهم منصور بن الرامي وجعل نظر القلاع التي بتازا ووادي صا للقائد منصور المذكور، وعيين لكل قبيلة من قبائل تلك البلاد قلعتها التي تدفع بها زكواتها وأعشارها لمؤنة العبيد وعلف خيولهم، وهم حرس الطريق فمن وقع في أرضه شيء عوقب عليه قائد تلك القلعة. ولما وصل السلطان إلى الكور أمر أن تبني به قلعة أيضاً وأنزل بها

مائة فارس من عبيده بعيالهم.

ولما انتهى إلى فاس أنزل بقصبة الخميس التي بنى سورها المولى الرشيد خمسمائة من الخيال بعيالهم من شرقة العرب والبربر الذين قدموا مع المولى الرشيد رحمة الله حسبما تقدمت الإشارة إليه.

ثم أمر رحمة الله ببناء قلعة بالمهندنة وأخرى بالجديدة من أعمال مكناسة وأنزل بكل واحدة مائة من خيل العبيد بعيالهم لحراسة الطرقات وبكل قلعة فندق لمبيت القوافل وأبناء السبيل، ثم دخل السلطان رحمة الله حضرته مؤيداً منتصراً وذلك في خامس شعبان سنة إحدى وتسعين وألف.

فتح المهدية ومحاربة ابن محرز بالسوس وما تخلل ذلك

قد تقدم لنا ما كان من استيلاء جنس الإصبعيول على المعمورة المسماة بالمهدية في حدود العشرين بعد الألف وما كان بينهم وبين أبي عبد الله العياشي وأهل سلا من الحروب، واستمروا بها إلى أن كانت سنة اثنين وتسعين ألفاً، فافتتحها جيش السلطان المولى إسماعيل رحمة الله.

قال في «التزهه»: «ومن محاسن الدولة الإمامية تنقية المغرب من نجاسة الكفر ورد كيد العدو عنه، قال وقد فتح السلطان المولى إسماعيل عدة مدن من يد النصارى كانت من مقاصد المغرب، ولم يهأ المسلمين معهم قرار. من ذلك المعمورة فإنه رحمة الله قد افتحها عنوة بعد أن حاصرها مدة وفترة من الزمن، وكان فتحها يوم الخميس رابع عشر ربيع الثاني سنة اثنين وتسعين وألف وأسر بها نحو ثلاثة وعشرين ألفاً. وقال في «نشر المثاني»: «كان فتح المهدية عنوة عند صلاة الجمعة خامس عشر ربيع الثاني من السنة قبل بقتال وقتل بدون قتال وإنما أخذت بقطع الماء عنها وجيء بالنصارى الذين كانوا بها أسرى ولم يصب أحد من المسلمين.

وقال في «البستان»: وفي سنة اثنين وتسعين وألف ورد الخبر على

السلطان إسماعيل بأن ابن أخيه المولى أحمد بن محرز الذي بالسوس قد استولى على بلاد آيت زينب وقوت شوكته، فأمر السلطان رحمة الله بفرق الراتب وتجهيز العساكر إليه من فاس، وتوجهت في ثامن ربيع الأول من السنة، ثم بلغه أن العسكر المحاصر للمهدية قد أشرف على فتحها وتوقفوا على حضوره، فنهض رحمة الله إليهم حتى حضر الفتح، وأخرج رئيس النصارى فأمنه وأمن أصحابه وكانوا ثلاثة وستة أنفس، وأما الغنية فقد أحرزها المجاهدون من أهل الفحص والريف الذين كانوا مرابطين عليها مع القائد عمر بن حدو البطوطي، ورجع السلطان إلى مكناسة بعد أن أنزل بالمهدية طائفة من عبيد السوس لعمارتها وسد فرجتها، وحضر هذا الفتح جماعة من متطرعة أهل سلا منهم الولي الصالح أبو العباس سيدي أحمد حجي من صلحائها المشهورين بها. واعلم أن سور العادي الذي اليوم بالمهدية هو من بناء البرتغال أيام استيلائهم عليها في دولة الوطاسيين كما

مر.

ولما فرغ المجاهدون من أمر المهدية ارتحلوا مع أميرهم عمر بن حدو فأصابه الوباء فمات في الطريق، وتولى رئاسة المجاهدين آخره القائد أحمد بن حدو، تقسيمها هو والقائد أبو الحسن علي بن عبد الله الريفي، وكان أولاد الريفي هؤلاء من الشهرة في الجهاد والمكانة في الشجاعة ومكانته الحرب بمنزلة أولاد النقيس وأولاد أبي الليف وأخزابهم رحم الله الجميع.

ثم دخلت سنة ثلاثة وتسعين وألف فيها غزا السلطان بلاد الشرق، فنهببني عاصي ورجع إلى مكناسة، وأمر بإخراج أهل النعة من المدينة، وينهى لهم حارة خارجها بالموضع المعروف ببريمة، وكلف أهل تافيلالت الذين يناس بالرحيل إلى مكناسة والسكنى بحارة اليهود القديمة التي أخلت، فلم يزل أهل تافيلالت يذهبون أرسالاً ويسكنونها بالكراء حتى ضاقت بهم.

ثم بلغه أن الترك قد خرجوا بعسكراً واستولوا على بني يزناسن وعلى

دار ابن مشعل، وأنهم قد مدوا يد الوفاق إلى ابن محرز وراسلوه وراسلهم وأنهم كلامهم معه على حرب السلطان، وبلغه مثل ذلك من نائب بمراكش، فكتب إليه أن يحتاط في حراسة مراكش. ويأخذ بالحزم في ذلك، ويقيم في نحر ابن محرز إلى أن يرجع السلطان من غزو تلمسان، ثم خرج رحمه الله بالعساكر لمصادمة الترك فوجدهم قد رجعوا إلى بلادهم لما بلغتهم من خروج النصارى بشرشال، فساروا إليهم وفتكتوا فيهم فتكاً بكرأً وردوهم على أعقابهم صاغرين، ورجع السلطان رحمه الله من وجهته. وقد دخلت سنة أربع وستعين وألف فسار على تفته إلى مراكش. فاراح بها، ثم نهض منها إلى السوس فالتقى بابن أخيه المولى أحمد بن محرز في أواخر ربيع الثاني من السنة، وقامت الحرب بينهما على ساق، واستمر القتال نحواً من خمسة وعشرين يوماً هلك فيها من الفريقين ما لا يحصى، ودخل ابن محرز تارودانت فتحصن بها، وكان الوقت وقت غلاء فضاق الأمر على أهل الحركة، فجعلوا يهربون وكثروا فيهم السجن والضرب والرد إليها في الحين، ثم كان بينهما حرب أخرى هلك فيها خلق كثير نحو ألفين وجروح السلطان، وجروح ابن محرز أيضاً، وذلك في أواسط جمادى الآخرة من السنة، واستمر الحال على ذلك إلى رمضان من السنة.

قال أبو عبد الله أكنسوس حدثني بعض الثقات أن السلطان المولى إسماعيل رحمه الله لما أعياه أمر ابن أخيه المذكور أصبح ذات يوم دهشاً كثيناً فقال لوزيره الفقيه أبي العباس البجمدي: إني رأيت في هذه الليلة رؤيا أحزنتني إلى الغاية» فقال: «وما هي يا مولانا؟ وعسى أن تكون خيراً» قال: «رأيت كأن هذه الجنود التي معنا ما بقي منها أحد ولم يبق إلا أنا وأنت مخففين في غار مظلم فسجد الوزير البجمدي شكرآ لله تعالى وأطالب السجدة ثم رفع رأسه وقال: «أبشر يا مولانا فقد نصرنا الله على هذا الرجل» فقال له السلطان: «ومن أين لك ذلك؟» فقال له: «من قوله تعالى: ﴿تَأْتِيَ الْأَنْتِيَادُ مَّا كَانُوا فِي الْأَرْضِ إِذَا يَكُوْنُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَّا﴾» [التوبية: 40].

قال عليه الصلاة والسلام: «فما ظنك باثنين الله ثالثهما» فسر السلطان بذلك غاية السرور. وانسرى عنه ما كان يجده من الغم. وعلم أن رؤياه بشاره من الله تعالى له، وعلى أثر ذلك وقع الصلح بينهما في رمضان، ورجع السلطان إلى حضرته فدخلها في أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة.

امتحان القضاة والسبب فيه

قال العلامة القادري في «الأزهار الندية»: «وفي هذه السنة أعني سنة أربع وتسعين وألف أمر السلطان بالقبض على جميع القضاة وامتحنوا ووصفووا بالجهل وسجنا في مشور فاس الجديد حتى يتعلموا ما لا بد منه من أحكام ما هم مدفوعون إليه، ثم أخرجوا أيام المولد الكريم إلى مكتناسة فهددوا بها أيضاً حتى أمر بحبس بعضهم أو قبله ثم أطلقوا معزولين»اه. قال أكتسوس: «ولعل المراد بهم قضاة البوادي ومن في معناهم» قلت: ولم أر في الأزهار شيئاً من هذا ولعله في نسخة الأصل لأنهم ذكروا أنهما نسختان إحداهما مختصرة من الأخرى والله أعلم.

غزو البربر وبناء القلاع بيزاء معاقلهم

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وألف فيها خرج السلطان في العساكر إلى جبال فراز لحرب صنهاجة من البربر الذين هنالك، فلما سمعوا بخروج السلطان انهزوا إلى ملوية، فدخل السلطان بلادهم واحتض قلعة عين اللوح بسفح جبلهم، ثم نزل عين آصرو فأمر ببناء قلعة هنالك بسفح الجبل أيضاً، ثم تبع آثارهم إلى أن دخلوا جبل العياشي، وتربيص رحمه الله بملوية إلى أن دخل فصل الشتاء، وكان قصده بذلك التربص إتمام سور القلعتين، ولما عزم على الرجوع أنزل بقلعة آصرو ألف فارس، وبقلعة عين اللوح خمسمائة فارس فأخذوا بمختنقهم، واستراح الناس من عيشهم بيسقط سائس، ولما منعوا

من السهل وانقطعت عنهم الميرة وقلت الأقوات خشعوا ونزل وقدموا مكناة على السلطان تائين فامنهم على شرط دفع الخيل والسلاح والاشغال بالحرث والتاج، فدفعوها عن يد وهم صاغرون، وهؤلاء هم آيت ادراسن، فأعطاهم السلطان رحمة الله عشرين ألفاً من الغنم أزمهم برعايتها وحفظها، وأسقط عنهم الوظائف فصلحت أحوالهم، وصاروا في كل عام يدفعون صوفها وسمتها ويزيدتهم الغنم إلى أن بلغ عددها ستين ألفاً وقلت شوكتهم وذهب بأسمهم.

فتح طنجة

قد تقدم لنا أن طنجة صارت إلى جنس النجليز من يد البرتغال، واستمرت بيده إلى سنة خمس وستين وألف، فعقد السلطان المولى إسماعيل رحمة الله للقائد أبي الحسن علي بن عبد الله الريفي على جيش المجاهدين وجهه لحصار طنجة، فضيقوا على من بها من النصارى وطاولوهم إلى أن ركبوا سفنهم وهربوا في البحر، وتركوها خاربة على عروشها، وذلك في ربیع الأول سنة خمس وستين وألف قاله في «التزهه» وقال في «البستان» «لمل مضاف للأمر على النصارى الذين بطنجة وطال عليهم الحصار خربوها وهدموا أسوارها وأبراجها وركبوا سفنهم وتركوها فدخلها المسلمون من غير طعن ولا ضرب وشرع قائد المجاهدين علي بن عبد الله الريفي في بناء ما تهدم من أسوارها ومساجدها في فاتح جمادى الأولى من السنة، قلت وأعقاب هذا القائد لا زالوا اليوم بطنجة وكثيراً ما تكون فيهم الرياسة هنالك.

ثم اتفق أن نشب بقرب ساحلها مركب قرصاني جاء مددأً لأهل سبتة فيه أموال وبصائع فحارب المسلمين أهله عليه واحتوروا على ما فيه، وألزم السلطان قبيلة غمارة بجر مدفعه النحاسية إلى مكناة، وأرسل الرماة من أهل فاس لجرها أيضاً فأتوا بها لأربعين يوماً والله غالب على أمره.

غزو البربر ثانياً وبناء القلاع في نحورهم

ثم دخلت سنة ست وتسعين وألف فيها خرج السلطان غازياً بلاد ملوية. وجعل طريقه على مدينة صفرو، ففرت قبائل البربر إلى رؤوس الجبال وهم آيت يوسي وشغروسن وأيوب وعلاهم وقادم وحيون ومديونة، فأمر السلطان ببناء قلعة بأعليل وأخرى على وادي كيكو من أسفله، وأخرى على وادي سكورة وأخرى على وادي تاشواكت ثم خرج السلطان بملوية ففرت القبائل المذكورة إلى جبل العيashi وتفرقوا في شعابه، فأمر ببناء قلعة بدار الطمع، وقلعة بتايبوست، وقلعة بقصربني مطير، وقلعة بوطواط، وقلعة بالقصابي، وأقام على نهر ملوية بيت السرايا ويشن الغارات على البربر قريباً من سنة والعمل مستمر في بناء القلاع إلى أن أكملت أسوارها، وأنزل رحمه الله بكل قلعة أربعينية من خيل العبيد بعيالهم، وجاءته وفود البربر تائبين طائعين فأمنهم على شرط دفع الخيل والسلاح فدفعوها، وصفا له رحمه الله هذا الربع الشرقي من جبل درن والله ولي التوفيق بعثته.

مقتل المولى أحمد بن محز وفتح تارودانت وما يتصل بذلك

وفي هذه السنة أعني سنة ست وتسعين وألف بلغ السلطان المولى إسماعيل رحمة الله وهو بمكتناسة أن أخيه المولى الحران، وابن أخيه المولى أحمد بن محز قد دخلا قصبة تارودانت واستحوذا على تلك الجهات، فنهض إليهما ووالى السير حتى أanax بكلكله على تارودانت وحاصرهما بها أيام، فاتفق أن ابن محز خرج ذات يوم في جماعة من عبيده لزيارة بعض الأولياء فلقى جماعة من زواره أصحاب السلطان فلم يعرفوه، وظنوا أنه بعض قواد ابن محز فشدوا عليه فما صعهم هنئته ثم قتلوه فإذا هو ابن محز.

ولما اتصل الخبر بالسلطان خرج حتى وقف عليه فعرفه، وأمر بتجهيزه ودفنه، فدفن مع الغرناطي أحد قواد الجيش، وكان قد قتل ذلك اليوم. وكان مقتل المولى أحمد رحمة الله في أواسط ذي القعدة سنة ست وتسعين وألف بعد تشغيبه على السلطان أربع عشرة سنة، ثم بعد أيام خرج أهل تارودانت ليلاً إلى قبر المولى أحمد فنبشو وبنشوا قبر الغرناطي لأنه كان قد التبس عليهم به فاستخرجوهما معاً حتى عرفوا المولى أحمد فحملوه في تابوتة، وتركوا الغرناطي على شفير قبره، واستمر المولى الحران محصوراً بتارودانت والحرب قائمة على ساق إلى أن دخلت سنة سبع وتسعين وألف، فكانت حرب هلك فيها نحو الستمائة نفس من الجندي منهم القائد زيتون، والباشا حمدان وغيرهما، ثم كانت حرب أخرى أعظم من الأولى ثم ثالثة، كذلك هلك فيها القائد أبو زيد عبد الرحمن الروسي، وتولى مكانه ابن الغرناطي، واستمر الحال بها إلى جمادى الأولى من سنة ثمان وتسعين وألف فاقتصرت السلطان تارودانت عنوة بالسيف واستباحها، واستولى عليها وفر المولى الحران إلى حيث أمن على نفسه.

ولما اتصل خبر الفتح بأهل فاس عينوا وفداً من كبارائهم وأشرافهم وعلمائهم فقدموا على السلطان بقصد التهنة يقدّمهم ولده المولى محمد بن إسماعيل. فأكرم وفادتهم، وخرج أولاد التقيس من سبطة، وكانوا قد لجؤوا إليها بعد مقتل الخضر غيلان، فقدموا على السلطان بعسكره من تارودانت فأمر بردهم إلى تطاوين وقتلهم بها، وأمر بقتل من كان منهم مسجوناً بفاس فقتلوا أجمعون رحمة الله، ثم دخلت سنة تسعة وتسعين وألف فيها قفل السلطان من السوس فدخل دار ملكه مكناسة واستقر بها، وبعث إلى عامل فاس أن يخرج من بها من أهل الريف إلى تارودانت بقصد عمارتها والسكنى بها، وفي خامس جمادى الأولى من السنة استدعى السلطان فقهاء فاس لحضور ختم التفسير عند قاضيه أبي عبد الله المجاuchi فحضروا وأكرموا ووصلهم.

غزو برابرة فازاز وبناء قلعة آدحسان

لما تهياً السلطان رحمة الله لغزو أهل جبل فازاز نهض إليهم، وصعد الجبل من الناحية الغربية فأول من قدم عليه من برابرته بالطاعة زمور وينو حكم فولي عليهم رئيسهم بايشي القبلي فاستصفى منهم الخيل والسلاح، ثم تجاوزهما إلى المال فاستصفاه أيضاً، وجمع ذلك كله وقدم به على السلطان وهو يبسط آدحسان، فقدمه إليه فأنكر السلطان عليه ذلك، وقال له: «ما حملك على ما فعلت ولم أمرك به؟» فقال له: «يا مولانا إن كان غرضك في صلاحهم فلا حهم فهو الذي فعلت لك ولهم، وإن سرت معهم بغير هذا أتعبوك وأتبعوا أنفسهم، وإنما ظهرتهم من الحرام ليشتغلوا باكتساب الحلال فإنه ينموا ويزكو، فاستحسن السلطان قوله وأمضى فعله، وأقام رحمة الله بآدحسان يحارب آيت ومالو سنة كاملة حتى بني قلعة آدحسان الجديدة بمحل القديمة التي كان بناها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رحمة الله وخررت، ولما دخل فصل الشتاء أنزل بالقصبة ألفاً وخمسماة فارس من عبيد أهل دكالة الذين كانوا بوجه عروس نقلهم إليها بأولادهم، وأنزل بزاوية أهل الدلاء ألفاً وخمسماة فارس من عبيد الشاوية الذين كانوا بوجه عروس أيضاً نقلهم بعيالهم وأمرهم بحصار البرير ومنعهم من النزول للمراعي والحرث ونحوهما، ثم قفل إلى مكتنasa. قال صاحب «البستان»، وهو أبو القاسم الصياني: وفي هذه المرة نقل معه جدنا الفقيه الأستاذ أبي الحسن علي بن إبراهيم بأولاده إلى مكتنasa، وسبب ذلك أنه لما نزل بآدحسان واجتمع عليه الأشراف الذين باركوا قال لهم: «دلوني على رجل صاحب فقه ودين يؤمني في الصلوات» فقالوا له: «ليس بهذا الجبل أتقى من سيدتي علي بن إبراهيم» فأتوا به فكان إمامه في المحلة، ولما قفل أخذه معه قال: «فهذا سبب انتقال جدنا من آركو إلى الحضر» أهـ.

بيان تربية أولاد عبيد الديوان وكيفية تأديبهم

قد قدمنا أن جمهور عبيد البخاري كانوا بال محللة من مشروع الرملة وأنهم تناسوا بها وكثروا إلى الغاية فلما كانت سنة مائة وألف أمر السلطان رحمة الله أولئك العبيد أن يأنوه بأبنائهم وبناتهم من عشر سنين فما فوق، فلما قدموا عليه فرق البنات على عريفات داره، كل طائفة في قصر للتربية والتآديب، وفرق الأولاد على البنائن والتجارين وسائر أهل الحرف للعمل والخدمة وسوق الحمير والتدريب على ركوبها، حتى إذا أكملوا سنة، نقلهم إلى سوق البغال الحاملة للأجر والزليج والقرمود والخشب ونحو ذلك، حتى إذا أكملوا سنة، نقلهم إلى خدمة المركز وضرب ألواح الطابية، حتى إذا أكملوا سنة، نقلهم إلى المرتبة الأولى في الجنديّة، فكساهم ودفع إليهم السلاح يتدرّبون به على الجنديّة وطرقها، حتى إذا أكملوا سنة، دفع إليهم الخيل يركبونها أعزاء بلا سروج ويجررونها في الميدان للتمرّس بها والتدريب على ركوبها، حتى إذا أكملوا سنة، وملكونا رؤوسها دفع إليهم السروج فيركبونها بها ويتعلّمون الكر والفر والثقافة في المطاعنة والمراما على صهواتها، حتى إذا أكملوا سنة بعد ذلك، صاروا في عدد الجناد المقاتلة، فيخرج لهم السلطان البنات اللاتي قدمن معهم، وزرّوج كل واحد من الأولاد واحدة من البنات، ويعطي الرجل عشرة مثاقيل مهر زوجته، ويعطي المرأة خمسة مثاقيل شورتها، ويولي عليهم واحداً من آبائهم الكبار، ويعطي ذلك القائد ما يبني به داره وما يبني به أخصاص أصحابه وهي المعروفة عندنا بالنواويل، ويبعث بهم إلى المحللة بعد أن يكتبا في ديوان العسكر، واستمر الحال هكذا ففي كل سنة يأتي من المحللة عدد صغير ويتوجه إليها من عند السلطان عدد كبير، من سنة مائة وألف إلى أن توفي السلطان رحمة الله في التاريخ الآتي، فبلغ عدد هذا العسكر البخاري مائة ألف وخمسين ألفاً، منها ثمانون ألفاً مفرقة في قلاع المغرب لعماراتها وحراسة طرقها وسبعون ألفاً بال محللة، وعدد القلاع التي بناها المولى إسماعيل رحمة الله بالمغرب ست وسبعون قلعة لا زالت

قائمة العين والأثر بآفاق المغرب يعرفها الخاص والعام إلى الآن، هكذا وجد في كتاب الدولتين الرشيدية والإسماعيلية الفقيه أبي الريبع سليمان بن عبد القادر الزرهوني، المتوفى بتارودانت سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف، وكان عنده دفتر العسكرية كلها سواء السواد الأعظم والمتفرق في قلاع المغرب.

قال صاحب «البستان»: «وأين هذا مما نقله المؤرخون على وجه الغرابة: من أن الخليفة المعتصم بن رشيد رحمهما الله بلغ عدد مماليكه الذين اشتراهم والذين جلبيهم من بلاد الترك ثمانية عشر ألفاً» قال: وهذا العدد الذي جمعه أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمة الله من العبيد لو خاض به البحر إلى الأندلس وكانت تلك القلاع سفناً ومراكب جهادية لاستولى عليها والتوفيق من الله». أهـ. قلت: وهو لعمري كلام مقبول لكن الإنسان مجبور في قالب مختار وتصارييف الأمور جارية بيد الله لا بيد غيره وما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره الله فيه. وقال الشاعر:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصباية إلا من يعانيها
وقال الآخر:

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه
وقال:

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزلا
ومن أمثال العامة: «القاعد على الجرف محسن للسباحة»، هذا كله بالنظر إلى الحقيقة، فأما الشريعة فقد قال تعالى: «وَأَعْنَدُوا لَهُمْ مَا أَنْتَظَمْتُ
عَنْ قُوَّةِ وَمِنْ زَيَّاطِ الْعَيْنِ» [الأفال: 60] الآية وعلى كل حال فلا يسوع
للإنسان أن يهمل الاستعداد المأمور به شرعاً، ويكل الأمر إلى القدر، وإن
فيكون مخططاً مخالفًا للشرع والطبع قال عليه السلام للأعرابي الذي ترك ناقته مرسلة:
«أعقلها وتوكل»، وقال الشاعر:

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه وليس عليه أن يساعد الدهر
 اللهم إنا نسألك العفو والعافية وال توفيق واللطف فيما جرت به المقادير،
 يا نعم المولى ونعم النصير.

فتح العرائش

وفي هذه السنة أعني سنة مائة وألف في آخر شوال منها سار القائد أبو العباس أحمد بن حدو البطوطي في جماعة من المجاهدين لحصار العرائش وكان الإصينيول خذله الله قد استولى عليها على يد الشيخ بن المنصور السعدي كما مر، فنزل القائد أبو العباس المذكور عليها وضيق على الكفار الذين بها وحاصرهم نحواً من ثلاثة أشهر ونصف كذا في «النזהة» وقال المؤرخ متويل: «إن مدة الحصار كانت خمسة أشهر» قال وكان طاغية الفرنسيس، وهو لويس الرابع عشر، قد أعاد المولى إسماعيل على فتح العرائش وحاصرها بحراً بخمس فرّاقط وقطع عنها المادة مدة ثم أفلح عنها ثم بعد ذلك كان الفتح» قال في «النזהة»: فتحها المسلمون بعد معاناة شديدة وذلك أنهم حفروا المينات تحت خندق سورها الموالي للمرسي وملؤوها باروداً ثم أوقدوها بالنار فنففت وسقط جانب من السور فاقتتحم المسلمون منه وتسلقوا إلى ما كان من النصارى على الأسوار فوقع ملحمة عظيمة، وفر باقيهم إلى حصن القبيبات الذي بناه المنصور السعدي واعتصموا به يوماً وليلة، فخامر قلوبهم الجزع وطلبوها الأمان، فأمنهم القائد أبو العباس المذكور على حكم السلطان، فنزلوا عليه، فأخذوا أسارى بأجمعهم ولم يعتق منهم إلا أميرهم وحده، وتم الفتح وذلك يوم الأربعاء الثامن عشر من المحرم سنة إحدى ومائة وألف. وما في «البستان» وقلده صاحب «الجيش»: أن نصارى العرائش اعتصموا بحصن القبيبات سنة كاملة خطأ لا يعول عليه.
 وكان عدد نصارى «العرائش» قبل الاستيلاء عليهم ثلاثة آلاف ومائتين

ولما ظفر بهم المسلمون أسروا منهم نحو ألفين، وقتلوا منهم اثنى عشرة مائة، ووُجِدَ بها من البارود والعدة ما لا يحصى كثرة، فمن المدافع نحو مائة وثمانين منها اثنان وعشرون من النحاس والباقي من الحديد، ومنها مدفع يسمى: الغصاب طوله خمسة وثلاثون قدماً بالحساب. وزن كرته خمسة وثلاثون رطلاً بحيث حلق عليه بقرب خزانته أربعة رجال. كذا سمع من المشاهدين لذلك بعد السؤال. كذا في التزهه قال منويل في كتابه: إن النصارى ما أسلمو أنفسهم حتى شرطوا شروطاً معتبرة لكن السلطان نكث أهـ. قلت: قد حكى القاضي أبو القاسم العمري في فهرسته ما حاصله: أن نصارى العرائش ادعوا أن الفتح المذكور إنما كان صلحًا وتأميناً لا عنوة، ثم لما طال النزاع في ذلك أمر السلطان قاضي حضرته المكتناسية أبا عبد الله محمدالمعروف بأبي مدين ببيان الحكم في ذلك فأجاب جواباً طويلاً حرر فيه حكم الشريعة المحمدية بما لا غاية فوقه، وحكم على أولئك النصارى بالأسر، وقد ذكر ذلك بتمامه في الفهرسة المذكورة فلينظر هنالك. وأمر السلطان رحمة الله بإشخاص أولئك النصارى إلى مكتنase الزيتون وكانوا ألفاً وثمانمائة على ما في البستان، فكان يستخدمهم مع غيرهم من المساجين والأسرى في بناء قصوره بالنهار، ويبتئون ليلاً في الدهلiz، وهو في عرف المغاربة هري تحت الأرض، وأسكن السلطان رحمة الله أهل الريف العرائش، وأمر قائدتهم أن يبني بها مسجدين وحمامًا ويني داره بقلعتها وفي فتح العرائش أنشد الخطيب البلويق أديب فاس ومقتليها أبو محمد عبد الواحد بن محمد الشريف البوعناني فقال:

| | |
|-------------------------|--------------------------|
| قد انتظمت بعزم الأمور | ألا أبشر بهذا الفتح نور |
| قد اشرحت بفتحكم الصدور | وطير السعد نادي حيث غنى |
| ونور الفخر نحوكم يدور | وضوء النصر ساعده التهاني |
| وطاب العيش واتصل السرور | وقد وافتكم الخيرات طرأ |
| بعين الحق قد حرر العغور | حميتم بيضة الإسلام لما |

لدين الله أقمار تنير
 لدى هيجاء صاحبها كفور
 في يوم الوعا الأسد المصور
 لقدركم على الشعري الظهور
 وراموها وبيان لها نفور
 إليك بحق مولانا المصير
 فما أغنى الحصار ولا العبور
 على الهيجاء كلهم جسور
 قطبيع الرأس مجروراً يخور
 وسن الرمح مركزه النحور
 وكم جرحى دماؤهم تفور
 ويات الذئب وهو لها شكور
 على طرب وما شربت خمور
 وبشراكم بما من الغفور
 وقد عظمت به لكم الأجرور
 يبددكم وليس له فتور
 بسيف الله سلطان وقور
 تناديه إذا كان البكور
 متى يأتي الإمام متى يزور
 ويلحق أهلها منه ثبور
 وسيف الحق في يده ينور
 لأندلس فأنت لها الأمير
 جموعهم فربكم النصير
 كما قد قيل بز أو بحور
 ومنع الحال تفهمه الصدور
 و يأتي العز والملك الكبير

وجاهدتكم وقاتلتم فأنتم
 وأطلعتم صوارمكم نجوماً
 فأنت البدر يوم السلم حسناً
 وفي ثغر العرائش قد تبدى
 لقد كان الملوك فساوموها
 فلما جاءها انقادت وقالت
 ملكت قياد عزتها بذلك
 قهرتهم بابطال ضخام
 فكم رأس من الكفار أمسى
 وكم نحر قلادته رماح
 وكم أسرى وكم قتلى بأرض
 تمر بها الطيور فتنتفقيها
 وأضحي الناس كلهم نشاوى
 فبشراكم بهذا الفتح نور
 به زادت مآثركم علوأ
 إلا يا عشر الكفار هذا
 إلا يا أهل سبعة قد أثراكم
 إذا ما جاء سبعة في عشي
 ووهران تنادي كل يوم
 متى يأتي ويفتحها سريعاً
 فيهزهم ويقتلهم ويسببي
 آيا مولاي قم وانهض وشمر
 وجاهدهم وحاربهم وفرق
 ولا يمنع بفضل الله منها
 لسان الحال ينشد كل يوم
 بقرطبة تنال المجد طرأ

وَذَلِكُمْ بِعَوْنَى اللَّهُ سَهْل
أَيَامُوا لَيْ إِسْمَاعِيلَ هَذَا
يَنَادِيكُمْ بَنَادِيكُمْ وَيَدْعُونَ
فِيَارَبِ الْبَرِّيَةِ يَا أَلْهَى
أَتَبْ هَذَا الْأَمِيرُ بِكُلِّ خَيْرٍ
وَأَبْقَى الْمُلْكَ فِيهِ وَفِي بَنِيهِ
وَنَحْنُ رَعْيَةٌ نَرْجُو هَنَاءً
عَلَيْكُمْ مِنْ عَبِيدِكُمْ سَلامٌ
يَعْمَلُ جَنَابِكُمْ مَا قَالَ صَبَّ
وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْفَقِيهِ الْعَالَمِ الْوَرِعِ الشَّهِيرِ أَبُو مُحَمَّدِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ
حَمْدُونَ جَسُوسِ رَحْمَةِ اللَّهِ .

رَفَعْتَ مَنَازِلَ سَبْتَةَ أَقْوَالِهَا
مَعَ بَادِسَ وَبِرِيجَةَ فَتَعْطَفُوا
بِابْنِ النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٌ
فَلَقَدْ قَضَيْتَمْ لِلْعَرَائِشَ حَاجَةَ
عَارِ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُ أَسِيرَةَ
إِنْ لَمْ تَكُونُوا آخَذِينَ بِشَارِهَا
لَا تَسْمَعُنَّ مِنْ جَاهِلٍ وَمُثْبِطٍ
إِنَّ الَّذِينَ تَقْدِمُوا قَدْ جَاهَدُوا
فَتَمْلَكُوا أَمْلاَكَهَا وَدِيَارَهَا
فَابْيَثُ لَهَا أَهْلُ الشَّجَاعَةِ عَاجِلًا
وَأَمْدُهُمْ بِمَؤْنَةٍ وَمَعْوِنَةٍ
وَارْفَعْ لَهُذَا الْغَرْبَ رَأْسًا إِنَّهُ
أَبْقَاكَ رَبِّي لِلْخِلَافَةِ عَدَةَ
وَاقْبِلْ هَدِيَةَ مِنْ أَنَّى بِنَصِيحةٍ
وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْشَّرِيفِ الْأَدِيبِ أَبُو مُحَمَّدِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ الطَّيِّبِ الْقَادِرِيِّ :

علا عرش دين الله كل العرائش وهد بننصر الله قصر العرائش
 وهي طويلة انظرها في نشر المثاني إن شئت ، ثم في الثاني والعشرين من
 ربيع الأول من هذه السنة نهى السلطان عن لبس النعال السود ونادي بذلك
 في سائر أمصار المغرب ، وأمر بلبس النعال الصفر مكانها لما قيل : من أن
 الناس اتخذوا النعال السود منذ استولى النصارى على العرائش على يد
 المأمون السعدي كما تقدم ، وفي أوائل ذي الحجة من هذه السنة قتل
 السلطان ثلاثة وستين رجلاً من الطائفة المسمون بالعكاكة.

فتح آصيلا

ولما فرغ المجاهدون من أمر العرائش عمدوا إلى مدينة آصيلا فنزلوا
 عليها وحاصروها النصارى الذين بها سنة كاملة ، وأنظهم الإضبئول ، إلى أن
 بلغ بهم الحصار كل مبلغ ، فطلبو الأمان فامنوه على حكم السلطان ولما
 لم يطمئنوا بذلك ركبوا من الليل سفنهم ونجوا إلى بلادهم ، ودخل
 المسلمين المدينة فملكوها ، وذلك سنة اثنتين ومائة ألف ، وعمرها أهل
 الريف أيضاً ، وبني بها قائدتهم مسجدين ومدرسة وحمامًا وبني داره بقلعتها
 والله أعلم.

حصار سبتة

ثم سار المجاهدون بعد الفراغ من آصيلا إلى سبتة فنزلوا عليها
 وحاصروها واستأنفوا الجد في مقاتلتها ، وأمدhem السلطان بعسكر من عبيده ،
 وأمر قبائل الجبل أن تعين كل قبيلة حصتها للمرابطة على سبتة ، وكذلك أمر
 أهل فاس أن يبعثوا بحصتهم إليها ، فكان عدد المرابطين عليها خمسة
 وعشرين ألفاً ، وتقدم السلطان إليهم في الجد والاجتهد فكان القتال لا ينقطع
 عنها صباحاً ومساءً ، وطال الأمد حتى أن السلطان رحمة الله اتهم القواد

الذين كانوا على حصارها بعدم النفع في افتتاحها لثلا يبعث بهم بعدها إلى حصار البريجة فيبعدوا عن بلادهم، مع أنهم قد سئموا كثرة الأسفار ومشقات الحروب، واستمر الحال إلى أن مات القائد أبو الحسن علي بن عبد الله الريفي، وولي بعده ابنه القائد أبو العباس أحمد بن علي، والقتال لا زال والحال ما حال، وفي كل سنة يتتعاقب الغزاة عليها، والسلطان مشغل بتمهيد المغرب ومقاتلة برابرة جبل فازاز وغيرهم، ولم يهمني الله فتحها على يديه، ودار القائد أحمد بن علي ومسجده اللذان بناهما بإزاره سنته أيام الحصار لا زالا قائمي العين والأثر إلى اليوم. وحکى الغزال في رحلته: أنه رأى بأحد أبواب سنته خرقاً قدّيماً لم يصلح فسأله أهلها عنه فقالوا: إنه من أثر الرمي الذي كان يرميه الجيش الإسماعيلي وهو أثر كرة خرقت الباب ونفذت إلى داخل البلد وتركتاه على حاله ليعتبر به من يأتي بعدها ويزداد احتياطاً وحزمأً أو كلاماً هذا معناه والله تعالى أعلم.

غزو السلطان المولى إسماعيل برابرة فازان وإيقاعه بهم

كان السلطان المؤلى إسماعيل رحمة الله في هذه المدة مشغلاً بتمهيد المغرب واستنزال أمه من معاقلهم إلى أن فتح أقطاره كلها وبين قلاعها ورتب حاميتها، ولم يبق له بالمغرب كله إلا قنة جبل فازاز الذي فيه آيت وهو آيت يفتح للملك وأيّت يسرى، فعمز على النهوض [إليه] وافتراض عذرته.

ولما أراد الخروج إليهم استخلف على فاس الجديد كبير أولاده المولى أبي العلاء محرزاً، ويعث إلى مراكش ابنه المولى أبي اليمن المأمون، وترك بمكناة ابنه المولى محمد المدعا زيدان، وكان فارس أولاده المعوجون يومئذ.

ولما ولی المأمون على مراكش أمر برئیس الحضرة وإمام الكتاب الفقيه أبي العباس أحمد اليمحمدي أن يعطيه التقليد ويوصيه بما تنبغي الوصاية به،

وكان المولى المأمون منحرفاً عن الوزير المذكور فمشى إليه على كره منه وحاز منه التقليد واستمع لوصيته امثالاً لأمر والده، ثم عاد إليه وقال: «يا مولانا إن اليمحمدي ينتصرك ويزعم أنه الذي علمك دينك» في كلام آخر فقال له السلطان رحمة الله: «والله إن كان قد قال ذلك إنه لصادق فإنه الذي علمني ديني وعرفني برببي» نقل هذه الحكاية صاحب «البستان» وصاحب «الجيش» وكلاهما قال: إنه سمعها من السلطان المرحوم المولى سليمان بن محمد رحمة الله، وهي منقبة فخيمة للمولى إسماعيل في الخضوع للحق والاعتراف به رحم الله الجميع.

ثم دخلت سنة ثلاثة وألف والسلطان عازم على النهوض إلى فازاز ويعث مع ذلك بالراتب والعدة إلى أهل فاس وأمرهم بالنهوض إلى الترك مع ولده المولى زيدان فخرجوا في رمضان من السنة وبعد العيد أخذ السلطان في الاستعداد للنهوض إلى فازاز ثم بدا له فخرج في أثر المولى زيدان فلحق بأطراف المغرب الأوسط وأبرم الصلح مع الترك ورجع إلى الحضرة هكذا ساق صاحب البستان هذا الخبر، والذي رأيته في «نشر المثاني» هو ما نصه: قد اختار السلطان المولى إسماعيل الفقيه أبا عبد الله محمد الطيب الفاسي لعقد المهادنة مع الترك في حدود سنة ثلاثة وألف بعد وقعة المشارع معهم لعلمه وفضحه وبنته، فذهب نحو الجزائر صحبة ولد السلطان وهو مولاي عبد الملك، ومعهم الكاتب أبو عبد الله المدعو الوزير وغيرهم من وجوه الدولة الإسماعيلية، فلما قاربوا الجزائر خرج صاحبها في جنده وقتل ونهب حتى انتهى الخبر إلى فاس بأنهم قتلوا أجمع، وصادف ذلك يوم عاشوراء فحزن الناس لذلك وأمسكوا عن الإنفاق، حتى بقي ما عهد أن يشتري في ذلك اليوم ملقي لما عرا الناس من الغم، ثم جاء الخبر بأنهم قادمون بعافية، وأنهم وصلوا إلى تازا ففرح الناس واستأنفوا الإنفاق كيوم عاشوراء، ومات بايشي القبلي فولى السلطان علي زمور وبني حكم ولده أبا الحسن علي بن يشي.

ثم دخلت سنة أربع ومائة وألف وفيها تهيأ السلطان للنهوض إلى البربر

أهل فازاز، فاستنفر القبائل وحشد الجيوش واستعد الاستعداد التام بالمدافع والمهارات والمجانين وسائر آلات الحصار، فنزل رحمة الله في جند العبيد ببساطة أحسنان، ورتب على البرابر العساكر من كل جهة، فبعث البasha مساهلاً في خمسة وعشرين ألفاً من الرماة طلع بها من تادلا على وادي العبيد حتى نزل خلف آيت يسري، وبعث علي بن برکات مع آيت يمو وأیت أدراسن فنزلوا بتغالين، وبعث علي بن يشي مع زمور وبني حكم وأمره أن ينزل بعين شوعة، وبعث إلى أهل تدغة وفركلة وغريس والصباح أن يقدموا بجذوعهم على علي بن يشي، وبعث إليه مع ذلك بعسكر الطبيجة بالمدافع والمهارات وسائر آلات الحرب، وبعث نصارى العرائش يجرونها على طريق أعلى ثم على قصربني مطير إلى أن اجتمعوا بعلي بن يشي على عين شوعة.

وضرب السلطان لأمراء الجنود لإنشاب العرب موعداً معلوماً. وقال لهم: «إذا كان وقت العشاء من ليلة كذا فليأخذ الطبيجة في إخراج المدافع والمهارات بالكور والبنب طول ليتلهم ليحصل للبرير النعش فإذا أصبحتم فليقدم كل قائد من ناحيته، ولينشب الحرب ليكون القتال في ساعة واحدة من جميع الجهات» ففعلوا ما أشار به عليهم.

ولما كانت الليلة المعينة لم يرع البرير إلا رعد المدافع والمهارات تصعد في الجو ونيرانها تنقدح في ظلمات الليل، وأصداه الجبال تتجاوب من كل ناحية، فقامت عليهم القيامة وظنوا أن الأرض قد زالت بهم، فقوضوا أبنائهم وحملوا عيالاتهم للفرار، وصاروا لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً. ولما أصبحوا زحف إليهم السلطان من ناحيته، وزحفت إليهم العساكر من باقي الجهات، واشتد القتال فانهزموا وتفرقوا في الشعاب والأودية شذر مذر، وصار كل من قصد منهم ثنية أو منفذأً وجذ العساكر مقبلة منها، والمدافع مصوبة نحوها فحل بهم القضاء، وتصرف فيهم البلاء كيف شاء، فقتل رجالهم وسيط نسائهم وأولادهم، ونهب أناثهم وحيزت مواشיהם وأنعامهم، واستلبت خيلهم وسلاحهم، واستحر القتل والنهب فيهم

ثلاثة أيام والعساكر تلتقطهم من الأودية والشعاب، وتستخرجهم من الكهوف والغيران، وأمر السلطان قواه مساهلاً وعلي بن يشي وعلي بن بركات بجمع رؤوس القتلى وجمع الخيل والسلاح ويوافوه به لأدسان، فجمعوا ما عثروا عليه من ذلك فكان عدد الرؤوس ينيف على الثاني عشر ألفاً، وعدد الخيل الفحول ينيف على عشرة آلاف، وعدد المكاحل ينيف على ثلاثين ألفاً، وبالاستيلاء على هؤلاء البربر كمل للسلطان المولى إسماعيل رحمة الله فتح المغرب، واستولى عليه كله ولم يبق به عرق ينبعض، وكتب في الديوان من آيت يمور ألف فارس أنزلهم مع علي بن بركات بقلعة تغالين، وأنزل محلتهم على رأس منزل آيت ومالو، ولم يترك لقبيلة من قبائل المغرب خيلاً ولا سلاحاً، وإنما كانت الخيل والسلاح عند العبيد والودايا وأيت يمور وأهل الريف المجاهدين بسببة.

قال أبو عبد الله أكتسوس رحمة الله: «وكان المولى إسماعيل رحمة الله ارتكب أخف الضررين وأدنى المفسدتين في إضعاف قبائل المسلمين بسلب الخيل والسلاح مع أن المطلوب هو تقويتهم بذلك لمقابلة العدو الكافر». قال تعالى: «وَأَعْنَاَلُوكُمْ تَأْسِيَقُمْ بَنْ قُوَّةً وَبَنْ زَيَادَةً لِلْغَيْلِ» [الأنفال: 60] الآية ورأى المولى إسماعيل: أنه لما أعد ذلك العسكر القوي الشديد قام عن المسلمين بواجب وكفاحهم كل مونة وأراحهم من كلفة القيام بالخيل والسلاح، مع أن الفساد الذي يظهر منهم عند ملك الخيل والسلاح أعظم وذلك بقطع الطرقات ونهب الأموال وخلع اليد من الطاعة، قال: «وهذا القدر الذي اعتذرنا به عن السلطان ظاهر غاية الظهور ولعله خفي على الشيخ اليوسي حتى كتب إليه برسالته المشهورة» اهـ.

قلت: ما فعله السلطان المولى إسماعيل رحمة الله من ذلك ظاهر المصلحة لا يخفى على أحد وجد استحسنه، ولا يتورم عاقل أن أهل فازار ومن في معناهم يتخلذون الخيل والسلاح للجهاد يوماً ما فلا يحتاج السلطان رحمة الله في مثل ذلك إلى الاعتذار، وقوله أن ذلك الاعتذار خفي على اليوسي ليس على ما يتبيني، لأن الشيخ اليوسي رحمة الله ما تكلم مع

السلطان في أمر أولئك القبائل ومن في معناهم، وإنما كلامه معه في أمور ثلاثة: الأول في جباية المال من وجهه وصرفه في وجهه. الثاني: في إقامة رسم الجهاد وشحن التغور كلها بالمقاتلة والسلاح. الثالث: في الانتصاف من الظالم للمظلوم وكف اليد العادمة عن الرعية.

ونص هذه الرسالة: الحمد لله والصلوة والسلام على سيدنا محمد وأله وصحبه أجمعين، قطب المجد ومركزه ومحاذ الفخر ومارزه، وأساس الشرف البادخ ومتبعه، ومناط الفضل الشامخ ومجمعه، السلطان الأعظم الأجل الأفخم، مولانا إسماعيل ابن مولانا الشريف لا زالت أعلامه منصورة، وأيامه على العز واليمن مقصورة، سلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته، هذا ولا زائد عندنا سوى المحبة لسيدنا وغاية التعظيم والإجلال، والدعاء لسيدنا بصالح الأحوال، وذلك بعض ما أوجبه يده المبوسطة علينا بالبر والإحسان، والفضل والامتنان والتوقير والاحترام والإنعام والإكرام، مع ما له علينا وعلى غيرنا من الحقوق التي أوجبتها متزلته السلطانية، ومثابته الطوقية الفاطمية، فكتبتنا هذه البطاقة، وهي في الوقت متى هي الطاقة، وكثيراً ما نرى من سيدنا التشوّق إلى الموعظة والنصائح، والرغبة في استفتاح أبواب الريح والنجع، فأردنا أن نرسل إلى سيدنا ما أُنْ وفق إلى النهوه إليه رجوانا له ريح الدنيا والأخرة، والارتقاء إلى الدرجات الفاخرة، ورجوانا وإن لم نكن أهلاً لأن نعظ، أن يكون سيدنا أهلاً لأن يتعظ، وأن يحتمي من جميع المذموم ويحتفظ، فليعلم سيدنا أن الأرض وما فيها ملك الله تعالى لا شريك له، والناس عبيد الله سبحانه وإماء له، وسيدنا واحد من العبيد وقد ملكه الله عبيده ابتلاء وامتحاناً، فإن قام عليهم بالعدل والرحمة والإنصاف والإصلاح فهو خليفة الله في أرضه وظل الله على عبيده وله الدرجة العالية عند الله تعالى، وإن قام بالجور والعنف والكبراء والطغيان والإفساد فهو متجرس على مولاه في ملكته ومتسلط ومتكبر في الأرض بغير الحق، ومتعرض لعقوبة مولاه الشديدة ومسخطه، ولا يخفى على سيدنا حال من تسلط على رعيته يروم تملّكهم بغير إذنه كيف يفعل به يوم يتمكن منه، ثم

نقول: إن على السلطان حقوًّا كثيرة لا تفي بها البطاقة، ولنقتصر منها على ثلاثة هي أمهاتها، الأول: جمع المال من حق وتفريقه في حق، الثاني: إقامة الجهاد لإعلاء كلمة الله وفي معناه تعمير الشعور بما تحتاج إليه من عدد وعده، الثالث: الانتصار من الظالم للمظلوم. وفي معناه كف اليد العادمة عليهم منهم ومن غيرهم، وهذه الثلاثة كلها قد اختلت في دولة سيدنا فوج علينا تنبيهه لثلا يعتذر بعدم الاطلاع والغفلة فإن تنبه وفعل فقد فاز، وذلك صلاح الوقت وصلاح أهله وسبوغ النعمة وشمول الرحمة وإلا فقد أدينا الذي علينا، أما الأمر الأول: فليعلم سيدنا أن المال الذي يجني من الرعية قد أعد للمصالح التي ينتظم بها الدين وتصلح الدنيا من أهل البيت والعلماء والقضاة والأئمة والمجاهدين والأنجاد والمساجد والقناطير وغير ذلك من المصالح، ومثال هؤلاء كأيتام لهم ديون قد عجزوا عن قبضها إلا بوكييل، ومثال الرعية مثل المديان والسلطان هو الوكيل، فإن استوفى الوكيل الدين بلا زيادة ولا نقصان وأداء إلى البياتمي يحسب ما يجب لكل فقد برئ من اللوم ولم تبق عليه تباعة للمديان ولا للبياتمي، وحصل له أجوران: أجور القبض وأجر الدفع، فإن هو زاد على الدين الواجب بغير رضى المديان فهو ظالم له، أو نقص البتيم من حقه الواجب له فهو ظالم له، وكذلك إن استوفى الدين وأمسكها ولم يدفعها لأربابها فهو ظالم، فلينظر سيدنا فإن جبة مملكته قد جروا ذيول الظلم على الرعية فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشو العظم وامتصوا المخ ولم يتركوا للناس ديناً ولا دنياً، أما الدنيا فقد أخذوها وأما الدين فقد فتنوه عنه وهذا شيء شهدناه لا شيء ظنناه، ثم إن أرباب الحقوق قد ضاعوا ولم تصل إليهم حقوقهم فعلى السلطان أن يتفقد الجبة ويكف أيديهم عن الظلم ولا يفتر بكل من يزبن له الوقت فإن كثيراً من الدائرين به طلاب الدنيا لا يتقون الله تعالى ولا يتحفظون من المداهنة والنفاق والكذب وفي أفضل منهم قال جده أمير المؤمنين مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «المغورو من غررتموه» اه وأن يتفقد المصالح ويسقط يد الفضل على خواص الناس من أهل الفضل والدين والخير ليكتسب محبتهم وثناءهم ونصرهم كما قيل:

أفاتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولسانى والضمير المحجبا

وقد جبت القلوب على حب من أحسن إليها ولا يهم لهم فيتمنوا غيره
ويطلبوا دولة أخرى كما قيل:

إذا لم يكن للمرء في دولة أمرٍ نصيب ولا حظ تمنى زوالها

وما ذاك من بغض لها غير أنه يريد سوهاها فهو يهوى انتقالها

وليعلم سيدنا أن السلطان إذا أخذ أموال العامة ونشرها في الخاصة وشيد بها المصالح فالعامة يذعنون، ويعلمون أنه سلطان وتطيب قلوبهم بما يرون من إنفاق أموالهم في مصالحهم وإلا فالعكس، وأيضاً السلطان متعرض للسهام الراشقة من دعوة المظلومين من الرعية، فإذا أحسن إلى الخاصة دعوا له بالخير والسلامة والبقاء؛ فيقابل دعاء بدعاه والله الموفق، وأما الأمر الثاني فقد ضاع أيضاً وذلك أنه لم يتأت في الوقت إلا عمارة التغور، وسيدنا قد غفل عنها فقد ضعفت اليوم غاية، وقد حضرت بمدينة تطاوين أيام مولانا الرشيد رحمة الله، فكانوا إذا سمعوا الصريح تهتز الأرض خيلاً ورماة، وقد بلغني اليوم أنهم سمعوا صريحاً من جانب البحر ذات يوم فخرجوا يسعون على أرجلهم بأيديهم العصي والمقاليع، وهذا وهن في الدين، وغرر على المسلمين، وإنما جاءهم الضعف من المغامر الثقيلة، وتتكليفهم الحركات وإعطاء العدة كسائر الناس، فعلى سيدنا أن يتقد السواحل كلها من قلعية إلى ماسة، ويحرضهم على الجهاد والحراسة بعد أن يحسن إليهم ويعفيهم مما يكلف به غيرهم، ويترك لهم خيلهم وعدتهم ويزيدهم ما يحتاجون إليه، فهم حماة بيعة الإسلام، ويتحرج فيمن يوليه تلك النواحي أن يكون أشد الناس رغبة في الجهاد، ونجدة في المضايق وغيره على الإسلام، ولا يولي فيها من همته ملء بطنه والاتكاء على أريكته والله الموفق.

وأما الأمر الثالث: فقد اختل أيضاً لأن المشعدين للانتصاف بين الناس في البلدان، وهم العمال وخدمتهم، هم المشتغلون بظلم الناس، فكيف يزيل

الظلم من يفعله؟ ومن ذهب يشتكي سبقوه إلى الباب فزادوا عليه فلا يقدر أحد أن يشتكي فليتقط الله سيدنا، وليتقط دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب، وليجهد في العدل فإنه قوام الملك وصلاح الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْمَعْدُلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] الآية. وقال تعالى: ﴿وَلَيَسْمَعُنَّ اللَّهُ مِنْ يَنْهَا﴾، إنك الله لقوه عزيزٌ [الحج: ٤٠] ثم ذكر تعالى المنصوريين وشروط النصر فقال: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَثُوكُمْ فِي الْأَرْضِ أَقْامُوكُمُ الْأَصْلَوَةَ وَمَاءُوكُمُ الْأَرْكَوَةَ وَأَتْهُوكُمُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهُوكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١] فضمن تعالى للملوك النصر وشرط عليهم هذه الأمور الأربع، فمعتلي اختل عليهم أمر الرعية وتسلط عليهم من يفسد عليهم الدولة فليعلموا أن ذلك من إخلالهم بهذه الأمور، فكان عليهم الرجوع إلى الله تعالى وتفقد ما أمرهم به ورعاية ما استرعاهم إياه، وقد اتفقت حكماء العرب والجمجم على أن الجور لا يثبت معه الملك ولا يستقيم، وأن العدل يستقيم معه الملك ولو مع الكفر، وقد عاش الملوك من الكفارة المئين من السنين في الملك المنتظم والكلمة المسماومة والراحة من كل منفعة لما كانوا عليه من العدل في الرعية، استصلاحاً لدنياهم فكيف بمن يرجو صلاح الدنيا والدين، قال بعض الحكماء: «الملك بناء والجند أساسه وإذا ضعف الأساس سقط البناء فلا سلطان إلا بجند ولا جند إلا بمال ولا مال إلا بجباية ولا جباية إلا بعمارة ولا عمارة إلا بالعدل فالعدل أساس الجميع». وقد صنع أرسطوطاليس الحكيم للملك الإسكندر الشكل المستند عنه وكتب عليه: «العالم بستان سياجه الدولة، الدولة سلطان تعصده السنة، السنة سياسة يسوسها الملك، الملك راع يغضنه الجيش، الجيش أعون يكفلهم المال، المال رزق يجمعه الرعية، الرعية عبيد يقودهم العدل، العدل مأثور وبه صلاح العالم، العالم بستان» إلى آخره: وقال عليه السلام: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وقال

ﷺ: «إن رجالاً يخوضون في مال الله بغير حق لهم النار يوم القيمة» أو كما قال وقال ﷺ: «ما من وال يلي ولاية إلا جاء يوم القيمة ويداه مغلولتان فاما عدل يفكه وأما جور يويقه». وعن مولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «رأيت عمر على قبر يعود به بعيره بالأبطح فقلت: يا أمير المؤمنين أين تسير؟» فقال: «بعيره من إبل الصدقة شرد أطلبها» فقلت: «أذللت الخلفاء من بعدهك» فقال: «لا تلموني، فوالذي بعث محمد ﷺ بالحق لو أن عناقاً ضللت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيمة إنه لا حرمة لوال ضيع المسلمين ولا لفاسق روع المؤمنين» وقد رأى رضي الله عنه شيخاً يهودياً يسأل على الأبواب فقال: «ما أصنفناك أخذنا منك الجزية ما دمت شاباً ثم ضيعناك اليوم» وأمر أن يجري عليه قوته من بيت المال. ولعلم سيدنا أن أول العدل أن يعدل في نفسه فلا يأخذ لنفسه من المال إلا بحق، وليسأل العلماء عما يأخذ وما يعطي. وما يأتي وما يذر، وقد كان بنو إسرائيل يكون فيهم الأمير على يد نبي، فالنبي يأمر والأمير ينفذ لا غير، ولما كانت هذه الأمة المرحومة انقطعت منها النبوة بنبتها خاتم النبيين ﷺ فلم يبق إلا العلماء يقتدي بهم قال ﷺ: «علماء أمتي كأنبياءبني إسرائيل» فكان حقاً على هذه الأمة أن يتبعوا العلماء ويتصرفووا على أيديهم أخذأ وعطاء، وقد توفي ﷺ واستخلف أبو بكر رضي الله عنه وكان قبل ذلك يبيع ويشترى في السوق على عياله، فلما بُويع أخذ ماله الذي للتجارة وذهب للسوق على عادته حتى رده علماء الصحابة، وقالوا: «إنك في شغل بأمر الخلافة عن السوق» وفرضوا له ما يكفيه مع عياله، وجعلوا المال على يد أمين فكان هو وغيره فيه سواء يأخذ منه بما اقتضته الشريعة لنفسه ولغيره، وهكذا سيرة الخلفاء الراشدين من بعده، فعلى سيدنا أن يقتدي بهؤلاء الفضلاء ولا يقتدي بأهل الأهواء، وليسأل من معه من الفقهاء الثقات كسيدي محمد بن الحسن، وسيدي أحمد ابن سعيد، وغيرهما من العلماء العاملين الذين يتقون الله ولا يخافون في الله

لومة لائم فما أمروه به مما ذكرناه وما لم نذكره فعله، وما نهوه عنه انتهى، هذه طريقة النجاة إن شاء الله تعالى، نسأل الله تعالى أن يرزق سيدنا توفيقاً وتسديداً، وإرشاداً وتأييداً وأن يصلح بوجوده البلاد والعباد، وأن يحسم بيته أهل الزين والعناد آمين والحمد لله رب العالمين».

ولما فرغ السلطان رحمه الله من وقعة فازلز وأيت ومالو دعا علي بن يشي وعقد له على عشرة آلاف من الخيل وقال له: «لا أرى وجهك إلا إذا أغرت على كروان وأتيتني منهم بعد هذه الرؤوس التي هنا» لأنهم كانوا يوادي زيز يعيشون في طريق سجلamasة وينهبون الرفاق، فصار علي بن يشي حتى صبحهم وهم عارون فنهب حملهم ومواشيهم وقتل منهم العدد الكبير، ثم نادى في تلك القبائل كلها من أتى برأس كرواني فله عشرة مثاقيل، فصار كل من انحاز إليه أحد منهم يقطع رأسه ويأتي به إليه، واستمر البحث عنهم في المدر والوبر إلى أن قضى من جمامتهم الوطر، ولما اجتمعت عنده أعطى كل من أتى برأس مثقالاً واحداً، وجاء إلى السلطان باثنى عشر ألف رأس كما اقترح عليه، وفق ما اجتمع منها بأدخسان فشكر له فعله وولاه على قبائل العرب والبربر.

ودخلت سنة خمس ومائة وألف فلم يكن فيها شيء يذكر.

ثم دخلت سنة ست ومائة وألف فقي ربيع منه خرج المولى زيدان ابن السلطان بالعساكر قاصداً ناحية تلسان. بعد أن قتل النائب بفاس أبو العباس أحمد السلاوي فقاتل الترك ونهب ورجع.

ثم دخل سنة سبع ومائة وألف فلم يكن فيها شيء يذكر.

ثم دخلت سنة ثمان ومائة وألف ففي يوم عرفة منها قدم عشرة رجال من إسطنبول ومعهم كتاب من السلطان مصطفى بن محمد العثماني صاحب القسطنطينية العظمى إلى السلطان المولى إسماعيل يتباهي إلى الصلح مع أهل الجزائر فانتدب رحمه الله وامتثل.

أمر السلطان المولى إسماعيل علماء فاس بالكتابة على ديوان العبيد وامتناعهم منها وما نشا عن ذلك

وفي ذي القعدة من هذه السنة أعني سنة ثمان ومائة وألف ورد كتاب من حضرة السلطان على القاضي والعلماء بفاس يعاتبهم ويوبخهم على عدم موافقتهم على تملك العبيد المثبين في الديوان، ثم ورد كتاب آخر من السلطان يمدح العامة ويندم العلماء ويأمر بعزل القاضي والشهود كذا في «الستان».

قال أبو عبد الله أكسوس: «هذا الكلام الذي نقله صاحب «الستان» عن السلطان المولى إسماعيل رحمه الله فيه نظر فإنه كلام مجمل، وقضية جمع العبيد مذكورة مفصولة في الكتاب الكبير الإسماعيلي وفيه تمييز المماليك الأرقاء الذين اشتروا بالثمن على الوجه الشرعي بخطوط العدول، وهؤلاء لا كلام فيهم، وأما غيرهم من أهل الديوان المجلوبون من القبائل العديدة فإن السلطان لم يدع فيهم الملكية، وإنما الكلام في جبرهم على الجندية، ووجه السلطان إلى علماء المشرق والمغرب السؤالات عن ذلك، فكتبوا إليه الأجوبة المتضمنة للجواز بخطوطهم، وكل ذلك في الكتاب المذكور مبسوطاً، وهو شيء كثير، وحاشى الله مقام السلطان المولى إسماعيل رحمه الله أن يدعي تملك الأحرار، وقد تقدم كلام الشيخ اليوسي وبيان ما أنكر على السلطان، ولو كان ما ذكر الصياني متضمناً به السلطان المذكور لكان ذلك أول ما ينكره اليوسي، ولا يسعه السكوت عليه مع أنه أنكر ما هو أقل من ذلك وأخف بمراتب، نعم في الكتاب طوائف معروفة متميزة ثبت عند السلطان المذكور أنهم كانوا أرقاء للمنصور السعدي، فلما انقرضت الدولة السعدية تفرقوا في الأقطار، وهم الذين تقدم الكلام عليهم في دفتر عليليش، وقد وقع البحث عن رقينهم وسئل أهل الأسنان من كل قبيلة فعينوا الرقيق من غيره، فثبت ذلك كله عند السلطان، ومع ذلك لم يدخلهم في الأرقاء الخلوص الذين اشتروا بالثمن بل ميزهم على حدة فكان ذلك الجندي عند الله على

ثلاث مراتب. المرتبة الأولى: خالص الرقية، المرتبة الثانية: خالص الحرية،
المرتبة الثالثة: واسطة بينهما» اه والله تعالى أعلم.

تفريق المولى إسماعيل رحمة الله تعالى المغرب على أولاده وما نشأ عن ذلك

لما كانت سنة إحدى عشرة ومائة وألف فرق السلطان المولى إسماعيل
رحمه الله أعمال المغرب على أولاده، فقد لابنه المولى أحمد على تادلا
أنزله بقصبها ورتب معه ثلاثة آلاف من العبيد حامية بها، وأمره أن يزيد في
تلك القصبة فبني قصبة جديدة، وبنى بها قصره وبنى مسجداً أعظم من
مسجد أبيه بالقصبة الأولى، واستقر بها.

وعقد لابنه المولى عبد الملك على درعة وأعمالها وأنزله بقصبتها ورتب
معه ثلاثة آلاف من الخيول.

وعقد لابنه المولى محمد المدعو بالعالم على إقليم السوس ورتب معه ألف فارس.

وعقد لابنه المأمون الكبير الذي كان بمراکش على سجل ماسة وأعمالها
نقله من مراکش إليها وأنزله بقصبه التي بناها له بتizi Miyi ورتب معه خمسة
من الخيل ، وبعد ستين توفي الملك المأمون فولى السلطان مكانه ابنه المولى
يوسف .

وقد لابنه المولى زيدان على بلاد الشرق فكان يغير على رعايا الترك إلى أن شردهم عن نواحي تلمسان، وانتهى في بعض أيام غزاته إلى مدينة معسکر فاقتحمتها وانتهت دار أميرها عثمان باي وأخذ ما فيها من الفرش والخرش والأدام وغير ذلك لمغيب عثمان عنها في بعض غزواته، فانتهز المولى زيدان فيها الفرصة فكان ذلك سبب عزله عن الشرى وتولية أخيه المولى حفيض مكانه، لأن السلطان رحمة الله لم يرض فعله ونفيه لدار الباي

للصلح الذي كان انعقد بينه وبين السلطان مصطفى العثماني كما مر.

ثم دخلت سنة اثنى عشرة ومائة وألف: فيها غزا السلطان بلاد الشرق وحارب الترك بها لانتهاض الصلح الذي كان بينه وبينهم بسبب غارات المولى زيدان المتقدمة، ولما قفل السلطان من وجهه هذه هلك من جنده أثناء الطريق عدد كبير من العطش فمن أهل فاس بالخصوص أربعون نفساً سوى من هلك من غيرهم، وفي هذه السنة قتل القائد عبد الخالق بن عبد الله الروسي صاحب فاس عبداً من عبيد دار السلطان دخل عليه بغير إذنه فقتله، فبعث السلطان ولده المولى حفيداً من مكتناسة إلى فاس ليأتيه به فاستشفع إليه عبد الخالق بالعلماء والأشراف فلم يقيده المولى حفيد وذهب به مسرحاً، فلما دخل على السلطان بمكتناسة عفا عنه ورجع إلى فاس سالماً.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة وألف فيها استدعي السلطان عبد الخالق الروسي من فاس، فلما قدم عليه قتله، ويعث ابنه المولى زيدان إلى فاس ويouth معه حمدون بن عبد الله الروسي واليأ عليها بدلاً من أخيه المقتول والله أعلم.

تنازع أولاد السلطان وثورة المولى محمد العالم منهم بالسوس ومقتله

لما دخلت سنة أربع عشرة ومائة وألف وصل المولى عبد الملك بن السلطان صاحب درعة إلى ضريح المولى إدريس الأكبر بزرهون مهزوماً لاستيلاء أخيه المولى أبي النصر على درعة وتغلبه على تلك التواحي، فبعث السلطان ولده المولى الشريف إلى درعة واليأ عليها، فثار المولى محمد العالم ببلاد السوس ودعا لنفسه وزحف إلى مراكش، فحاصرها في رمضان من السنة المذكورة، وفي العشرين من شوال اقتحمتها عنوة بالسيف فقتل

ونهب، ولما اتصل خبره بالسلطان بعث ولده المولى زيدان في العساكر لقتاله، فقدم مراكش فصادف المولى محمدًا قد خرج عنها وعاد إلى تارودانت، ولما احتل المولى زيدان بمراكش عاثت عساكره فيها ثم تبع أخاه المولى محمدًا العالم إلى السوس فنزل على تارودانت واتصلت الحرب بينهما إلى أن دخلت ستة خمس عشرة ومائة وألف وفيها قدم المولى حفيض حضرة فاس الجديد ووظف على أهل فاس مغرماً ثقيلاً وجاء الزعيم والياً عليها، ثم عزل وولى مكانه أبو علي الروسي فقتل أناساً وصلبهم، وفي م تم شوال من السنة المذكورة مات المولى حفيض بفاس الجديد، هذا كله والحرب قائمة بين المولى زيدان والمولى محمد العالم.

ثم دخلت ستة عشرة ومائة وألف ففي ثالث صفر منها ورد أمر السلطان على فاس بأن تعطى كل عتبة عظم سرج ولا يحرر من ذلك أحد كائناً من كان.

وفي الحادي والعشرين من صفر المذكور ورد الخبر باستيلاء المولى زيدان على تارودانت وقبضه على أخيه المولى محمد العالم بعد محاربته له ثلاثة سنين هلك فيها أمم وقواد ورؤساء وأعيان يطول ذكرهم، ولما دخلها المولى زيدان عنوة قتل جميع من بها حتى النساء والصبيان هكذا في البستان، وفي رابع ربيع الأول من السنة وصل المولى محمد العالم مقبوضاً عليه إلى وادي بهت فبعث السلطان من قطع يده ورجله من خلاف بعقبة بهت، ولما وصل إلى مكتنasse خامس عشر الشهر المذكور هلك رحمة الله.

قال أبو عبد الله أكتنسوس: لما توفي المولى محمد العالم صلى عليه القاضي أبو عبد الله محمد العربي بردة فنقم عليه ذلك بعض الحسنة وأوغر قلب السلطان عليه وقال له: «إنه يبغضك ولو لا شدة بغضه لك ما نازع إلى الصلاة على عدوك الذي ثار عليك ورام نزع الملك من يدك فكتب السلطان إلى القاضي بردة يتهدهه ويويشه فأجابه القاضي: «بأن صلاته نظيرة صلاة الحسن البصري على الحجاج بن يوسف فلما ليتم على ذلك قال: استحييت من الله تعالى أن أستعظم ذنب الحجاج في جنب كرم الله الغفور الرحيم،

على أنني ما صلحت عليه بغير إذن بل خرج إذن من الدار المولوية وبلغ ذلك مبلغ الشهرة التي لم يبق معها شك وذلك على لسان مترجم ينسب الأمر إلى الجانب المولوي، فلا افتياً بعد ذلك، بل الواجب هو القيام بذلك ولو بغير إذن إجلالاً وتعظيمًا لجانب مولانا نصره الله، ولما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قضية الحديبية: «امح لفظة رسول الله» قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «والله لا أمحوه أبداً» فتعارض وجوب امتنال أمر الرسول بالمحو ووجوب الإجلال لمقامه الأرفع فرجم رضي الله عنه ووجب الإجلال، ثم الصحيح أن الحدود كفارات ففي الصحيح عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له» اه باختصار.

قال أكنسوس: وكانت هذه القضية من الفتن العظيمة بالمغرب عمّت أهل القطر السوسي وخصت أعيان غيرهم من العلماء الذين كانوا يخالطون المولى محمد العالم لولا لطف الله تعالى، فإن الشيخ أبا عبد الله المنساوي الدلائي كان من أخص الناس بالمولى محمد، فوشى به إلى السلطان وقيل له: «إنه من شدة اتصاله به لا يغيب عنه عزمه على القيام عليك فهو إذاً موافق له على ذلك، فبادر بعض أصحاب السلطان ممن كان يجتمع للمسناوي بالاعذار عنه بأنه كان ينهى عن القيام وأنشد للمسناوي في ذلك:

مهلاً فإن لكل شيء غاية والدهر يعكس حيلة المحتال
فالبدر ليس يلوح ساطع نوره والشمس فاهرة السنّا في الحال
فإذا توارت بالحجاب فعند ذا يبدو بدو تعزز وجمال

فوقع ذلك من السلطان وتحقق برأة الشيخ رحم الله الجميع. قال أكنسوس: «وقولنا عمّت أهل القطر السوسي لأن ظهوره التام إنما كان هنالك ولأن جل من ينتسب إلى العلم والصلاح منهم كانوا معه موافقين له ومؤيدين فعله» اه قال في نشر «المثناني»: كان المولى محمد العالم ماهراً في فنون شتى كالنحو والبيان والمنطق والكلام والأصول، وكان ينفعل للشعر وتأخذه

أريجية الأدب، وكتب له أخوه مولاي الشريف في صدر كتاب بعث به إليه ما خطط به سيف الدولة بن حمدان أخيه ناصر الدولة:

رضيت لك العليا وإن كنت أهلها وقلت لهم بيسي وبين أخي فرق
 أما كنت ترضى أن تكون مصلياً إذا كنت أرضي أن يكون لك السبق
 فاقتصر المولى محمد على الشيخ أبي عبد الله المستاوي أن ينوب عنه
 في الجواب لأنه كان في جملة الوافدين عليه حيشد فقال رحمة الله:

بلى قد رضيت أن تكون مجليناً ويتلوا نداكم في العلا من له السبق
 وما لي لا أرضي لك المجد كله وأنت شقيق النفس إن عرف الحق
 ولكن ذوق الضغف انتحروا ذات بيتنا فغادرنا إفسادهم وبها رفق

وفي هذا التاريخ أعني سنة سبع عشرة ومائة وألف انتزع النجلizer جبل طارق من يد الإصينيول حاشره ثلاثة أيام بزأ وبحراً في جند يسير فملكه لاشتعال الإصينيول يومئذ عنه بأمر الفتنة التي حدثت في ملكه، ولما ملكه النجلizer عظم ذلك على أجناس الفرنج خصوصاً الإصينيول والفرنسيين، ورأوا أن النجلizer قد ملك عليهم بباب أوروبا ولذا حاصروه مراراً فلم يحصلوا منه على طائل واستمر في يده إلى الآن.

ولما دخلت سنة تسعة عشرة ومائة وألف ورد الخبر بموت المولى زيدان ابن السلطان بتارودانت وحمل في تابوت إلى مكتنasse فدفن ليلاً إلى جانب أخيه المولى محمد العالم.

وفي هذه السنة أمر السلطان بهدم قصر البديع الذي بناه المنصور السعدي بقصبة مراكش وقد تقدم الكلام عليه. قال اليفرنبي في «النزهة»: «ومن العجائب أنه لم يبق بلد من بلاد المغرب إلا ودخله شيء من أنقاض البديع» اهـ.

ثم دخلت سنة عشرين ومائة وألف فيها افتتح الترك مدينة وهران وكانت يد الإصينيول مدة فردها الله على المسلمين يومئذ، وفيها أمر السلطان بقراءة حديث الإنصارات يوم الجمعة عند خروج الخطيب وجلوسه على المنبر.

محة الفقيه أبي محمد عبد السلام

ابن حمدون بسوس رحمه الله

قد تقدم لنا ما كان من أمر السلطان المولى إسماعيل رحمه الله لعلماء عصره بالكتابة على ديوان العبيد وامتناعهم من ذلك، ولما كانت سنة عشرين ومائة وألف تجددت المحة وألزم الرئيس أبو محمد عبد الله الروسي فقهاء فاس أن يكتبوا على الديوان المذكور فمن كتب نجا ومن أبي قبض عليه، ثم قبض على أولاد جسوس واستلب أموالهم، وأجلس فقيههم الشيخ أبي محمد عبد السلام بن حمدون جسوس بالسوق مقيداً يتطلب الفداء ثم حمل مسجونة إلى مكناسة.

ودخلت سنة إحدى وعشرين ومائة وألف فعفا السلطان عن الفقيه المذكور وسرحه ويعث به إلى فاس ليزعم الحراطين الذين بها إلى مكناسة، فقدم وأزعجهم في ربيع الأول من السنة المذكورة، ثم كان عاقبة الفقيه المذكور أن قتله القائد أبو علي الحسن بن عبد الخالق الروسي، فمن الناس من يقول: إن ذلك كان بأمر السلطان، ومنهم من يقول بغير أمره اهـ. وقد وقفت على تقدير بخط شيخنا الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز محبوبة السلاوي رحمه الله، وكان واعية، يقول فيه: إن امتحان الفقيه أبي محمد جسوس كان من أجل امتناعه من الموافقة على ديوان الحراطين الذي اخترعه عليليش المراكشي للسلطان الجليل المولى إسماعيل رحمه الله حسبما هو مشهور، فهجاه بعض السفهاء وهجا فاساً من أجله، وحقد عليه السلطان فاستتصفى عامة أمواله، وأجرى عليه أنواع العذاب، وبيعت دوره وأصوله وكتبه وجميع ما يملك هو وأولاده ونساؤه، ثم صار يطاف به في الأسواق وينادي عليه: من يندى هذا الأسير؟ والناس ترمي عليه بالدراريم والحلبي وغير ذلك من النفاثات أياماً كثيرة، فيذهب الموكلون به بما يرمى عليه حيث ذهبوا بأمواله، وبقي على ذلك قريباً من سنة فكان في ذلك محة عظيمة له ولعامة المسلمين وخاصةتهم، ولما دنا وقت شهادته رحمه الله وقد أيس من

نفسه، كتب بخطه رقعة وأذاعها في الناس يقول فيها ما نصه: «الحمد لله يشهد الواضح اسمه عقبه على نفسه ويشهد الله تعالى وملائكته وجميع خلقه أني ما امتنعت من الموافقة على تمليلك من ملك من العبيد إلا لأنني لم أجده وجهاً ولا مسلكاً ولا رخصة في الشرع، وأنني إن وافقت عليه طوعاً أو كرهاً فقد خنت الله ورسوله والشرع وخفت من الخلود في النار بسيبه، وأيضاً فلاني نظرت في أخبار الأئمة المتقدمين حين أكرهوا على ما لم يظهر لهم وجهه في الشرع فرأيتهم ما آثروا أموالهم ولا أبدانهم على دينهم خوفاً منهم على تغيير الشرع واغترار الخلق بهم، ومن ظن بي غير ذلك وافتري على ما لم أقله وما لم أفعله فالله الموعود بيبي وحسبنا الله ونعم الوكيل والسلام وكتب عبد السلام بن حمدون جسوس غفر الله ذنبه وستر في الدارين عبيه صبيحة يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة إحدى وعشرين ومائة وألف» اهـ.

ثم بعد ذلك بيومين أمر أبو علي الروسي بقتله فقتل رحمه الله خنقاً بعد أن توضأ وصلى ما شاء الله، ودعا قرب السحر من ليلة الخميس الخامس والعشرين من ربيع الثاني من السنة المذكورة ودفن ليلاً على يد القائد أبي علي الروسي انتهى ما وجدهناه مقيداً.

واعلم أن قضية الفقيه أبي محمد رحمه الله من القضايا الفظيعة في الإسلام، والأسباب التي أثارتها أولاً وأكدها ثانياً حتى نفذ أمر الله فيما قضاه وقدره في أزله بعضها ظاهر وبعضها خفي، الله أعلم بحقيقةه، غير أن المعروف من حال الفقيه المذكور هو الصلابة في الدين والورع التام ونهايك بشهادته هذه دليلاً على ذلك، وقضيته قد تعارضت فيها الأنقال، ودخلها التعصب فلا يوقف منها على تحقيق، وغفران الله وراء الجميع فإنه تعالى أهل التقوى وأهل المغفرة. قال أبو عبد الله أكتنسوس وقد جرى ذكر قضية الفقيه أبي محمد عبد السلام هذا بمجلس السلطان المرحوم المولى سليمان ابن محمد فقال: ما قتله مولانا إسماعيل وإنما قتله أهل فاس قال: «ولم يمكننا أن نسأله عن حقيقة ذلك» اهـ. وفي شعبان من السنة المذكورة عزل

السلطان أبا علي الروسي عن فاس وولي مكانه حمدون الروسي ثم بعد مدة يسيرة آخر حمدون وأعيد أبو علي، وفيها قدم عبد الله الروسي ومعه أمر السلطان ببيع أصول المجاورين بالشرق يعني بالحرمين الشرقيين.

ثورة المولى أبي النصر ابن السلطان بالسوس ومقتله رحمة الله

ثم دخلت سنة ثلاثة وعشرين ومائة وألف فيها ثار أبو النصر ابن السلطان المولى إسماعيل ببلاد السوس وخب في الفتنة ووضع. وفي سنة أربع وعشرين ومائة وألف سرح السلطان كاتبه الخياط بن منصور من السجن وولاه درعة.

وفي سنة خمس وعشرين بعدها قتل السلطان الخياط المذكور وأخاه عبد الرحمن، وفيها ورد الخبر على السلطان بأن أولاد دليم من عرب السوس قد قتلوا ولده المولى أبي النصر الثائر بها.

وفي سنة ست وعشرين ومائة وألف قتل السلطان القائد أبا الدشيش وثلاثة من القواد معه وبسبعين عشر من العبيد بمشرع الرملة، وفي جمادى الأولى من سنة سبع وعشرين ومائة وألف توفيت الحرة عائشة مباركة زوج السلطان، وهي أم ولده المولى أبي الحسن علي الآتي ذكره.

وفي سنة تسع وعشرين ومائة وألف سافر ولد السلطان وهو المولى أبو مروان بن إسماعيل إلى الحجاز بقصد المعجم، وفي رمضان منها بعث والي وجدة إلى الحضرة مائة رأس من رؤوسبني يزناسن.

وفي سنة ثلاثين ومائة وألف ورد كتاب من السلطان إلى فاس يتضمن تحرير أهل فاس من الكلف كلها، ثم ورد عقبه كتاب آخر يوحيهم فيه وبخирهم بين أن يكونوا جيشاً أو نائبة، فقال رجل منهم يدعى ولد الصحراوي: «إنما يكون الكلام أمام السلطان» فقتل وأصبح مصلوبياً، فبلغ ذلك السلطان فقبض على أبي علي الروسي وأصحابه، وولي على فاس

حمدون الروسي، ثم بعد ذلك عمد حمدون الروسي إلى عبد الخالق بن يوسف فقتله، فقبض السلطان عليه وعلى أخيه مسعود، وولي على فاس حمو قصارة، ثم بعد أيام قدم أبو علي الروسي واليأ على فاس. وفي هذه السنة ورد الخبر بموت المولى أبي مروان بالشرق، وفيها عزل السلطان أولاده عن الأعمال كلها ولم يترك إلا ولـي العهد المولى أحمد بتادلا. ثم بعث ولـه المولى عبد الملك إلى مراكش وولاه قطر السوس، واستقامت الأمور وسكنـت الرعية وهـدأتـ البلاد، وـاشـتـغلـ السـلـطـانـ بـبـنـاءـ قـصـورـهـ وـغـرـسـ بـسـاتـينـهـ وـبـلـادـ فـيـ أـمـنـ وـعـافـيـةـ، تـخـرـجـ الـمـرـأـةـ وـالـذـيـ منـ وـجـدـةـ إـلـىـ وـادـيـ نـوـلـ فـلـاـ يـجـدـانـ مـنـ يـسـأـلـهـمـاـ مـنـ أـيـنـ وـلـاـ إـلـىـ أـيـنـ، مـعـ الرـجـاءـ المـفـرـطـ فـلـاـ قـيـمةـ لـلـقـمـحـ وـلـاـ لـلـمـاشـيـةـ، وـالـعـمـالـ تـجـبـيـ الـأـمـوـالـ وـالـرـعـاـيـاـ تـدـفـعـ بـلـاـ كـلـفـةـ، وـصـارـ أـهـلـ الـمـغـرـبـ كـفـلـاحـيـ مـصـرـ يـعـمـلـونـ وـيـدـفـعـونـ فـيـ كـلـ جـمـعـةـ أوـ شـهـرـ أوـ سـنـةـ، وـمـنـ تـنـجـ فـرـسـاـ رـيـاهـ حـتـىـ إـذـاـ بـلـغـ أـنـ يـرـكـبـ دـفـعـهـ إـلـىـ الـعـامـلـ وـعـشـرـ مـتـاقـيلـ مـعـهـ ثـمـ سـرـجـهـ، هـذـاـ إـذـاـ كـانـ مـتـنـجـ ذـكـراـ فـإـذـاـ كـانـ أـنـشـيـ تـرـكـ لـهـ، وـيـدـفـعـ لـلـعـامـلـ مـتـقـالـاـ وـاحـدـاـ، وـلـمـ يـبـقـ فـيـ هـذـهـ الـمـدـةـ بـأـرـضـ الـمـغـرـبـ سـارـقـ وـلـاـ قـاطـعـ طـرـيقـ وـمـنـ ظـهـرـ عـلـيـهـ شـيـءـ مـنـ ذـلـكـ وـفـرـ فـيـ الـقـبـائـلـ قـبـضـ عـلـيـهـ بـكـلـ قـبـيـلـةـ مـرـ عـلـيـهـاـ أـوـ قـرـيـةـ ظـهـرـ بـهـاـ، فـلـاـ تـقـلـهـ أـرـضـ حـتـىـ يـبـؤـتـيـ بـهـ أـيـنـاـ كـانـ، وـكـلـمـاـ بـاتـ مـجـهـولـ حـالـ بـحـلـةـ أـوـ قـرـيـةـ ثـقـفـ بـهـاـ إـلـىـ أـنـ يـعـرـفـ حـالـهـ، وـمـنـ تـرـكـهـ وـلـمـ يـحـتـظـ فـيـ أـمـرـهـ أـخـذـ بـمـاـ اـجـتـرـحـهـ وـأـدـىـ مـاـ سـرـقـهـ أـوـ اـقـرـفـهـ مـنـ قـتـلـ أـوـ غـيـرـهـ.

وـكـانـ أـيـامـهـ رـحـمـهـ اللهـ غـزـيرـةـ الـأـمـطـارـ كـثـيرـةـ الـبـرـكـةـ فـيـ الـحرـاثـةـ وـالـتـجـارـةـ وـغـيرـهـمـاـ مـنـ أـنـوـاعـ الـمـعـاشـ مـعـ الـأـمـنـ وـالـخـصـبـ وـالـرـخـاءـ الـمـحـتـدـ بـحـيـثـ لـمـ يـقـعـ غـلـاءـ طـوـلـ أـيـامـ إـلـاـ مـرـةـ وـاحـدـةـ، فـبـلـغـ الـقـمـحـ فـيـ أـيـامـ سـتـ أـوـاقـ لـلـمـدـ وـالـشـعـيرـ ثـلـاثـ أـوـاقـ لـلـمـدـ، وـرـأـسـ الـضـأنـ ثـلـاثـ أـوـاقـ، وـرـأـسـ الـبـقـرـ مـنـ الـمـتـقـالـ إـلـىـ الـمـتـقـالـيـنـ سـائـرـ أـيـامـ الـرـخـاءـ، وـالـسـمـنـ وـالـعـسـلـ رـطـلـانـ بـالـمـوزـونـةـ، وـالـزـيـتـ أـرـيـعـةـ أـرـطـالـ بـالـمـوزـونـةـ هـكـذـاـ نـقـلـهـ صـاحـبـ الـبـسـتانـ وـهـوـ مـخـالـفـ لـمـ سـيـأـتـيـ فـيـ الـحـوـادـثـ مـنـ أـنـ الـجـدـبـ وـالـغـلـاءـ قـدـ بـلـغـ مـبـلـغـهـمـاـ أـعـوـامـ التـسـعـينـ وـأـلـفـ وـلـلـلـعـلـ ماـ ذـكـرـهـ صـاحـبـ الـبـسـتانـ كـانـ فـيـ آخـرـ دـوـلـةـ السـلـطـانـ الـمـذـكـورـ

حسبما هي عادة الله تعالى في مثل ذلك غالباً والله تعالى أعلم.

بناء ضريحي الإمامين إدريس الأكبر والأصغر رضي الله عنهم

لما كانت سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف أمر السلطان رحمة الله بهدم قبة ضريح المولى إدريس الأكبر رضي الله عنه بزاوية زرهون وشراء الأصول المجاورة له من جهاته الأربع وهدمها وزيادتها فيه، فهدمت القبة وجميع ما حولها وأعيدت على هيئة بدعة، واستمر البناء والعمل في المشهد الشريف إلى أن تم سنة أربع وثلاثين ومائة وألف هكذا في «البستان» وغيره. وقال في «نشر المثاني»: وفي سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف أمر السلطان المظفر المولى إسماعيل بتتجديد بناء مقام مولانا إدريس الأصغر ياتي فاس حيث ضريحه بها، وأمر ببناء قبة التي هي عليه الآن بما اشتملت عليه من المحسن التي يعز وجودها، وأمر بتوسيعة صحن المسجد على ما هو عليه اليوم من الهيئة التي لا نظير لها بفاس، وتم تسقيف القبة في آخر ذي الحجة من العام المذكور، ثم أمر رحمة الله بإقامة الجمعة فيه فهي تقام فيه من يومئذ، جعل الله ذلك في ميزان الأمر به والمتولى له أمين.

وفي سنة ثلث وثلاثين ومائة وألف مات القائد عبد الله الروسي بمكناسة، وفيها غضب السلطان على أهل فاس ويعتاليهم حملون الروسي وأخاه أبي علي، وأمرهم بمصادرتهم، وقبض المال منهم، فبعثوا علماءهم وأشارفهم للشفاعة فلم يقبل، وشرعوا في دفع المال حتى لم يعرف له عدد، ولم يسلم من الغرامة أحد، وتغيب الناس في تلك العدة وخلت المدينة من ذوي اليسار.

وفي هذه السنة أيضاً في المحرم منها خرج عسكر الإصينيون من سبتة على حين غفلة من المسلمين، فضرروا في محلتهم واستولوا عليها وعلى خباء القائد أبي الحسن علي بن عبد الله الريفي، ونهبوا وقتلوا وسلبوا

وحازوا شبارات المسلمين وعساتهم وحازوا قصبة آفراك، واستشهد من المسلمين نحو ألف، ورجعوا عودهم على بدئهم إلى سبطة، ومنها ركبوا البحر إلى جزيرتهم، ولم يبق بسبة إلا سكانها، ثم كانت الكرة للMuslimين عليهم بعدها فبقي بأيدي المسلمين منهم نحو ثلاثة آلاف.

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة وألف ففي المحرم منها مات البasha غازي بن شقراء صاحب مراكش بوجدة، وفي صفر منها مات باعزيز بن صدوف صاحب تارودانت، وفيها انتقل المولى عبد الملك بن السلطان إلى تارودانت فاستقر بها إلى أن كان من أمره ما ذكره عند التعرض لدولته إن شاء الله.

وفاة أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمة الله

كانت أيام أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمة الله على ما ذكرنا من الأمان والعافية وتمام الضبط حتى لم يبق لأهل الذعارة والفساد محل يأوون إليه ويعتصمون به ولم تقل لهم أرض ولا أظلتهم سماء سائر أيامه، فقد كان خليفة ونائباً عن أخيه المولى الرشيد سبع سنين، وسلطاناً وملكاً مستقلاً سبعاً وخمسين سنة، حتى كان جهله الأغرب يعتقدون أنه لا يموت، ويقال: إن البعض من أولاده كانوا يستبطئون موته ويعبرون عنه بالحي الدائم، وهذه المدة التي استوفاها المولى إسماعيل في الملك والسلطان لم يستوفها أحد من خلفاء الإسلام وملوكه سوى المستنصر العبيدي صاحب مصر، فإنه أقام في الخلافة ستين سنة، لكن لا سواء، فإن المولى إسماعيل رحمة الله استوفى مدة الخلافة بشرتها، وتملاها بكمال لذتها، لأنه ولديها في إبان افتداره عليها واضطلاعه بها بعد سن العشرين كما مر، لا في مدة النيابة ولا في مدة الاستقلال، ولم يكن عليه استبداد لأحد، ولا نقص عليه دولته منغص سوى ما كان من ثورة ابن محرز وابنه المولى محمد العالم، ومن سلك سنته من القرابة، وكلهم كان يشغب في الأطراف، لم يحصل منهم

كبير ضرر للدولة، بخلاف المستنصر العبيدي فإنه ولد وهو ابن سبع سنين فكان في صدر دولته تحت الاستبداد، وحدث في أيامه الغلاء العظيم.

قال ابن خلكان: وهو غلاء لم يعهد مثله بمصر منذ زمان يوسف عليه الصلاة والسلام، واستمر سبع سنين أكل الناس فيها بعضهم بعضاً وبيع رغيف واحد بخمسين ديناراً، وكان المستنصر في هذه الشدة يركب وحده وكل من معه من الخواص متراجلون ليس لهم دواب يركبونها، وكانت إذا مشوا يتسلطون في الطرقات من الجوع، إلى غير ذلك فلذا قلنا: لا يستوي حال ملك المولى إسماعيل وملك المستنصر رحمهما الله.

ولما كانت سنة تسع وثلاثين ومائة وألف مرض أمير المؤمنين المولى إسماعيل مرض موته قال في «نشر المثاني»: كان ابتداء مرضه في ثاني يوم من جمادى الأولى من السنة المذكورة، ولما أحس بالضعف بعث إلى ولده المولى أحمد صاحب تادلا يستقدمه فقدم عليه وأقام ثلاثة أيام ثم اخترمه المنية رحمة الله يوم السبت الثامن والعشرين من رجب سنة تسع وثلاثين ومائة وألف، وتولى غسله الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي القاسم العميري، وصلى عليه الفقيه العلامة أبو علي الحسن بن رحال المعداني ودفن بضريح الشيخ المجدوب رضي الله عنه من حضرة مكتasse.

قال في «البستان»: كان السلطان المولى إسماعيل قد عهد بالأمر إلى ولده المولى أحمد المذكور وكان يعبر عنه بولي العهد، وأنكر أكتنسوس أن يكون السلطان المذكور قد عهد لأحد من أولاده، قال: كما أخبرنا بذلك السلطان العالم المولى سليمان بن محمد رحمة الله مراراً وكان يحكى في ذلك خبراً، وهو أن المولى إسماعيل لما أيقن بالموت دعا وزيره وعالم حضرته الكاتب أبي العباس اليحمدي وقال له: «إني في آخر يوم من أيام الدنيا فأحببت أن تشير عليّ بمن أقلده هذا الأمر من ولدي لأنك أعرف بأحوالهم مني فقال له: «يا مولانا لقد كلفتني أمراً عظيماً وأنا أقول الحق: أنه لا ولد لك تقلده أمر المسلمين، كان لك ثلاثة المولى محرز والمولى المأمون والمولى محمد فقبضهم الله إليه» فقال له السلطان: «جزاك الله خيراً» وودعه

وانصرف ولم يعهد لأحد وإنما العبيد كانوا يقدمون من شاؤوا، ويؤخرن من شاؤوا، وكان المولى سليمان رحمه الله يحكى ذلك عندما يعرض له ذكر أولاده هو والله أعلم.

بقية أخبار المولى إسماعيل رحمه الله وما ترثه وسيرته

قال اليفرنبي في «النزهة»: «لم ينزل أمير المؤمنين إسماعيل رحمه الله في مقارعة أعدائه إلى أن دوخ بلاد المغرب كلها واستولى على سهلها ووعرها، واستولى على تخوم السودان وانتهى منها إلى ما وراء النيل، وانتشرت دولته في عمائرها وبلغ من ذلك ما لم يبلغه المنصور السعدي، وامتدت مملكته في جهة الشرق إلى بسكتة من بلاد الجريد ونواحي تلمسان والله أعلم حيث يجعل رسالته» اهـ وقال في «البستان»: كان للمولى إسماعيل من الولد على ما تواتر به الخبر خمسمائة ولد ذكر ومن البنات مثل ذلك أو قريب منه، قال: والذي عقب من أولاده على ما رأينا عياناً في دفتر السلطان المولى محمد بن عبد الله إذ كان يصلهم في كل سنة، وكان يبعثني لتفرقة الصلة عليهم بسجل ماسة مائة دار وخمس دور كلها لأولاده لصلبه، وأما الذين لم يعيقوا أو عقبوا وانقطع نسلهم فليسوا في الدفتر، وأما الحفدة والأسباط فكان عددهم في أيام السلطان المولى محمد بن عبد الله ألفاً وخمسمائة وستين، وقد زادوا اليوم في دولة السلطان المولى سليمان بن محمد، ولم ينزل يصلهم إلى الآن على ما في دفتر والده ومن زاد يزاد له، قال: وأما ما أدركتناه من أولاد المولى إسماعيل لصلبه في دولة السلطان المولى محمد فثمانية وعشرون رجلاً تعرفهم بالاسم والعين. ومن بناته لصلبه مثل ذلك قد أنزلهن السلطان بقصر حمو بن بكرة ورتب لهن المؤنة والكسوة والصلة في كل سنة، وأنزل معهن الحوافد اللاتي لا أزواج لهن، وكل واحدة من هذه الدور المائة

والخمس التي بسجل ماسة لواحد من أولاد صلبه لأنه كان رحمة الله إذا رأى أحداً من أولاده الذين لم يرد إقامتهم معه بالمغرب قد بلغ أرسله إلى سجل ماسة وبني له بها قسراً أو داراً وأعطاه نخلاً وأرضاً للحراسة والفلاحة ومماليك يقومون له بخدمة أصله وحراثة أرضه في الشتاء والصيف، ويعطى كل واحد من ذلك على قدر مرتبته عنده ومنزلة أمه منه، فتناسلت أولادهم ونمت فروعهم ووفر الله جمعهم وحفظ نظامهم، وكان رحمة الله سيد النظر في نقل أولاده بأمهاتهم من مكناسة إلى تافيلالت مع بني عمهم من الأشراف ليتدربوا على معيشتها التي تدوم لهم فكان ذلك صوناً لهم من نكبات الدهر وفضيحة الخاصة بعد موته وزوال النعمة وانزواء رداء الملك الساتر لهم بين العامة، فنجحوا وأفحلوا بخلاف إخوانهم الذين ربوا بمكناسة واستمروا بها إلى أن توفي والدهم وألفوا عوائدهم ومرنوا على شهواتهم فإنهم لم ينم لهم نسل كإخوانهم الذين بالصحراء هذا ما يتعلّق بنسل السلطان المولى إسماعيل.

وأما مبانيه بقلعة مكناسة وقصوره ومساجده ومدارسه وبساتينه فشيء فوق المعهود بحيث تعجز عنه الدول القديمة والحادية من الفرس واليونان والروم والعرب والترك، فلا يلحق ضيّخامة مصانعه ما شيده الأكاسرة بالمداين، ولا الفراعنة بمصر، ولا ملوك الروم ببرومه والقسطنطينية، ولا اليونان بأنطاكية والإسكندرية، ولا ملوك الإسلام ودولة العظام كبني أمية بدمشق، وبيني العباس ببغداد، والعبيدين بأفريقيا ومصر، والمرابطين والموحدين وبيني مرين والسعديين بال المغرب، وما بديع المنصور يقتصر من قصوره ولا بستان المسرة بأحد بساتينه، فقد كان عنده بجنان حمرية مائة ألف قعدة من شجر الزيتون وحبسه كله على الحرمين الشريفين، ومررت عليه بعد وفاته العصور وأيام الفترة والفتن والناس يحتطبوه فلم يظهر فيه أثر من ذلك، ولما بُويع السلطان المولى محمد بن عبد الله أحياء وأجري العام إليه وأمر بإحصاء ما بقي من شجرة فوجدوه ستين ألفاً فكان رحمة الله يبعث بشمن غلته إلى الحرمين تنفيذاً لمراد جده وكذا ابنه المولى سليمان رحمة الله.

قال صاحب «البستان»: «ولقد شاهدت الكثير من آثار الدول فمارأيت أثراً أعظم من آثاره، ولا بناء أضخم من بنائه ولا أكثر عدداً من قصوره، لأن هؤلاء الدول كان من اعتقى منهم بأمر البناء غاية أمره أن يبني قصراً ويتألق في تشبيله وتجسيده، وهذا السلطان لم يقتصر على قصر ولا على عشرة ولا عشرين بل جعل مباني العالم كلها في بطن تلك القلعة المكتناسية كما قيل: «كل الصيد في جوف الفرأ» هذا كلام صاحب البستان رحمه الله. ثم قال: وكان في سجونه من الأسرى خمسة وعشرون ألفاً ونيفاً، كانوا يعملون في بناء قصوره منهم الرخامون والقاشون والنجارون والحدادون والمنجمون والمهندسون والأطباء، ولم تسمع نفسه قط بفداء أسير.

وكان في سجونه من أهل الجرائم كالقاتل والمحارب والسارق نحو الثلاثين ألفاً نظل في العمل مع أسرى الكفار وبئتون في السجون والأهراء تحت الأرض، ومن مات منهم دفن في البناء حتى لم يبق بالمغرب من أهل الفساد عرق يتبغض. وما مدح به العولى إسماعيل رحمه الله قول الفقيه الأديب أبي عبد الله محمد بن عبد الله الجزوئي من قصيدة له:

| | |
|---------------------------------------|----------------------------|
| مولاي إسماعيل يا شمس الورى | يا من جميع الكائنات فدى له |
| ما أنت إلا سيف حق منتفضى | الله من دون البرية سله |
| من لا يرى لك طاعة فاش قد | أعماه عن طرق الهدى وأضل له |
| ولذكر ما سلف في هذه المدة من الأحداث. | |

ففي سنة إحدى وسبعين وألف توفي الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد المفضل بن الشيخ أبي العباس أحمد المرسي ابن الشيخ الأكبر أبي عبد الله سيدي محمد الشرقي، كان رحمة الله صالحاً خيراً من فضلاء عصره حافظاً للقرآن بالسبعين، قد اشتهر قدره في الناس كثيراً، وكان يفر من ذلك وإذا سأله أحد أن يتخلله شيئاً يقول: «نحن إخوة في الله والدرهم الكامل ينفق منه» أخذ القراءات عن الفقيه الأستاذ أبي عبد الرحمن بن القاضي وكتب له الإجازة بذلك، وكان له نصيب من العلوم سوى القراءات، وانتسب في

الطريق للولي الصالح أبي عبد الله محمد الحفيان الرتببي السجلمامسي من أصحاب الشيخ أبي عبيد الشرقي، وتخرج عليه نجاه من طلبة القراءات وكان رحمة الله كثير الطعام بزاوية جده أبي عبيد الشرقي، ثم انتقل إلى ناحية سلا فسكن بأحوازها ويقي هنالك إلى أن مات في التاريخ المذكور فحمل إلى المدينة المذكورة ودفن بطالعتها قرب المسجد الأعظم، وقبره اليوم مزار عظيمة، وكان له كلام كثير على طريق العربي الملحون خاطب به الرئيس محمد الحاج الدلائي حين مشت الوشاة بينهما فووقدت من أجل ذلك بينهما مكابيات ومعابيات رحهما الله.

وفي سنة الثنتين وسبعين وألف توفي الشيخ الرباني أبو إسحاق إبراهيم ابن أحمد بن عبد الله بن حسين المصلوحي دفين تامصلوحت من أعمال مراكش، وقد تقدم التنبية على وفاة جده أبي محمد عبد الله بن حسين المذكور، وكانت له شهرة عظيمة وكان ابتداء أمره أنه تلمذ له طائفة من القراء بمراكش، واجتمع عليه ناس فأنكر ذلك السلطان زيدان بن المنصور وأمره بالقبض عليه فخرج إلى قبيلة سكتانة حيث ضريحه اليوم فاستقر بها إلى أن توفي، وكان يقول: «لا يأتينا إلا من أمنه الله لأن مقامنا هذا مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً» وكان يقول: «دارنا دار سر لا دار علم» وكان إذا دخل شهر المحرم ترك حلق الشعر والزينة فإذا ليئم على ذلك قال: «ما فعلنا هذا إلا امتعاضاً لقتل الحسين رضي الله عنه وأسفنا على ما وقع به» وكان يعمل السمع ويجتمع أصحابه على الحضرة على الكيفية المعهودة وربما تواجد فدخل معهم، وكانت له مشاركة في العلوم أخذ عن الشيخ المنجور وأبي محمد بن طاهر الحسني وأبي مهدي السكتاني وغيرهم. وتوفي في التاريخ المتقدم عن سن عالية يقال: أناف على المائة وبنيت عليه قبة حافلة وقبره اليوم مزار عظيمة.

وفي أواخر سنة ثلاث وسبعين وألف مع السنة التي بعدها حدثت مجاعة عظيمة بالمغرب لا سيما فاس وأعمالها أكل الناس فيها الجيف والدواب والأدمي وخلت الدور وعطلت المساجد ثم تدارك الله عباده بلطنه.

وفي سنة خمس وسبعين وألف فيعاشر رمضان منها وقعت زلزلة عظيمة بفاس وغيرها من بلاد المغرب . قال الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الهادي الشريف السجلماسي : « وقعت الزلزلة في التاريخ المذكور ونحن بمجلس البخاري عند شيخ الجماعة الإمام أبي محمد عبد القادر الفاسي رحمه الله ، فقام كل من بالمجلس حتى الشیخ ظناً منا أن السقف يسقط علينا لأن خشبة صوتت ، وخرج سرعان الناس يتتسون الخبر ، فأخبر بها كل من كان راقداً أو جالساً حتى النائم انته ، ومن كان مائياً لم يشعر بها ، فسئل الشیخ عن ذلك وهل هو كما تزعم العامة : من أن الثور الذي عليه الدنيا أو الحوت يتحرك ، فأجاب : بأن ذلك باطل لا أصل له ، وتلا قوله تعالى : ﴿وَمَا تُرِيكُ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء : ٥٩] وقال أيضاً : « ذكر بعض الحكماء أن ذلك يقع في اختناق الريح في جوف الأرض » .

وفي يوم الاثنين الثامن والعشرين من رجب سنة سبع وسبعين وألف توفي البهلو المتبرك به سيدى قاسم بن أحمد بو عصري المعروف بابن اللوشة دفين ضفة وادي أرض من بلاد آذغار ولم يتزوج قط فلم يكن له عقب هكذا في « نشر المثاني » ولعله تصحيف ، والصواب ما يأتي من أنه توفي سنة سبع وسبعين بمثابة بمهملتين والله أعلم .

وفي سنة خمس وثمانين وألف توفي شيخ السنة وإمام الطريقة أبو عبد الله سيدى محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن ناصر بن عمرو الدرعي ثم الأغلاني الشهير بابن ناصر ، نسبة إلى جده المذكور في النسب قال تلميذه الشيخ أبو علي اليوسي في فهرسته : كان الشیخ رضي الله عنه مشاركاً في فنون من العلم كالفقه والعربية والكلام والتفسير والحديث والتتصوف ، عابداً ناسكاً ، ورعاً زاهداً ، عارفاً قائماً بالطريقة ، شارباً من عين الحقيقة ، وكان رضي الله عنه مع إكبابه على علوم القوم وانتهاجه منهجه الطريقة لا يدخل بعلم الظاهر تدريساً وتأليفاً وتقبيضاً وضبطاً ، فنفع الله به الفريقين وصحبه الناس شرقاً وغرباً . فانتفع به الخلق ، قائماً بالتعليم والتربية للمربيدين بقوله وفعله ، والترقية بهمته ، عن همة عالية وحالة مرضية وعلم

صحيح وبصيرة ونورانية مع التمكّن والرسوخ، فكان إذا تكلّم انتقش كلامه في القلب، وإذا وعظ وضع الهناء مواضع النقب». ثم أطال الشيخ اليوسي في ترجمته، وذكر له كرامات عديدة، وقد أفصح عن حاله ووصفه في قصيده الدالية المشهورة الموضوعة في مدحه، وأتى فيها من الإجلال لهذا الشيخ والتعظيم بما كان سبب ريحه. ولهذا الشيخ شيخوخ وأتباع معروفون في كتب الأئمة الذين تعرضوا لبيان ذلك وطريقته المتصلة برسول الله ﷺ معروفة أيضاً، وكان والده سيدي محمد بن أحمد بن أكابر الأولياء كثير الأوراد لا يفتر لسانه عن الأذكار حسبما نقله غير واحد والله تعالى أعلم.

قال مؤلفه عفى الله عنه: وهذا الشيخ هو جدنا وإليه تنسب فأنا أحمد بن خالد بن حماد بن محمد الكبير بن أحمد بن محمد الصغير بفتح الميم ابن محمد بن ناصر الشيخ المذكور نفعنا الله به وأفاض علينا من مدده ومدد أمثاله، وأسلافنا يتسبّبون بعد الشيخ المذكور نفعنا الله به وأفاض علينا من مدده ومدد أمثاله، وأسلافنا يتسبّبون بعد الشيخ المذكور إلى سيدي جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه، ولست الآن من ذلك على تحقيق، ولعلنا نتحقق في موضع آخر إن شاء الله.

وفي حدود التسعين وألف كان انحباس المطر والغلاء. قال الشرييف أبو عبد الله محمد الطيب القادري في «الأزهار الندية»: أن القمع قد بلغ في هذه المدة إلى أربعين أوقية للمد بسبب تأخر المطر والمد صاع ونصف وصلى الناس صلاة الاستسقاء فأول إمام خطب فيها القاضي أبو عبد الله محمد العربي برحلة وكررها ثلاث مرات فنزل مطر يسير لم يكف، ثم أعيدت الصلاة رابعة فكان الخطيب فيها الفقيه أبو عبد الله محمد البوعناني، ثم أعيدت خامسة والخطيب القاضي برحلة، ثم أعيدت سادسة والخطيب أبو عبد الله محمد المرابط الدلائي وفيها بلغ القمع ستين أوقية وهو غلاء لم يسمع بمثله، ثم أعيدت الصلاة سابعة والخطيب أبو عبد الله البوعناني، ثم أعيدت ثامنة والخطيب الشيخ الولي الزاهد أبو عبد الله محمد العربي الفشتالي، وفي عشية غده نزل المطر مع رعد وبرق ففرح المسلمون وأكثروا من حمد الله

تعالى، ثم أعيدت الصلاة تاسعة والخطيب القاضي بردلة، وخرج يومئذ في جملة الناس شيخ الإسلام وبركة الأمة الإمام أبو محمد سيدى عبد القادر الفاسى راكباً على حمار جاعلاً الأشراف من أهل البيت الظاهر أماته مستشفعاً بهم إلى الله تعالى، فنزل عند الرجوع مطر قليل، ومن الغد نزل المطر الغزير الكافى النافع فانحطت الأسعار وتزلق القممح إلى خمس وثلاثين أوقية بعدما كررت الصلاة تسعة مرات، وكانت الصلاة التاسعة يوم الاثنين خامس المحرم فاتح سنة إحدى وتسعين وألف.

وفي سنة تسعة وثمانين وألف في ليلة الجمعة الثاني عشر من شعبان منها توفي الشيخ المولى أبو محمد عبد الله الشرييف الوزاني الشهير. وكان عمره يوم توفي خمساً وثمانين سنة، وتوفي ولده الشيخ المولى أبو عبد الله محمد وقت العشاء ليلة الجمعة الثامن والعشرين من المحرم سنة عشرين ومائة وألف، وعمره يومئذ ثمانون سنة، وتوفي ابنه الشيخ القطب المولى التهامي ابن محمد طلوع شمس يوم الاثنين فاتح المحرم من سنة سبع وعشرين ومائة وألف، وعمره ست وستون سنة، وتوفي الشيخ مولاي الطيب ابن محمد يوم الأحد وقت طلوع الفجر ثامن عشر ربيع الثانى سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، وعمره نيف وثمانون سنة، وتوفي ابنه الشيخ مولاي أحمد ضحوة يوم السبت الثامن عشر من صفر سنة ست وتسعين ومائة وألف، وتوفي ابنه الشيخ مولاي علي بن أحمد يوم الثلاثاء آخر يوم من ربيع الأول سنة ست وعشرين ومائتين وألف وتوفي ابنه الشيخ سيدى الحاج العربي بن علي يوم الأربعاء فاتح سنة سبع وستين ومائتين وألف. وقد أتينا بوفاة هؤلاء السادة الوازانيين مجموعة هنا لما في ذلك من المناسبة والتقرير، ويحصل نسبهم بالمولى يملح بن مشيش أخي المولى عبد السلام بن مشيش ثم بالمولى إدريس بن إدريس رضي الله عنهم وأماتنا على محبتهم وحضرنا في زمرتهم.

وفي سنة تسعين وألف وقع الوباء العظيم بالمغرب فكان عبيد السلطان يردون الواردين من الآفاق على مكناسة الزيتون كما مر.

وفي سنة إحدى وتسعين وألف بعد ظهر الأربعاء الثامن من رمضان منها توفي شيخ الجماعة بفاس والمغرب الإمام الكبير العالم الشهير الشيخ أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، ولا يحتاج مثله رضي الله عنه إلى تعريف فإن مآثره أشهر من «فقا نبك»، قالوا: ومع غزارة علمه وارتفاع أهل المغرب الثلاثة به لم ينضد لجمع كتاب مخصوص ولا شرح من من المتنون، وإنما كانت تصدر عنه أجوبة يُسأل عنها فيجيب ويجيد وجمعها بعض أصحابه فجاءت في مجلد.

وفي سنة خمس وتسعين وألف توفي الولي الصالح أبو محمد عبد الله العوني دفين سلا من أصحاب الشيخ سيدي محمد المفضل.

وفي سنة ست وتسعين وألف توفي الشيخ العلامة المشارك أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي صاحب نظم عمل فاس و«الأفnom في مبادئ العلوم» وغيرهما من التأليف الحسان.

وفي سنة سبع وتسعين وألف توفي الشيخ العارف بالله تعالى ذو الأحوال الربانية والمواهب العرفانية أبو القاسم بن أحمد الوشة السفياني المعروف بأبي عسيرة، لأنه كان يعمل بشماله أكثر من يمينه. كان من المولهين في ذات الله تعالى ومن أهل الأحوال والشطحات، يقال: إنه حمل وهو صبي إلى الشيخ أبي عبيد الشرقي فبرك عليه ودعا بقرب من ماء فصبت عليه وقال: لولا أنا بردنا هذا الصبي لأحرقته الأنوار، ولذا كان يهتف بأبي عبيد كثيراً وينادي باسمه وينسب جميع ما يظهر على يده له.

وفي سنة إحدى مائة وألف أمر السلطان الناس بأن لا يلبسو النعال السود ولا يلبسها إلا اليهود وتقدم التنبيه على ذلك عقب فتح العرائش.

وفي سنة اثنين ومائة وألف توفي الشيخ الإمام على الأعلام آخر علماء المغرب على الإطلاق، الذي وقع على علمه وصلاحه الاتفاق، أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي نسبة إلى آيت يوسي قبيلة من برابر ملوية وأصله اليوسي، كان رضي الله عنه غزالياً وقته علماً وتحقيقاً وزهداً وورعاً، قال في

فهرسته: كانت قراءتي كلها أو جلها فتحاً ربانياً، ورزقت والله الحمد قريحة وقادة فكتت بأدني سمع يتفعني الله، فقد أسمع بعض الكتاب ففتح الله علي في جميعه فتحاً ظاهراً، وأبلغ فيه ما لم يبلغه من سمعته منه، ورب كتاب لم اسمعه أصلاً غير أن سمع البعض في كل فن صار مبدأ للفتح وتتميماً لحكمة الله في ستة الأخذ عن المشايخ، ولا تستوحش مما ذكرناه ظناً منك أن الربع أبداً يكون على قدر رأس المال، كلا، فقد يبلغ الدرهم الواحد ألف مثقال وما ذلك على الله بعزيز.

وكان معظم قراءته بالزاوية الدلائية لم يزل مقيناً بها عاكفاً على بث العلم ونشره إلى أن استولى عليها المولى الرشيد بن الشريف فنقله إلى فاس، فأقام بها مدة، ثم خرج إلى البادية فاستوطن بقبيلته إلى أن مات رحمة الله، وكان رضي الله عنه متضلعًا من العلوم العقلية والنقلية حتى قال في تأليفه المسمى «بالقول الفصل في الفرق بين الخاصة والفصل»: «أنه بلغ درجة الشيخ سعد الدين التفتازاني والسيد الجرجاني وأضرابهما» وسئل يوماً سائل بمجلس درسه فقال له: «اسمع ما لا تسمعه من إنسان، ولا تجده محرراً في ديوان، ولا تراه مسطراً بينان، وإنما هو من مواهب الرحمن» ولما دخل مراكش تصدر بها لإقراء علم التفسير بجامع الأشراف فمكث في تفسير الفاتحة قريراً من ثلاثة أشهر، وهو يبدى كل يوم أسلوبًا غريباً، وتحقيقاً عجيباً، فعجب الناس من غزارة مادته مع أنه ربما بات في ضريح بعض الأولياء والناس معه فلا يطالع كتاباً ولا يراجع مؤلفاً فإذا أصبح وجلس على الكرسي أطلق لسانه بما يبهر العقول. وكان الشعر عنده أسهل من النفس وشعره كله حكم وأمثال كشعر العرب القدماء، وقصيدته الدالية في شيخه ابن ناصر دالة على امتداد باعه ورسوخ قدمه في المعارف الفنون. والله در الإمام أبي سالم العياشي إذ قال:

من فاته الحسن البصري يتصحبه فليصحب الحسن اليوسي يكفيه
وبالجملة فهو آخر العلماء الراسخين، بل خاتمة الفحول من الرجال
المحققيين، حتى كان بعض الشيوخ يقول: هو المجدد على رأس هذه المائة

لما اجتمع فيه من العلم والعمل بحيث صار إمام وقته وعابد زمانه رحمه الله ورضي عنه.

وفي سنة ثلاثة وثلاثة وألف في ليلة الأربعاء السابع من شهر ربيع الأول منها توفي الولي الصالح أبو العباس سيدى أحمد حجي. قال الشيخ أبو العباس سيدى أحمد بن عبد القادر التستاوى في حقه ما نصه: رجل خير صالح ولقد اجتمعت به بمحكمة سنة ست وتسعين وألف فما رأيت منه إلا خيراً، اهـ. ولما توفي خلفه ولده ووارث سره وضجيعه في قبره الولي الصالح سيدى أبو محمد عبد الله حجي المعروف بالجزار وضريحهما مزيارة شهيرة بسلا.

وفي سنة تسعة عشرة وثمانة وألف توفي الفقيه العدل النوازلى الفارض الحاسب أبو الحسن علي بن محمد المعروف بأبي شعرة السلاوى ودفن قرب ضريح الشيخ ابن عاشر رضي الله عنه.

وفي سنة خمس عشرة وثمانة وألف توفي الإمام الفقيه الأديب الناظم الناشر أبو القاسم بن الحسين الغريسي ثم السلاوى المعروف بأبي زائدة وذلك في جمادى الأولى من السنة ودفن قرب ضريح الشيخ ابن عاشر رضي الله عنه.

وفي سنة ثمان عشرة وثمانة وألف في ضحى يوم الأربعاء الثامن والعشرين من المحرم منها كسفت الشمس كسوفاً كلياً وسمي ذلك العام عام الظليماء.

وفي سنة تسعة عشرة وثمانة وألف توفي الشيخ الإمام العلامة الهمام ذو التصانيف المفيدة في كل فن، الحجة المتبرك به حياً ومتيناً أبو سرحان سيدى مسعود جموع الفاسى ثم السلاوى وذلك يوم الثلاثاء سابع جمادى الأولى من السنة ودفن بزاوية الشيخ سيدى أحمد حجي داخل مدينة سلا.

وفي سنة عشرين وثمانة وألف توفي الولي الصالح العابد الناصح أبو العباس أحمد بن عبد الله معن الأندلسى نزيل المخفية من فاس حرسها الله.

وفي هذه السنة أيضاً كان إحداث قراءة المسجع الحديث المتضمن لأمر الناس بالإنصاف قوله: أنصتوا رحمة الله ثلاثة عند خروج الإمام يوم الجمعة من المقصورة وجلوسه على المنبر.

وفي سنة اثنين وعشرين ومائة وألف، وذلك وقت عصر الثلاثاء الثاني والعشرين من صفر منها توفي الولي الصالح سيدى أبو محمد عبد الله بن سيدى أحمد حجي المعروف بالجزار ودفن بإزار قبر أبيه كما مر.

وفي يوم الأربعاء العشرين من ربيع الثاني من السنة المذكورة توفي الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن الأمين الحاج محمد الصبيحي السلاوي ورثاه الشيخ أبو العباس سيدى أحمد بن عبد القادر التستاوي بقوله:

جزعنا وإن كنا على العلم أنه إذا ما أراد الله أمراً تعملا
لفقد الإمام المجتبى العالم الرضي الصبيح ومن في وقته قد تنبلا
وإلا فمحختار الإله اختيارنا ونرجوه خيراً عميناً مكملا
ورثاه أيضاً صديقه الملاطف الشيخ أبو العباس أحمد بن عاشر الحافي
السلاوي رحم الله الجميع.

وفي سنة سبع وعشرين ومائة وألف ليلة الأربعاء فاتح رجب منها توفي الولي الصالح العامل العارف الشهير الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد القادر التستاوي من كبار أصحاب الشيخ ابن ناصر ومن حفدة الشيخ أبي عبد الله محمد بن مبارك الزعري المتقدم الذكر، ومارثه هذا الشيخ أشهر من أن تذكر، وزواياه عميقة النفع والبركة بالمغرب، وكانت وفاته بمكتانسة الزيتون وضریحه بها شهير عند روضة الشيخ سيدى عبد الله بن حامد رضي الله عنهم وفعلنها بهم.

وفي سنة تسع وعشرين ومائة وألف في الثامن عشر ربيع الأول منها توفي الشيخ القدوة الإمام السنى أبو العباس سيدى أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي وهو ولد الشيخ ابن ناصر المتقدم وخليفة ووارث سره وفضلته رضي الله عنه أشهر من أن يتبه عليه، ومن ذلك ما حكاه الشيخ أبو علي الحسن بن

محمد المعداني في كتابه الروض البالى الفائز فى مناقب الشيخ أبي عبد الله الصالح قال: حدث بعض العلماء الأجلة: أنه لما دخل الشيخ أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعى المدينة المشرفة فى حجته الأخيرة جلس تجاه الحجرة النبوية والناس يزدحمون عليه لأخذ العهد وتلقين الأوراد وهو منبسط لذلك فقلت في نفسي: إن هذا الرجل مغدور راض عن نفسه، كيف يتصدى في هذا المكان الذي تخضع فيه الملوك وجميع الإنس والجن والملائكة وإذا طلعت الشمس اختفى السراح؟ قال: فكاشفني بما في نفسي والتفت إلى وقال: «والله ما جلست لما ترون حتى أمرني النبي ﷺ». وما أذعن له حتى هددت بالسلب». قال: «فسقطت على يديه أقبلها وقلت له: يا سيدى أنا تائب إلى الله تعالى فدعالي وانصرفت» وما حكاه صاحب الكتاب المذكور قال: «حدث الرجل البركة الفقيه الناصح سيدى محمد بن إبراهيم المجاachi قال: كان السلطان المولى إسماعيل بن الشريف رحمة الله قد استدعاى الشيخ سيدى أحمد بن ناصر، وكان به حقن عظيم عليه، وعزم إذا وصل إليه أن يفعل به مكروراً لا تدرى حقيقته غير أن الأمر شديد، فجاء إلى الشيخ جماعة من العلماء الأعلام وأصحابه الملازمين له، وقد تخوفوا عليه وعلى أنفسهم غاية، فكلموا الشيخ في ذلك واستفهموه ليعلموا ما عنده من عادة الله تعالى مع أوليائه من النصرة لهم والذب عنهم فلم يسمعوا منه كلمة، ثم راجعواه في ذلك حتى هابوه وسكتوا عنه، وقدم الشيخ المذكور على السلطان فلما انتهى إلى قصبة آكري قرب مكانة الزيتون إذا برجل مجاطي يقال له: الحاج عمرو لقيه هنالك، فلما رأه الشيخ نزل عن فرسه ليسلم عليه فقال الشيخ: «ما الخبر يا ولدي؟» فقال الرجل: «ما الخبر يا سيدى: والله لو ددت أن سيدى لم يصل إلى هنا ولم يخرج من داره» يعني أن الأمر عظيم. فقال له الشيخ رضى الله عنه بلسان العناية الربانية: «ولا ما يشوش» إذا كان في رقبتك شبر وأشار بيده فاعمل فيها ذراعاً ومد ذراعه» ففرح العلماء الذين معه وكل من حضر بتلك المقالة، وتقنوا الأمان على الشيخ وعلى أنفسهم لما يعلموه من عادة الله الكريمة معه فكان الأمر كما قال، فإن السلطان جاء إليه

بنفسه وهو في روضة الشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر، وتلقاه بالقبول والتعظيم والتجليل والتكرير. وصافحة بيده، وجلس معه في داخل القبة ساعة، ولما خرج السلطان رحمة الله من عنده جعل ينادي بلسانه في أصحابه ويقول: «لزوروا سيدي أحمد بن ناصر يا الناس»، زوروا سيدي أحمد بن ناصر يا الناس» ويكررها من صميم قلبه. قال سيدي محمد بن إبراهيم: «فلمما انصرف السلطان من عند الشيخ رضي الله عنه جئت إليه وقلت له: يا سيدي إنا نخاف أن ينزلنا السلطان بضریع الشيخ سيدي عبد الرحمن المجنوب ويطول بنا المقام» فقال لي: «لا نبقى إلا هنا وبعد غد نتصرف إلى بلادنا إن شاء الله» فكان الأمر كما قال بعد أن جاء الأمر من السلطان يأمره بالتزول بضریع الشيخ المجنوب فقال: «لا أزل إلا هنا» فبقي في موضعه ثم بعث إليه السلطان يأمره بالتوجه إلى بلاده مغظماً مكرماً اهـ.

وفي سنة تسع وعشرين ومائة وألف في ليلة عيد الفطر منها توفي الفقيه العالم القاضي أبو العباس أحمد بن العلامة أبي الحسن علي المراكشي وصلى عليه من الغد ودفن بالموضع المسمى بالعلو من رباط الفتح.

وفي سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف في ليلة الأحد ثامن عشر المحرم منها توفي الشيخ الصالح أبو علي الحسن بن عبد الله العايدى السجيري ودفن بزاوية من حومة السوقية من سلا وفرغ من بناء قبته في رجب من السنة بعدها.

وفي سنة ثلاثة وثلاثين ومائة وألف يوم الاثنين خامس عشر رجب منها توفي الفقيه العلامة خاتمة المحققين وأخر قضاة العدل بفاس الشيخ أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد بردة الفاسي، وفي التاريخ المذكور توفي الشيخ العلامة المتبرك به أبو العباس أحمد بن سليمان ذو التأكيف العديدة في الحساب وغيره بحضورة مراكش رحمة الله.

وفي سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف كانتجائحة الجراد بالعدوتين سلا ورباط الفتاح وأعمالهما وخلفه قمله المسمى في لسان المغاربة بأمرد فكان

كالسيل العام لم يترك ورقة خضراء إلا أكلها وكان ذلك في شوال من السنة المذكورة.

وفي سنة تسع وثلاثين ومائة ألف يوم الأربعاء ثاني عشر صفر منها توفي الشيخ العارف بالله تعالى سيدى محمد الصالح ابن الشيخ العارف بالله تعالى سيدى محمد المعطى ابن سيدى عبد الخالق ابن سيدى عبد القادر ابن الشيخ الأكبر سيدى محمد الشرقي، ومناقبه قد تكفل بها كتاب: «الروض الفاتح في مناقب الشيخ أبي عبد الله الصالح» لأبي علي المعدانى وفي هذه السنة ضمى يوم السبت ثامن ذي القعدة منها توفي الفقيه العلامة المحقق سيدى أبو بكر ابن علي الفرجي المراكشي ثم السلاوى واحتفل الناس لجنازته وازدحموا على نعشة حتى كادوا يقتلون عليه ودفن قرب داره بزاوية سيدى مغيث من طالعة سلا حرسها الله.

الخبر عن الدولة الأولى لأمير المؤمنين المولى أبي العباس أحمد بن إسماعيل المعروف بالذهبى رحمة الله

لما توفي أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمة الله في التاريخ المتقدم اجتمع قواد العسكر البخاري وقواد الوديا وأعيان الدولة وكتابها وقضاتها وبايعوا المولى أبي العباس أحمد بن إسماعيل المعروف بالذهبى لبسط يده بالعطاء، قال أكتسوس: بايعوه بإشارة العبيد الشبيهة بالجبر ولم يكن ذلك عن عهد من أبيه وكتبوا بيته إلى الآفاق. ولما اتصل بأهل فاس خبر موت السلطان كان أول من بدؤوا به أن قتلوا قائدتهم أبي علي الروسي، ثم بايعوا السلطان المولى أحمد وكتبوا بيتهم وتوجه بها أعيانهم إلى مكناسة فدخلوا على السلطان المولى أحمد وأدوا البيعة والطاعة فقبلهم ولم يظهر لهم سوء بما ارتكبوه من قتل قائدتهم، بل أعطى العلماء والأشراف جائزة البيعة وولي القائد المحجوب العلوج وردهم مكرمين.

ثم قدم عليه قواد القبائل والأمسار وأعيانها من أهل الحواضر والبواقي

مبايعين ومؤدين الطاعة فجلس للوفود وأجاز كلاماً على قدر مرتبته، وردهم إلى بلادهم، وتفرغ لشأنه فأفتح عمله بقتل عمال أبيه وأركان دولته، فقتل علي بن يشي القبلي أمير البربر، وشنى بأحمد بن علي أمير الأعمال الفاسية وما اتصل بها من بلاد الهبط، وال الصحيح أن أحمد بن علي المذكور كان عند بيعة المولى أحمد في السجن فدس إليه علي بن يشي من ذبحه فيه فسلط الله عليه السلطان فقتله وكان جزاؤه من جنس عمله، وقتل السلطان أيضاً الباشا ابن الأشرف ومرجان الكبير قائد عبيد الدار وصاحب بيوت الأموال، وكان لناظره ألفان ومائتان من المفاتي، كلها موزعة على أبواب القصور وكل واحد من هؤلاء الخصيان له عبدان وثلاثة وأكثر يخدمونه.

واعلم أن المولى أحمد رحمة الله كان مستبداً عليه في كثير من الأحوال يشير العبيد عليه فيفعل وما قتل من قتل من رؤساء الدولة إلا بإشارتهم، وقتل جماعة من القواد والكتاب سوى من تقدم، وطاف على بيوت الأموال ومخازن السلاح والكسي فامر بإخراج ذلك وتفرقته على العبيد وقادة الجيش وأعطى من ذلك فوق الكفاية وعم العلماء والأشراف والطلبة بالنوال وخصص أفراداً من العسكر بألف فاغتبط الناس به وحمدوه رحمة الله.

إغارة القائد أبي العباس أحمد بن علي الريفي على تطاوين وما دار بينه وبين الفقيه أبي حفص عمر الوقاش

كان القائد المجاهد أبو العباس أحمد بن علي الريفي يلي رئاسة المجاهدين هم وأبوه من قبله بالشغور الهبطية أيام السلطان المولى إسماعيل رحمة الله وكانت له ولأبيه اليد البيضاء في فتح طنجة والعرائش وغيرهما حسبما سلف بعضه فكانت له بذلك وجاهة كبيرة في الدولة خصوصاً ببلاد الهبط، وكان بتطاوين يومئذ الفقيه الأديب أبو حفص عمر الوقاش من بيوتاتها وأهل الرياسة بها، كان أولأ كتاباً مع السلطان المولى إسماعيل رحمة الله. وكانت له المنزلة العالية عنده، ثم لما ضعف عن الخدمة السلطانية بكبر سنّه

ولاه على تطاوين وأعمالها، فحدثت بينه وبين القائد أبي العباس الريفي منافسة أوجبها المجاورة والمعاصرة، فكان يبلغ كل واحد منها عن صاحبه ما يحفظه، واستمر الحال على ذلك إلى أن توقي السلطان المولى إسماعيل رحمة الله وأفضى الأمر إلى ابنه المولى أحمد فضييع الحزم وأهمل أمر الجندي حتى سقطت هيبة السلطان من قلوب تطاوين وزحف إليها في جيش كثيف، ودخلتها على حين غفلة من أهلها وحاول الفتاك فيهم، فبرز إليه الفقيه أبو حفص الوقاش في أهل تطاوين وحاربه فانتصر عليه، وأوقع به وقعة أعظم مما كان أضرم له وقتل من إخوانه عدداً كثيراً، ونجا القائد أبو العباس بجريعة الذقن.

ولما اتفق للفقيه أبي حفص هذا الفتح الذي لم يكن له في حساب استخفه النشاط وغلبت عليه حلاوة الظفر حتى طمع في الملك وفاه من ذلك بما كان ينبغي له ولكل عاقل كتمانه، فقال قصيده المشهورة يعني فيها على أهل الريف فعلتهم ويتقصص دولتهم ويقتصر على أهل فاس فمن دونهم، ويخبر عن نفسه بما يؤول إليه أمره، فازرى بأديبه على كبر سنه، مع أنه كان من أهل الأدب البارع والعلم والسياسة والقصيدة المشار إليها هي قوله:

بلغت من العليا ما كنت أرجو
وأياماً طابت وغنى بها الطير
ونادى البشير مفصحاً ومصرحاً
هلم أبا حفص فأنت لها الصدر
نهضت مجبياً للندا راقصاً به
وقلت وللمولى المحامد والشكر
شرعت بحمد الله للملك طالباً
أنا عمر المعروف إن كنت جاهلي
أنا عمر الموصوف بالباس والندى
ظهورت لأحيي الدين بعد اندراسه
ولم يبق ملك يستتب بغرينا
أنا عمر المشهور في كل غارة
ضبطت بلادي وانتدبت لغيرها
وحيثت بعدل للإمامين تابعاً
أنا الثالث المذكور بعدهما وتر

يعني أنه ثالث العمررين وقد كان يصرح بذلك ثم قال:

ففطر طوط والرحمنون والكروط عصبي
وراغون كنزي والصغرير به القهر
وأهلني وأصهاري هم الأنجم الزهر
وفخري في الأقطار باد كما الفجر
وغيلاً إذ ليس به عظم الوفر
فلم يبق بالتحقيق عندي لها جبر
فأبوا سراعاً والصوارم والسمر
هنيئاً فحق للأنام بنا البشر
وما فاته منا نكال ولا خسر
وذكري مغمور به البر والبحر
إلى غير هذا مما لا غرض لنا في جلبه وقد أجابه الفقيه أبو عبد الله
محمد بن بجة الريفي ثم العراشي بقصيدة يقول فيها:

في صفحة الدر قد خطت لنا عبر
منها ادعاء الحمار أنه بشر
خبره بعجب دهره الكبير
من مر عنه الصبا وما رأى عجباً

وهي طويلة إلا أن قائلها لم يحکم صناعة الشعر فلذا تركناها.

ولما اتصل خبر هذه الواقعة بأمير المؤمنين المولى أحمد رحمه الله
أغضى عن الفريقين ودخل داره وعكف على ملذاته وترك الناس وشأنهم،
وثار ببلاد الغرب والقصر وأعماله فساد كبير بين القبائل وأصحاب المخزن،
وهلك في ذلك بشر كثير وسقطت هيبة الخلافة وانحل نظام الدولة بالمرة، لا
سيما مع ما دهاها من قتل رجالها القائمين بأمورها، وكان ذلك متلهي مراد
العظيم، فقد كان علي بن يشي أمير الأمراء ورئيس البربر وغيرهم، وكان
أحمد بن علي أمير جبال مرموشة وبني ورلين وعرب الحيابنة وبرابرة غيابة
والجبال فكان رديف علي بن يشي ومباريه في نصح الدولة وجباية الأموال،
وكان ابن الأشقر أمير الزراحتة وعلى يديه عشرات القبائل كلها من أهل الغرب
وبني حسن وغيرهم رديفاً للأولين، وكان القائد مرجان صاحب بيت

الأموال وبيده دفتر الدخل والخرج عارفاً بقدر مما يدفعه العمال كل سنة، فلما أتى عليهم القتل رحمهم الله خف على الرعية ما كانوا يحملونه من ثقل وطأتهم، واستراحوا من مم كان يحول بينهم وبين الفساد ويزجرهم عن القبيح، خصوصاً البربر فإنهم كانوا في أقمع النحاس فخرجوا منها بمثلث علي بن يشي، وأخذوا في اشتراء الخيول واقتناء السلاح. «وعادت هيف إلى أديانها، وتبعدهم على ذلك غيرهم من قبائل العرب فكأنما كانوا على ميعاد، وامتدت أيدي النهب في الطرق، وكثرت الشكيات بباب السلطان فما وجدت الناس من يشكيمهم هذا حال مكناسة وأعمالها، فأما فاس فقد كفى الودايا أمرها ونابوا عن البربر في العيش بأطراها وعظم الخطب واشتد الأمر.

ثم دخلت سنة أربعين ومائة وألف ففي المحرم منها أغار الودايا على سوق الخميس من فاس فنهبوا وقتلوا وقبضوا على طائفة من أهل فاس فأودعهم السجن بفاس الجديد، فبعث أهل فاس جماعة من أشرافهم إلى السلطان بمحنة يشكون إليه ما نالهم من جور الودايا فلما وصلوا إليها وتب عليهم محمد بن علي بن يشي قبل أن يجتمعوا بالسلطان فسجنهم أيضاً فلما اتصل بأهل فاس ما جرى على إخوانهم بمحنة أخذهم ما قدم وما حدث فأغلقوا عليهم أبواب مدinetهم وشمروا لحرب الودايا، فكتب الودايا إلى السلطان يعلمه بأن أهل فاس قد شقوا العصا وخرجوا عن الطاعة فسرّب السلطان إليهم العساكر بكل صارم وذابل، وتفاقم الأمر واحتلّت الحابل بالنابل، وركبت المدافع والمهاير والمجانين لحصار فاس، واستمر القتال إلى أن بعث السلطان أخاه المولى المستضيء في جماعة من أشراف مكناسة ومعهم أشرف فاس الذين سجنهم محمد بن علي بن يشي لتلافى الأمر وعقد الصلح بين الودايا وأهل فاس، فانعقد الصلح ونهض عسكر السلطان إلى مكناسة، فما ساروا يوماً أو يومين حتى انتقض ذلك الصلح وغدا الودايا على حصار فاس ورميها بالكور والبنب، واستمر الحال على ذلك إلى أن قدم من

جانب السلطان القائد أبو عمران موسى الجرجاري ساعياً في الصلح، فاجتمع أهل فاس وفاظهم في ذلك فأذعنوا ويعثروا معه جماعة من الأعيان والعلماء والأشراف يقدون على السلطان ليتم لهم ذلك بعد أن أخذوا جماعة من أصحاب أبي عمران توافقاً بأخوانهم، ولما قدم أولئك الوفد مكتنasa منعوا من الدخول على السلطان ورجعوا إلى فاس مخفقين، واستمر الأمر على حاله إلى أن كاتبهم عبيد الدين يطلبون منهم موافقتهم على عزل السلطان المولى أحمد وتولية أخيه المولى عبد الملك صاحب السوس فأجابوهم إلى ذلك وطاروا به كل مطير وأكرموا وفديهم وحالقوهم على الوفاء ورجع العبيد إلى مكتنasa شاكرين، فقارضوا من بها من قواد الجناد وتذاكروا فيما وقع فيه الناس من الفساد وانقطاع السبيل وتعلـر الأسباب، وتحقـقوا بما أتـه من سوء التدبير في تقديم المولى أحمد لكونه كان ضعيف المثلة غير مطلع بأعباء الخلافة فأجمعوا على عزله واستبدال غيره به، ولما تم أمرهم على ذلك بعثوا إلى أخيه المولى عبد الملك جريدة من الخيل وكتبوا إليه كتاباً يستحقونه للقدوم وأعلموه بما أجمع عليه رأيهم فأجاب وأقبل مسرعاً نحو مكتنasa، ولما انتهى إلى وادي بهت واتصل خبره بالعبيد دخلوا على السلطان المولى أحمد وقبضوا عليه وأخرجوه من دار الملك مخلوعاً، وسجنه بداره التي كان يسكن بها قبل البيعة خارج القصبة، وكان ذلك في شعبان سنة أربعين ومائة وalf.

الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى أبي مروان عبد الملك ابن إسماعيل رحمه الله

لما خلع السلطان المولى أحمد رحمه الله وسجن خارج القصبة كما مر اجتمع من الغد الجيش كله وركبوا للملaqueة المولى أبي مروان عبد الملك بن إسماعيل فاجتمعوا به خارج مكتنasa وأدوا واجب الطاعة والتقوّا عليه ودخلوا به الحصرة في زي الملك وأهبة السلطان، ثم حضر أعيان الدولة وأمراًها

وقضاتها وأعلماؤها وأشرافها فبایعوه، وكتب بيعته إلى الآفاق، ومن الغد قدم عليه أعيان قاس من العلماء والأسراف وغيرهم بيعتهم فدخلوا عليه وبایعوه، ثم قدمت عليه الوفود للتهنئة من حواضر المغرب وبواديه فجلس لمقابلاتهم وقابلهم بما يجب من البشر إلى أن قرع من شأنهم، وفقد أخاه المولى أحمد المخلوع فأمر به إلى فاس كي يسجن بها ثم بدا له فأمر بتوجيهه إلى سجلماسة.

قال في «الأزهار الندية» لما بعث السلطان المولى أبو مروان بأخيه المولى أحمد المخلوع إلى تافيلالت كتب إلى عامله بها أن يسمى عينيه بفور بلوغه فنما ذلك إلى المولى أحمد ففر إلى زاوية الشيخ أبي عثمان سيدي سعيد آحتصال، وكان مقدم الزاوية يومئذ السيد يوسف ابن الشيخ سعيد المذكور، وكان يتكلم في الحديث فقال للمولى أحمد: «إنك سترجع إلى الملك» فكان كما قال، ورجا الناس أن يكون السلطان المولى أبو مروان كأبيه، وأن يسير فيهم بسيرته ويسد منه، فخاب الظن وأخفق المسعى:

وابن اللبون إذا مالز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

وأمسيك الله يده عن العطاء فلم يسمح للعسكر ولا للوقد بدرهم، فكان ذلك من أكبر الأسباب في اختلاف أمره وتفسخ دولته، فطلب العسكر البخاري منه جائزة البيعة على العادة فبعث إليهم بأربعة آلاف مثقال، وكان راتبهم على عهد السلطان المولى إسماعيل رحمة الله مائة ألف مثقال، ولما بويغ السلطان المولى أحمد زادهم في الراتب خمسين ألفاً، فلما وصلت إليهم جائزة المولى أبي مروان سقط في أيديهم وعلموا أنهم لم يصيروا شيئاً في بيته، وتناجوا بعزله وأضمروا ذلك وتحينوا وقت الفرصة فيه، فنما إليه ذلك عنهم، فأخذ حذره وصار يكاتب قبائل العرب ويعدهم ويمنيهم ويحضهم على اجتماع كلمتهم كي يتفعروه يوماً ما، ظناً منه أنهم يقاومون

العبيد، ثم كتب إلى البربر أيضاً يغريهم بالعبيد وأغرى العبيد بالبربر وقال لهم في جملة من ذلك: «إنه لا يستقيم لنا أمر إلا بعد الإيقاع بهؤلاء البربر، وشغلهم بالاستعداد لغزوهم، وكتب إلى أهل فاس يأمرهم أن يبعثوا رماتهم إلى حضرته لغزو البربر وأخذ في التضليل بين العسكر والبربر، واطلع العبيد على خسته فحاصروا عنه حيصة حمر الوحش، وأصفقوا على عزله ورد أخيه المولى أحمد لملكه لسخائه ويسط يده، وكذبوا، فإن المولى أبو مروان رحمة الله كان أنساب حلاً بالخلافة من أخيه المولى أحمد لنجدته وحزمه، وكان قد عزم على تطهير الحضرة ويساط الدولة من افتیات العبيد وتحكمهم على أغراضها إلا أنه لم يحكم التدبير في ذلك فما عاجلوه قبل أن يعالجهم.

ولما تحقق المولى أبو مروان بما عزم عليه العبيد من خلعه بعث إليهم الشيخ البركة مولاي الطيب بن محمد الوزاني واعظاً ومذكراً فأناهم ووعظهم ووعدهم الخير إن أقلعوا، ونهاهم عن الخروج على السلطان واتباع سبيل السلطان، وخوفهم في ذلك من سخط الله فما زادهم إلا نفوراً، ثم بعثوا بجريدة من الخيول إلى سجلamasة ليأتوا بالمولى أحمد، وفي أثناء ذلك ركب العبيد من الديوان وأغاروا على مكناسة فاكتسحوا سرحيها، ثم اقتحموا المدينة فنهبوا واستباحوا حرماتها، وقتلوا من ظفروا به من أعيانها، ثم دخلوا دار الملك للقبض على السلطان المولى أبي مروان فلم يجدوه لأنه لما سمع بما فعله العبيد بمكتنasaة ركب في جماعة من أصحابه وفر إلى فاس، فدخل حرم المولى إدريس رضي الله عنه واستجار به، ويعت إلى أهل فاس فاستجار بهم فوعدوه الدفاع عنه والقيام بأمره.

ولما علم العبيد بموضع المولى أبي مروان من فاس وما وعده به أهلها حبسوا رماتهم الذين كانوا قد قدموا مكتنasaة بقصد غزو البربر كما تقدمت الإشارة إليه، وتفقوهم حتى يقدم السلطان المولى أحمد من سجلamasة ويرى فيهم وفي أخيه رأيه، وكان ذلك في ذي الحجة سنة أربعين ومائة وألف.

الخبر عن الدولة الثانية لأمير المؤمنين المولى أبي العباس أحمد الذهبي رحمة الله

لما راسل العبيد المولى أحمد بن إسماعيل بسجلماسة وأعلموه بما عزموا عليه من عزل أخيه ورد الملك إليه بادر بالقدوم إلى مكناسة فدخلها في التاريخ المتقدم، وحضر أعيان الدولة من القواد والقضاة والكتاب، وبايعوه البيعة الثانية وكتبوا بذلك إلى الآفاق، ثم دخل دار الملك وفرق الأموال والكسى في العسكر والعلماء الأشراف وبالغ في ذلك تفصيًّا مما نقمه العبيد على أخيه، وكان فعل أخيه أقرب إلى الصواب لو سلك الوسط، وأحکم أمره ورتبه ترتيب ذو الحزم، ولكن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

حصار أمير المؤمنين المولى أحمد لفاس والسبب في ذلك

لما بويع المولى أحمد البيعة الثانية قدم عليه الوفود من القبائل والأمسار فأكرم وفادتهم، وتختلف عنه أهل فاس فلم يقدم عليه أحد منهم لأنه لما قدم من سجلماسة وأعلم بمكان أخيه منهم وبمكان رماثهم المتفقين بمكناسة أمر بسجنهم والتضييق عليهم فأوجسوا منه شرًّا وحدروه، ولأنهم كانوا قد ارتكبوا العظيمة أولاً في قتل أبي علي الروسي ونهب داره وماله ومال المخزن الذي كان تحت يده، فكانوا يتوقعون سطوة السلطان المولى أحمد بهم أول ما بويع، ثم لم يلتفت إليهم لشغله بنفسه، فلما عادت الدولة إليه ارتابوا به وحددوا عن طاعته وتقديموا إلى المولى عبد الملك وجددوا له البيعة وأعلنوا بنصره والقيام بأمره، ثم ورد عليهم كتاب السلطان المولى أحمد يأمرهم أن يسلموه إلى أخيه ويدخلوا فيما دخل فيه الناس أو يأخذوا بحرمه، فجئروا بالخلاف وأغلقوا الأبواب ووطنوا أنفسهم على الحصار، ثم بعث إليهم

السلطان القائد اليديني قائد الرماة المسجونين بمكناسة وأمره أن يعرض عليهم الدخول في الطاعة ويسرح لهم إخوانهم المسجونين، وحمله كتاباً إليهم يتضمن ذلك وغيره، فلما فرغ القائد المذكور من قراءة كتاب السلطان عليهم وثبوا عليه فقتلوه ثم جروه ببرجله وصلبوه على التوته التي بحومة الصفارين ثم وثبوا على الحاج الخياط عديل فقتلوه على باب داره وخرج الشريف أبو محمد عبد الله بن إدريس الإدريسي في كتبية من الخيل والرماة إلى زواغة فأغار على سرح الودايا واستنق من البقر والغنم شيئاً كثيراً، فدخل به فاساً وبيع بأبخس ثمن وتوزعته الأيدي، فبيعت البقرة بست موزونات والشاة بموزونة على ما قيل، وهاجت الحرب بين أهل فاس والودايا، ثم نهض السلطان المولى أحمد فاتح محرم من سنة إحدى وأربعين ومائة وألف في عسكر العبيد وودايا مكناسة، فزحف إلى فاس ونزل عليها ثاني يومه ونصب عليها المدفع والمهاربس وألات الحصار، وانشلى العسكر على بساتينها وبحائرها فانتسقوا ثمارها واجتاحتها غللها، وأمر الطبجية بموالة الكور والبنب والحجارة عليها ليلاً ونهاراً ففعلوا، ودام ذلك إلى أن عمها الخراب وتهدم الكثير من دورها وهلك عدد وافر من رجالها، بعضهم في القتال وبعضهم بالهدم والحجارة، واستمر الحصار نحو خمسة أشهر فضاق بهم الحال وضعفوا عن القتال، وقتلت الأقوات وارتقت الأسعار، فاذعنوا للطاعة وصالحوا المولى أحمد على إسلام أخيه المولى عبد الملك إليه وتمكينه منه على الأمان، فبعث السلطان المولى أحمد إلى أخيه المولى عبد الملك يخبره بين التغريب إلى سجلماسة والمقام بالحرم الإدريسي فاختار المقام بالحرم.

ثم إن السلطان تقدم إلى أهل فاس في أن لا يجتمع أحد منهم بأخيه ولا يجالسه ولا يكلمه ولا يبيع من أحد من أصحابه شيئاً ولا يشتري منه، ومن فعل شيئاً من ذلك فإنه يعاقب، فلما رأى المولى عبد الملك ما عامله به أخيه من التضييق بعث ولده إلى العبيد يطلب منهم أن يؤذنوه ويخرج معهم إلى

حيث شاؤوا، فقدم عليه الباشا سالم الدكالي في خمسين من القواد وعاهدوه بالحرم الإدريسي أن لا يصييه مكروه، فخرجوا به حتى قدموا به على أخيه، فلما مثل بين يديه أمر به أن يحمل إلى مكناسة مقبوضاً عليه، فوصل إلى مكناسة وسجين بدار الباشا مساهيل، ثم رحل السلطان المولى أحمد عن فاس قافلاً إلى مكناسة وعند حلوله بها مرض موتة، ولما أحس من نفسه بالموت أمر بختن أخيه المولى عبد الملك فختق ليلة الثلاثاء أول يوم من شعبان، ثم توفي السلطان المولى أحمد يوم السبت رابع شعبان المذكور سنة إحدى وأربعين ومائة وألف فكان بين وفاتهما ثلاثة أيام رحمهما الله.

واعلم أن ما ذكرناه من هذه الأخبار هو الذي عند صاحب البستان وقلده أبو عبد الله أكتسوس حذو النعل بالنعل، ورأيت بخط جدنا من قبل الأم وهو الفقيه الأستاذ أبو عبد الله محمد بن قاسم الإدريسي اليحيوي الجباري عرف بابن زروق، وكان حياً في هذه المدة ما نصه:

«بُويع المولى أحمد بن إسماعيل المعروف بالذهبي يوم وفاة والده رحمة الله بعد أن ثار بالمغرب والقصر وحوزه فساد كبير بين القبائل وأصحاب المخزن، وهلك في ذلك بشر كثير، وبعد مكثه في الملك سنة واحدة وثمانية أشهر خلع، وبُويع أخوه المولى عبد الملك في الآخر من رجب سنة إحدى وأربعين ومائة ألف، وهو بالسوس الأقصى بمدينة تارودانت» ثم ورد على دار المملكة بالحضرمة المكناسية ليلة السابع والعشرين من رمضان المعظم من السنة المذكورة، ثم ثار عليه أخوه المولى أحمد المخلوع في عاشر المحرم فاتح سنة اثنين وأربعين ومائة ألف، واقتصر عليه دار الملك من مكناسة عنده، ووقع فساد كبير بالمدينة المذكورة، وهلك بشر كثير في الحرب، ومنهم من قتل صبراً، وفر المولى عبد الملك ناجياً بنفسه إلى فاس، ثم حاصره بها المولى أحمد نحواً من أربعة أشهر حتى خرج إليه على الأمان فأمر بسجنه بمكناسة، ثم قتل المولى عبد الملك صبراً مخنوقاً في أواخر رجب المذكور أيضاً، اه كلامه والله تعالى أعلم بحقيقة الأمر.

قالوا وكان المولى أحمد رحمة الله أشبه الناس بالأمين بن الرشيد العباسى في زيه ولهوه وإكبايه على شهواته وتضييع الحزم والجد حتى قسّلت الأحوال وتراكمت الأحوال، وذكر معاصره أنه لم يكن شهد حرباً قط قبل خلافته وكان مع ذلك جواداً متلافاً فاكث به الأمور إلى ما ذكرنا والله الأعلم من قبل ومن بعد.

الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى عبد الله بن إسماعيل رحمة الله

كان المولى عبد الله بن إسماعيل، وهو ولده الحرة خناثي بنت يكر المغفري أيام خلافة أخيه المولى أحمد منحاشاً إلى أخيه المولى عبد الملك ومقيناً معه ببلاد السوس، فلما خلع المولى أحمد وروبع المولى عبد الملك وقدم مكتناسة قدم المولى عبد الله في ركباه، واستمر مقيناً بها إلى أن ثار العبيد بالمولى عبد الملك وفر إلى الحرم الإدريسي، فخرج المولى عبد الله من مكتناسة إلى سجلعامة، وأقام يداره بها إلى أن توفي السلطان المولى أحمد في التاريخ المتقدم، فاجتمع أعيان الدولة من العبيد والودايا وملوك القواد والرؤساء واتفقوا على بيعة المولى عبد الله بن إسماعيل، وهو يومئذ بسجلعامة، فنادوا باسمه وأعلنوا بنصره في المحلة ومكتناسة، ويعثروا جريدة من الخيل لتأتي به وكتبوا مع ذلك إلى أهل فاس يعزونهم عمن هلك من إخوانهم أيام الحصار، ويحضرونهم على الموافقة على بيعة المولى عبد الله ابن إسماعيل.

ولما وصل الكتاب إلى فاس قرئ على منبر جامع القرقيبين فأجابوا بالموافقة إن حضر، ولما وصلت الخيل إلى المولى عبد الله وأعلمه بما اتفق عليه الناس في شأنه أقبل مسرعاً حتى نزل بظاهر فاس بالموضع المسني بالمهراس، فخرج أعيان فاس من العلماء والأسلاف وغيرهم لمقاتلاته فسلموا عليه واستبشروا بقدومه فسر بهم والآن لهم القول ووعدهم بالجميل،

وأعلمهم بأنه من الغد دخل لحضورتهم لزيارة المولى إدريس رضي الله عنه، فرجعوا مسرورين مغبطين. ومن الغد أخذوا زيتهم ولبسو أسلحتهم ونشروا ألوائهم وخرجوا لميعاده، فركب السلطان فرسه وركب معه خاصته وأهل موكيه، وفي جملتهم حمدون الروسي عدو أهل فاس، وتقدم السلطان فدخل على باب الفتوح وتوسط المدينة، فرأى بعض سماسرة الفتنة من أولاد ابن يوسف، حمدون الروسي. وكان قد قتل أباهم حسبما مر، فصمدوا إليه، فلما رأهم تنجى عنهم قليلاً فتبعوه، فعلم أنهم عزموا على اغتياله، فركض فرسه إلى السلطان وهو على قنطرة الرصيف، وأخبره خبر أولاد ابن يوسف، وخص وعم بالإرجاف في حق أهل فاس، فعدل السلطان عن قصده، ورجع على طريق جامع الحوت ثم على جزاء ابن عامر وخرج على باب الحديد إلى فاس الجديد ولم يزر، ولم يعلم الناس موجب الرجوع عن الزيارة إلى أن شاع الخبر بذلك، فمشى علماء فاس وأشرافها إلى السلطان ورفعوا إليه بيعتهم، واعتذر إليه بعض الفقهاء بأن ما وقع في جانب حمدون إنما هو من بعض السفهاء، فأعرض السلطان عن ذلك وصم عن سماعه.

وكانت البيعة التي رفعها أهل فاس من إنشاء الفقيه العالم الوجيه أبي العلاء إدريس بن المهدى المشاط المنافي، نسبة إلى عبد مناف بن قصى، وهذا الفقيه هو الذي كان السلطان المولى إسماعيل رحمه الله بعثه قاضياً على تادلا مع ابنه المولى أحمد النهبي حين ولاه عليها كما مر، ونصها:

الحمد لله الذي جعل العدل صلحاً للملك والرعية والعباد، كما جعل الجور هلاكاً للحرث والماشية والبلاد، وسدد العادل بعناته وأعد للجائز ما هو معلوم له يوم المعاد، وجعل المقسطين على منابر من نور يوم القيمة كما جعل القاسطين في العذاب والمحسرات والأنكاد، فأسعد الملوك يوم القيمة من سلك مع الرعية سبيل السداد، وأصلح ما أظهره الجائز في الأرض من الفساد، نحمده أن تفضل علينا بإمام عادل، ونشكره إن حكم فينا من لا يصغي في الحق لقول عاذل، فولي علينا الخليفة من نسل الشفيع يوم التناد،

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا يسأل عما يفعل يؤتي الملك من يشاء ويترع الملوك ممن يشاء في أي وقت شاء وأراد، ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمداً عبده ورسوله الشفيع في أمته يوم لا ينفع الظالمين معلمتهم ولا يقبل من القاسطين فداء بطريق ولا تلاد، **وَلِلّٰهِ الْذِينَ أَظْهَرُوا** الشريعة ومحوا الظلم محو المداد، أما بعد حمد الله الذي أمر بطاعة أولي الأمر، ووعد من نصر دينه بالظفر والنصر، فقال عليه السلام: «وَمَنْ ماتَ وَلَيْسَ فِي عَنْقِهِ بَيْعَةً مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» وفي صحيح مسلم عنه **وَلِلّٰهِ قَالَ**: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُفْرِقَ أُمُّهُ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهُوَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ عَنْقَهُ بِالسِّيفِ كَائِنًا مِّنْ كَانَ».

وفي صحيح مسلم أيضاً عنه **وَلِلّٰهِ قَالَ**: «مَنْ أَنْتُمْ وَمَا رَبُّكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ وَأَرَادَ أَنْ يُفْرِقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ». وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله **وَلِلّٰهِ قَالَ**: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمْرِيْرِ شَبَّيْنَ فَلْيَصْبِرْ فَإِنْ مَنْ خَرَجَ عَنِ السُّلْطَانِ شَبَرَأً مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله **وَلِلّٰهِ قَالَ**: «مَنْ أطَاعَنِي فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أطَاعَ أَمْرِيْرِي فَقَدْ أطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى أَمْرِيْرِي فَقَدْ عَصَانِي». وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابن عقبة: «العلك لا تلقاني بعد اليوم فعليك يتقوى الله تعالى والسمع والطاعة للأمير وإن عبداً جهشاً».

وتفق أئمة الدين على أن نصب الإمام واجب على المسلمين وإن كان من فروض الكفاية، كما أن القيام بذلك من الواجبات كما دلت عليه نصوص الأحاديث والأيات: وقال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
ولما كان من أمر الله سبحانه ما أراده وقدره، فقبضن إليه خليفته وأقربه،
دهش المسلمون وخافوا من توالي الشرور والفتنة فتوجهوا إليه سبحانه في أن
يغفر عنهم السيف، وطلبوه من فضله المعهود أن يصرف عنهم ضروب
المحن والحتوف، فأجاب الكريم الدعوات وتفس الهموم والكريبات، ونشر

رحمته، وأزاح نقمته، فصارت القلوب ناعمة بعد بؤسها، والوجوه ضاحكة بعد عبوسها، والشروع والفتن قد أذيرت، وأعلام الأمن والعافية قد أقبلت، فوقن الله جيوش المسلمين للأعمال المرضية، والهمم لما فيه صلاح الدنيا والدين والراغي والرعاية، فاقتضى نظرهم السديد، ورأيهم الموفق الرشيد بيعة من في أفق السعادة قد طلمع، وظهر في سماء المعالي بدراه وارتفع، الإمام الهمام العلوي الهاشمي العدل في الأحكام، الموصوف بالكرم والشجاعة والشهامة، والحزن والتجدة والزعامه، المتواضع لله المتكمل في جميع أموره على الله، أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن الشريف الجليل، الماجد الأصيل أمير المؤمنين مولانا إسماعيل، ابن مولانا الشريف، فبإيعوه أعزه الله على كتاب الله وسنة الرسول، وإقامة العدل الذي هو غاية المأمول. بيعة التزمتها القلوب والألسنة، وسعت إليها الأقدام والرؤوس خاضعة مذعنـة، لا يخرجون له من طاعة، ولا ينحرفون عن مهيع الجماعة، أشهدوا على أنفسهم عالم الطوبـيات، المطلـع على جميع الخـفيـات، قائلـين إنـنا بـايـعتـاكـ وـقلـدـنـاكـ لـتسـيرـ فـيـنـاـ بـالـعـدـلـ وـالـرـفـقـ، وـالـوـقـاءـ وـالـصـدـقـ، وـتـحـكـمـ بـيـنـنـاـ بـالـحـقـ، كـمـاـ قـالـ تـعـالـىـ لـنبـيـهـ فـيـ مـحـكـمـ وـحـيـهـ: ﴿يَنْذَرُونَا إِنَّا جَعَلْنَاكَ حَلِيقَةً فِي الْأَرْضِ فَأَنْهَمْنَا بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِيقَ﴾ [ص: 26] وـقـالـ تـعـالـىـ وـقـولـهـ الـحـقـ: ﴿وَمَنْ أَوْقَدْ بِمـا عـهـدـ عـلـيـهـ اللـهـ فـيـنـيـهـ لـعـبـراـ عـظـيـماـ﴾ [الفتح: 10] وـقـالـ تـعـالـىـ: ﴿وَلَا تَكُنْ لِـتـحـلـيـتـ حـصـيـيـكـ﴾ [النساء: 105] وهذه الرعاية تطلب من ربها أن يعين مالكـهاـ وـيـسـاعـدهـ، ويـقـذـفـ الرـعـبـ فـيـ قـلـبـ منـ يـرـيدـ أـنـ يـعـانـدـهـ، وـأـنـ يـفـتـحـ عـلـيـهـ ماـ عـسـرـ عـلـىـ غـيـرـهـ، وـيـمـدـ بـعـزـيزـ تـصـرـهـ، إـنـهـ عـلـىـ مـاـ يـشـاءـ قـدـيرـ وـبـالـجـاهـةـ ماـ عـسـرـ عـلـىـ غـيـرـهـ، وـيـمـدـ بـعـزـيزـ تـصـرـهـ، إـنـهـ عـلـىـ مـاـ يـشـاءـ قـدـيرـ وـبـالـجـاهـةـ تـقـدـيرـ، وـبـيـدـهـ الـقـوـةـ وـالـحـوـلـ، نـعـمـ الـمـولـىـ وـنـعـمـ النـصـيرـ، شـهـدـ بـذـلـكـ عـلـىـ نـفـسـ وـمـنـ مـعـهـ الـعـبـدـ الـفـقـيرـ الـمـذـنـبـ الـحـقـيرـ مـعـلـيـهـ وـكـاتـبـهـ إـدـرـيسـ بـنـ الـمـهـديـ المشـاطـ بـمـحـضـ قـلـانـ وـفـلـانـ، وـجـمـهـورـ الـفـقـهـاءـ وـالـأـعـيـانـ فـيـ يـوـمـ الـاثـنـيـنـ سـابـعـ رمضانـ سـنـةـ إـحـدىـ وـأـرـبعـينـ وـمـائـةـ وـأـلـفـ.

ثم سافر السلطان في الحين إلى مكانة كما ذكره.

حدوث الغرفة بين أمير المؤمنين المولى عبد الله وأهل فاس والسبب في ذلك

قد قدمنا ما كان من وسعة حمدون الروسي للسلطان المولى عبد الله في جانب أهل فاس واعتذار بعض الفقهاء لدى السلطان عن ذلك، ثم إن السلطان أمر أهل فاس ببعث طائفة منهم تكون معه على العادة، فعينوا الخمسمائة التي كانت تغزو مع الملوك قبله، فذهبت معه إلى مكناة.

ولما استقر بالحضرمة قدم عليه أعيان الديوان وعمال القبائل ووفود الحواضر والبواudi، ففرق المال ولم يحرم أحداً سوى أهل فاس، فإنه لم يعطهم شيئاً، ثم حضر عيد الفطر فقدمت وفود الأمصار ليشهدوا العيد مع السلطان على العادة، وقدم وفد فاس لهذا الغرض وحضرروا صلاة العيد مع السلطان بالمصلى، ولما قدم الناس هداياهم بعد رجوع السلطان إلى منزله قدم أهل فاس هديتهم على العادة فأعطي الناس وحرمهم ثانية.

قلت: ولست أشك في أن شيطاناً من شياطين الإنس كان موكلأً بهذا السلطان يغريه بأهل فاس، ويوغر صدره عليهم ويفسد ما بينه وبينهم، وإلا فكيف تقتضي السياسة أن يعمد ملك كبير إلى أخص رعيته ولبها وصميمها فيفسد ضمائراها عليه ويزرع بغضه في قلوبها، وهب أنهم أساوا الأدب أليس التغافل مطلوباً في مثل هذا ما أمكن؟ لا سيما في حق السلطان، وقد كان المنافقون يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه فيحملن عنهم، وقال له بعض أصحابه: «ألا نقتلهم؟» فقال له ﷺ: «كيف يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» ومن الحكم المأثورة قولهم: «التعامي يدفع شرآً كثيراً» وقال الشاعر:

ليس الغني بسيء في قومه لكن سيد قومه المتغابي

ومن الغد أمر السلطان بإحضار أهل فاس بالمشور ثم خرج عليهم فقاموا إليه وأدوا واجب التحية، فقال لهم: «يا أهل فاس، كاتبوا إخوانكم يسلموا إلينا البساتين والقصبات فإنها للمخزن ومن وظائفه فإن أبوا فإني آتيم وأهدم عليهم تلك القرية» فأجابوا بالسمع والطاعة وعادوا إلى رحالهم.

ولما كان المساء اتخذوا الليل جملًا وأسرروا ليتهم كلها ولم يصبحوا إلا بباب فاس، فاجتمعوا بإخوانهم وقرروا لهم مقالة السلطان وما عزم عليه في حقهم، فاجتمع أعيانهم وتفاوضوا في شأنهم وشأن السلطان وأحضروا نسخة البيعة وتصفحوا شروطها وقالوا: «إنا لم نبايعه على هذا الذي يعاملنا به» ثم أعلنا بخلعه والأمر لله وحده.

حصار المولى عبد الله مدينة فاس

لما أعلن أهل فاس بخلع السلطان المولى عبد الله عزموا على الحرب ووطئوا أنفسهم على الحصار، ونادوا في المدينة من أراد الخروج إلى بلده ومأمه من غير أهل البلد فليتهما في ثلاثة، ثم أغلقوا أبواب المدينة واستعدوا للقتال.

ولما سمع السلطان بخبرهم تهياً لغزوهم فأخذ أهله وخرج من مكناسة في الخامس والعشرين من شوال سنة إحدى وأربعين ومائة وألف، فنزل على فاس ووزع الجنود عليها من كل ناحية، وأطلق يد الجيش بالعيث في أطرافها من تخريب المصانع وقطع الأشجار وإفساد المزارع، وأمر بضم الوادي فانحبس عنهم مأوه، وزحفت العساكر فكان القتال على كل باب سائر النهار فإذا كان المساء أمر الطبجية والأعلام بارسال الكور والبنب وحجارة المنجنيق، فكان الناس لا يستريحون بالنهار ولا ينامون بالليل، واشتد الكرب وربيع السرب، واستمر الحال إلى أن دخلت سنة اثنين

وأربعين ومائة وألف فازداد الأمر شدة، وارتفعت الأسعار وانعدمت الأقوات، وكثرا الهرج، فبعثوا إلى السلطان في الصلح، فقال: «على تسليم البساتين والقصاب» فأبوا وتجلدوا، ثم بعد ذلك وقع الصلح على يد القائد أبي عبد الله محمد السلاوي بضريح المولى إدريس رضي الله عنه، واستصحب معه جماعة من أشراف فاس وعلمائها إلى السلطان وهو بفاس الجديد، فأكرم مقدمهم ووصلهم بألف دينار وكساهم، وولى عليهم العاج أبي الحسن علياً السلاوي، فدخل الوالي المذكور القصبة ثاني ربيع النبوى سنة اثنين وأربعين ومائة وألف، وشحن البساتين والقصاب بالمقاتلة من أصحابه وافتتح عمله بقتل الشيخ دحمان المنجاد من رؤساء فاس، ولما اتصل خبره بالسلطان عزله، وولى على فاس أحد أولاد حمدون الروسي المعروف بالبادسي، ثم بعد مدة يسيرة عزله وولى عبد النبي بن عبد الله الروسي، ثم لما عزم على النهوض إلى مكناة عزله وولى عليهم حمدون الروسي، وارتحل في العشرين من ربيع الأول من السنة.

وفي هذه السنة بعث السلطان ولده المولى محمدًا مع أمه السيدة خناثي إلى الحجاز بقصد حج البيت، والمولى محمد يومئذ دون بلوغه، وفي «نشر المثاني»: «إن هذه الحجة كانت سنة ثلاثة بعدها» قال: «إن أم السلطان المولى عبد الله، وهي السيدة خناثي بنت بكار المغفرية، التمست من ولدها المذكور السفر إلى المشرق بقصد حج بيت الله الحرام فأجابها إلى ذلك وهيا لها جميع ما تحتاج إليه، ووجه معها ولده الذي أيد الله به الدنيا والدين بعده سيدى محمد بن عبد الله فحج معها في هذه السنة يعني سنة ثلاثة وأربعين ومائة وألف».

نهوض السلطان المولى عبد الله إلى قتال البربر وإيقاعه بهم

لما استقر السلطان المولى عبد الله بمحكناة وفقد حال البربر وجدها قد عادت إلى حالها الأول من ر Cobb الخيل واقتتال السلاح والعيت في الطرقات، فأمر العبيد بالاستعداد لغزوهم وتمهيد البلاد والتقصير من بأوهم فخرج إلى تادلا وصعد إلى آيت يمور الذين كانوا قد نزلوا بها وأضروا بأهلها حين نفتهم آيت ومالو عن رأس ملوية وغلبوا عليهم عليه فنزلوا تادلا وأقدوا ناراً فكثر شاكفهم بباب السلطان، فنهض إليهم على ما سبق، ولما أحسوا بدنوه منهم فروا أمامه ودخلوا بلاد آيت يسري فتبعهم إلى أن أوقع بهم على وادي العبيد، وقتل منهم ألفاً وانتهتهم وعاد إلى تادلا ظافراً، والله غالب على أمره.

ذكر ما صدر من السلطان المولى عبد الله من العسف المخل بالسياسة والتفاوض المغير في وجه الرياسة

لما عاد السلطان المولى عبد الله إلى تادلا قتل عشرين رجلاً من أعيان رماة أهل فاس، وكتب إلى إخوانهم يعتذر عن قتل من قتل منهم ويأمرهم بتتجديد بعث آخر وتوجيهه إليه فعينوا طائفة من رماثهم وجهروا بعد أن عرضها القائد حمدون الروسي برأس الماء، ثم من الغد قتل القائد حمدون المذكور عبد الواحد تيير، ومحمد بن الأشهب من أهل فاس بباب السجن وأمر بجرهما في سكل المدينة، ثم أصبح غادياً على أبواب فاس فتبعهما بالهدم فهدم باب المحروم وباب الفتوح وباب الجيسة وباب بني مسافر وباب الحديد، وحمل مصاريعها كلها إلى فاس الجديد، وفي أول يوم من المحرم من سنة ثلاثة وأربعين ومائة وألف شرع حمدون الروسي في هدم سور مدينة فاس وجر الأنقاض التي بها إلى فاس الجديد، وفي أثناء ذلك

ورد كتاب من السلطان يتضمن العفو عن أهل فاس والرضا عنهم، فارتاد حمدون الروسي وفر إلى زرهون، ثم قفل السلطان من تادلا فأقام بمكناة مدة يسيرة وخرج غازياً بلاد السوس فقدمها ومهدها وعاد مؤيداً منصوراً، وفي هذه السنة أمر ببناء باب منصور العلج بمكناة فجاء في غاية الضخامة والفرامة وأكمل سوق القصبة فجاء على ما ينبغي والله أعلم.

هدم السلطان المولى عبد الله مدينة الرياض من حضرة مكناة وما اتصل بذلك

كانت مدينة الرياض زينة مكناة وبهجتها إذ كان بها آثار أكابر دولة أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمة الله، وبها دور العمال والقواد والكتاب وسائر أعيان الحضرة الإسماعيلية، بل كل من كان له وظيف في خدمتها السلطانية بنى داره بها وتنافس الأكابر والرؤساء في تشييد الدور وتنجيد القصور، وتناهوا في ذلك حتى كان بدار على بن يشي القبلي أربع وعشرون حلقة يجمعها باب واحد، وكانت دار القائد عبد الله الروسي وأولاده على ذلك المنوال بل أعظم ضخامة وأكمل حضارة حتى كأنها حومة مستقلة، وكان لأمثالهما من القواد مثل ذلك أو قرب منه فخلدوا بها الآثار العظيمة والمعالم الفخيمة، وبني كل عامل مسجداً في حرمته، وكان بوسطها المسجد الأعظم الإسماعيلي ومدرسته وحمامه وفلاقة وأسواقه الموقفة عليه، وكانت تنفق بها البضائع التي لا تنفق في غيرها فأتى عليها من أيام النحوس يوم ركب السلطان المولى عبد الله عند فجره، ووقف على تل عال يشرف منه عليها وأمر النصارى والشعبانية بهدمها، فتسارعوا إليها وشرعوا في هدمها من كل ناحية والناس نائم، فلم يرعنهم إلا بيوتهم تتراكم عليهم، فمن أسرع وخف بحمل متاعه وأثائه نجا، ومن لا معين له أو تراخي في حمل متاعه ضاع تحت التراب، وكان بها طائفة كبيرة من أحواله الودايا وغيرهم، فارتاحل

الودايا إلى فاس الجديد وانضموا إلى إخوانهم الذين بها، وتفرق غيرهم بمدينة مكتنسة، ولم تمض عشرة أيام حتى صارت مدينة الرياض كدية من التراب ولم يبق بها إلا الأسوار قائمة الإشخاص والجدران مائة لليuan والأمر لله وحده.

قالوا: وفي هذه السنة بعث السلطان المولى عبد الله بعثاً مع القائد أبي عمران موسى الجراري إلى بعض الجهات. وكانتوا نحو ثلاثة، فلما قسموا عليه قتلهم وقتلوا أصحابه معه، وقدم عليه أيضاً وقد من عند البشا أحمد بن علي الريفي في مثل هذا العدد من طنجة ومعهم هدية البشا المذكور قتلتهم، فكان قتلهم سبب نفقة أحمد بن علي عنه وسعيه في إفساد دولته، وقتل أيضاً من قبيلة حجاوة مائتي رجل على دعوى قطع الطريق ببلادهم، ولما أمر بقتلهم وأخرجوا إلى المحل المعد لذلك خرج النظارة والبطالون من أهل البلد للفرجة عليهم بباب البطيوي، في بينما هم كذلك إذا بالسلطان قد بز من الباب، ولما رأى اجتماع الناس قصد نحوهم فلما رأوه فروا إلى كهف هناك قريب، فاختفوا فيه فأتى السلطان حتى وقف على باب الكهف، وكان من قربه أكواة من حجر أعددت للبناء بها، فأمر الأعون من المسخررين بوضع أسلحتهم وردم باب الكهف بذلك الحجر مع التراب ففعلوا، وهلك ذلك الجمع الكبير غالباً، ولم يوقف لهم بعد على خبر ولا عرف لهم عدد، ولما صدرت منه هذه الأفعال الشنيعة عفا الله عنه كتب إليه أهل الديوان من مشروع الرملة ينكرون عليه قتله للمسلمين دون موجب فبعث إليهم بالراتب وأمرهم بالتهيؤ لغزو أهل فازار فشغلهم بذلك.

وفي هذه السنة بعث محمد بن علي بن يحيى الزموري القبلي والياً على فاس وقال له: «خذ منهم المال واطرحه في وادي أبي الخراريب ولا تترك لهم، فما أطغاهم إلا المال حتى استخفوا بأمر الملك» فقدم محمد بن علي المذكور فاساً ونزل بدار أبي علي الروسي بالمعادي وعين من كل حومة تقيناً

عارفاً بأهل اليسار، فجتمعوه لهم حتى كانوا بين يديه فأمر بسجنهم، ثم وظف عليهم أولأ خمسمائة ألف مثقال وزعها على التجار وأهل اليسار دون غيرهم من العشرة آلاف إلى الألف، ثم شرع في قبض المال الموزع ومن تراخي منهم في الدفع ضرب وسجن، ومن تغيب من أهل اليسار حبس ولده أو أخيه أو زوجته إلى أن استوفى العدد المذكور ثم عطف على أهل الصنائع والحرف وأرباب الأصول من الفلاحين وغيرهم فوزع عليهم قدرأً وافرًأ من الألف إلى المائة وما دون ذلك حتى لم يبق في المدينة أحد إلا وقد غرم، ففر الناس إلى البوادي والقرى والجبال، ومنهم من وصل إلى السودان وتونس ومصر والشام حتى لم يبق بقاصم إلا النساء والذرية ومن لا عبرة به من الرجال حتى أن الذين كانوا بالسجن فينفس خروجهم منه فروا بأنفسهم ولم يرجعوا على أهل ولا ولد، وأقام محمد بن علي على هذا العمل بفاس ثلاثة عشر شهراً وكلما اجتنى مالاً بعث به إلى السلطان بمكناة، وكانت هذه الخطوب كلها فيما بين سنة ثلث وأربعين إلى سنة خمس وأربعين ومائة وألف.

بعث السلطان المولى عبد الله جيش العبيد إلى فازاز وإيقاع أهله بهم

وفي سنة ست وأربعين ومائة وألف جهز السلطان المولى عبد الله جيشاً من العبيد يشتمل على خمسة عشر ألفاً من الخيول وعقد عليهم للبasha قاسم ابن ويسون، وأضاف إليهم ثلاثة آلاف من جيش الودايا وعقد عليهم للقائد عبد الملك بن أبي شفرة ووجههم إلى جبال آيت ومالو، فلما عبر الجيش وادي أم الريبيع على قنطرة البروج ونزلوا بسيط آدمخسان كادهم البربر بأن أظهروا الفرار أمامهم وتغلوا في الجبال فتبعهم العبيد إلى أن توغلوا في تلك الجبال ونشبوا في أوعارها، والبربر تفر منهم في كل وجه وهم يتبعونهم إلى

أن حان وقت المساء فبعث البربر ليلاً طائفة منهم لسد الثنایا والأنقاب التي دخل منها جيش السلطان، فأحكموا سدها بشجر الأرض والحجارة، ولما أصبحوا هجموا على الجيش من كل ناحية وصدقوهم القتال إلى أن ردوهم على أعقابهم، فلما انتهى العبيد إلى الثنایا التي دخلوا منها وألفوها مسدودة دهشو وخشعت نفوسهم وازدحموا عليها بعد أن ترجلوا وتركوا الخيل والسلاح والأبنية فيها من الأثاث، فنهب البربر جميع ذلك، ثم جردوا باقي العسكر من الشياب، ولم يقتلوا أحداً ورجع العبيد إلى مكناسة راجلين متجردين من المخيط والمحيط فكان ذلك من أقوى الأسباب التي بغضت السلطان المولى عبد الله للعبيد، لأن ذلك كان بإشارته بزعمهم مع إسرافه في قتل رؤسائهم كما سيأتي، ومع ذلك فقد أنعم عليهم بالمال والكمى ووعدهم بخلاف جميع ما ضاع لهم ورجعوا إلى مشروع الرملة متعصبين لتلك الفعلة.

ثورة العبيد على السلطان المولى عبد الله وفراره إلى وادي نول وما نشا عن ذلك

لما كانت سنة سبع وأربعين ومائة وألف فسد ما بين السلطان المولى عبد الله رحمه الله وبين العبيد لإسرافه في قتلهم حتى كاد يأتي على عظمائهم، وكان ذلك منه جزاء لهم على قتلهم لأخيه المولى عبد الملك، حسبما سبق إذ كان ما بينه وبينه صالحًا كما مر، فقتل منهم كل من سعى في قتله أو شارك فيه أو وافق عليه، حتى بلغ عدد من قتل منهم أزيد من عشرة آلاف، فأجمعوا على خلعه وقتله ودس إليه بعضهم بما عزموا عليه في شأنه، ففر ليلاً من مكناسة ولم يصبح إلا بحلة آيت أدراسن فأجلوا مقدمه وتباروا في إكرامه.

ولما عزم على النهوض عنهم ركبوا معه وصحبوه إلى تادلا ثم ودعوه،

وعادوا إلى بلادهم ومضى هو إلى مراكش ومنها ذهب إلى السوس فنزل بوادي نول على أخواله المغافرة، وكان معه يومئذ ولداته المولى أحمد في سن البلوغ والمولى محمد السلطان بعده صغيراً وأقام عند المغافرة نحو ثلاثة سنين، وأما والي فاس محمد بن علي بن يشي فإنه لما اتصل به فرار السلطان من مكناة فر هو أيضاً عن فاس ليلاً ولم يصبح إلا بزرoron فاطمان بها جنبه وكان ما ذكره.

الخبر عن دولة أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بالأعرج رحمه الله

لما فر أمير المؤمنين المولى عبد الله بن إسماعيل من مكناة إلى وادي نول اجتمع عبيد الديوان واتفقوا على بيعة المولى أبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بالأعرج، وكان يومئذ سجل ماسة، فكتبو إليه بذلك ويعثروا بالكتاب مع جريدة من الخيل لتأتي به فأقبل مسرعاً، ولما وصل إلى مدينة صفرو لقيه بها أعيان فاس وأشرافها وعلماؤها فبايدهم ففرح بهم وأكرمههم، وعادوا في صحبته إلى فاس الجديد فولي عليهم مسعوداً الروسي وذلك في ربيع الثاني سنة سبع وأربعين ومائة وألف، وأمره أن لا يقبض منهم إلا الزكوات والأعشار الشرعية وما جرت به العادة من الهدايا الخفيفة.

وكان رحمة الله موصوفاً بالحلم والعقل متوقفاً في الدماء فستره الله في آخر أمره وأجمل خلاصه ثم نهض إلى مكناة ولما قدمها بايده الجيش بها البيعة العامة هكذا في «البستان».

ورأيت بخط جدنا الإمام الفقيه الأستاذ أبي عبد الله محمد بن قاسم بن زروق الحسني الإدريسي ما نصه: «وفي اليوم الأول من جمادى الأولى من

سنة سبع وأربعين ومائة وألف ثار عبيد الرملة على أمير المؤمنين المولى عبد الله بن إسماعيل ونقضوا بيعته وأعلنوا بنصر أخيه المولى على ولد عائشة مباركة، وخرج لهم المولى عبد الله عن دار الملك بمكناة بعد أن أخذ ما كان بها مما أعجبه من خيل وعدة ومال من غير قتال ولا محاربة، ودخل آخوه المولى على دار الملك بمكناة يوم الجمعة فاتح جمادى الثانية من السنة المذكورة وكتبه في الثاني عشر من الشهر المذكور محمد بن زروق كان الله له بيمته». اهـ كلامه بحروفه.

ولما استقر السلطان المولى أبو الحسن بمكناة قدمت عليه الوفود ببيعتهم وهداياهم من جميع البلدان فأجازهم، وفرق المال على الجيش إلى أن نفذ ما عنده واحتاج فقبض على الحرة خناثي بنت بكار أم السلطان المولى عبد الله فاستصفى ما عندها ثم امتحنها لترى بما عسى أن تكون قد أخفته فلم يحصل على طائل، وكانت هذه الفعلة معروفة من هناته عفا الله عنه.

قال أبو عبد الله أكنوسوس: «وختاثي هذه هي أم السلاطين أعزهم الله وكانت صالحة عابدة عالمة حصلت العلوم في كفالة والدها الشيخ بكار» وقال: «رأيت خطها على هامش نسخة من الإصابة لابن حجر وعرف به بعضهم فقال: هذا خط السيدة خناثي أم السلطان المولى عبد الله بلا شك» اهـ.

ثورة أهل فاس بعاملهم مسعود الروسي وانتقاضهم على السلطان أبي الحسن رحمه الله

ثم إن مسعوداً الروسي عامل فاس عدا على الحاج أحمد بودي رئيس اللقطيين فقتلته، وأمر بجره إلى باب الفتوح إذ كان هو الذي سعى في قتل أخيه أبي علي الروسي عقب وفاة السلطان المولى إسماعيل كما مر،

فلما ارتكب مسعود هذه الفعلة اجتمع أهل فاس وأخذوا أسلحتهم وتقدموا إلى القائد مسعود ليقتلوه بصاحبهم، فقر مسعود ولم يدركوه فعطقوه على السجن فكسروه وقتلوه الحرس والأعوان الذين به وسرحوا المساجين إلى حال سبيلهم. ولما اتصل خبرهم بالسلطان المولى أبي الحسن غض الطرف عنهم ويعت إليهم أخاه المولى المهتيدي ومعه القائد غانم الحاجي، وكتب إليهم يقول: إني قد عزلت عنكم مسعوداً الروسي ووليت عليكم غانماً الحاجي فلم يقبلوه، ورجع من الغد إلى مكانة ثم رجعوا بصائرهم بإشارة أهل المروءة منهم، ويعثروا جماعة من العلماء والأسراف بهدية كبيرة مع المولى المهتيدي إلى السلطان تلافياً لما فرط منهم، ولما دخلوا على السلطان قبض هديتهم وعدد عليهم ذنوبهم ثم أمر بهم إلى السجن. ولما انتهى الخبر إلى أهل فاس قامت قيامتهم وأغلقوا أبواب المدينة وأعلنوا بالخلاف ثم عطفوا على أصحاب مسعود الروسي وكل من كان له به اتصال فقتلوا في كل وجه، وأنشروا الحرب مع الودايا في كل ناحية.

وفي رمضان من السنة المذكورة قدم من عند السلطان القائد أبو محمد عبد الله الحمرى من قواد العبيد فاجتمع بأهل فاس واعتذر إليهم عن السلطان وطلب منهم أن يعشوا معه جماعة منهم إلى السلطان لرقة هذا الفتى فأسعفوه، ويعثروا طائفة من علمائهم وأشرافهم وأصحابهم هدية نفيسة إلى السلطان، وكتب عبد الله الحمرى إلى السلطان يعتذر إليه عنهم ويشفع لهم عنده، فدخلوا على السلطان وعاتبهم ثم عفا عنهم، وسرح لهم إخوانهم الذين كانوا في السجن وولي عليهم عبد الله الحمرى. ثم لما دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة وألف عزله وولي عليهم عبد الله بن الأشقر وسكنت الهيئة واستقام الأمر بعض الشيء.

غزو السلطان أبي الحسن أهل جبل فازاز في جيش العبيد وهزيمتهم إياه

لما كانت أواخر سنة ثمان وأربعين ومائة وألف أخذ السلطان أبو الحسن في الاستعداد وتجهيز العساكر لآيت مالو وكان ذلك منه إسعافاً للعبيد ليأخذوا بتأثرهم من البرير في الواقعة السابقة أيام السلطان المولى عبد الله، فخرج إليهم في المحرم فاتح سنة تسع وأربعين ومائة وألف في جيش كثيف من العبيد فلما نذروا بِإقباله إليهم ودنوه منهم أظهروا الفرار أمامهم مثل الفعلة الأولى، فصاروا يتأخرون ويتبعد آثارهم فينزل منازلهم إلى أن عبروا وادي أم الربيع ودخلوا في الجبال، فعبر السلطان خلفهم وتقدم العبيد إلى الجبال والأوعار فاقتربوها عليهم فلما توسطوها كرت البرير عليهم وانقضوا عليهم من الشنایا انقضاض العقبان، وأحاطوا بهم من كل وجه فولوا منهزمين وازدحموا على الشنایا وسلكوا سبيلاً لهم في المرة الأولى من ترك الخيل والسلاح والأبنية والأثاث والنجاة بمجرد أعناقهم، وسلبهم البرير حتى من الثياب ولم يتعرضوا للسلطان في موكيه وخاصة إلى أن عبر وادي أم الربيع فرجعوا عنه، ولما دخل مكناسة طالبه العبيد بالكسوة والسلاح والراتب فلم يكن عنده ما يعطيهم فشغبوا عليه ومرضوا في طاعته.

وقد أجمل صاحب نشر المثناني هذه الأخبار فقال: وفي هذه السنة يعني سنة تسع وأربعين ومائة وألف أهلك الله كل من خرج على السلطان مولاً عبد الله وقويت الفتنة وارتفعت الأسعار وانحبست الأمطار وقاسي الناس الشدائد من الغلاء وقل الإدام وانقطع اللحم وهلكت رقاب كثيرة ولم يزل الأمر في شدة وفر الناس كل فرار^٦.

**تحرك السلطان المولى عبد الله من
السوس وفرار السلطان أبي الحسن إلى
الأحلاف وما كان من أمره إلى وفاته**

لما كان شهر ذي الحجة من سنة تسع وأربعين ومائة وألف ورد الخبر بأن السلطان المولى عبد الله قد أقبل من وادي نول ووصل إلى تادلا فاحتز العبيد له، وتحدثت فرقة منهم بروده إلى الملك وخالفهم سالم الدكالي في جماعة من شيعته، وقالوا: «لا تخلي طاعة مولانا علي» إذ كان سالم هذا وأصحابه هم الذين تسبيوا في خلع المولى عبد الله وتولية أخيه المولى علي. ثم إن شيعة المولى عبد الله قربت وكثروا أصحاب سالم وأعلنوا يبعثه فقر سالم فيمن معه من القواد إلى زاوية زرهون مستجيراً بها.

ولما سمع بذلك السلطان المولى أبو الحسن فر من مكناسة إلى فاس الجديد فصده الودايا عن الدخول إليها فعدل إلى قنطرة وادي سبو فنزل هناك يوماً أو بعض يوم إلى أن قضى بعض إريه ثم أصبح غادياً إلى تازا فاحتلها، ثم انتقل عنها إلى عرب الأحلاف فأناخ بديارهم ففرحوا به وأكرموه وصاهروه، وأقام بين ظهرهم عدة سنين معراضاً عن الملك وأسبابه إلى أن رجع إلى مكناسة فاستوطنها بإشارة أخيه السلطان المولى عبد الله حين وفد عليه بدار البيضاء من فاس سنة تسع وستين ومائة وألف، فأعطاه مالاً وجنات ومزارع مما كان لجانب المخزن بمكناسة وبعثه إلى داره بها، فأقام يسيراً ثم وتب عليه العبيد فقبضوا عليه وبعثوا به إلى أخيه السلطان المولى عبد الله وقالوا: «إن هذا قد أفسد علينا بلادنا» فأخذه وسرحه إلى تافيلالت فاستقر بها إلى أن مات رحمه الله كما سيأتي.

الخبر عن الدولة الثانية لأمير المؤمنين المولى عبد الله بن إسماعيل رحمة الله

لما فر السلطان المولى أبو الحسن من مكناة إلى الأخلاف اجتمعت كلمة العبيد والودايا على بيعة السلطان المولى عبد الله فبایعوه وهو بتادلا، وتبعهم على ذلك أهل فاس وسائر القبائل، ثم إن سالماً الدكالي الذي بزرهون كتب إلى أهل فاس يقول لهم: «إن الديوان قد اتفق على خلع المولى عبد الله وبيعة سيدي محمد بن إسماعيل المعروفة باسم عربية والمشورة لعلمائكم» فأجابوه بأن قالوا: «نحن تبع لكم» فلما سمع أهل الديوان بما فعله سالم الدكالي وما تقوله عليهم خرجوا من محللة إلى زرهون وقبضوا على سالم الدكالي ومن معه من القواد ويعثروا بهم إلى السلطان المولى عبد الله بتادلا، فاستفتى فيهم القاضي أبي عنان، وكان يومئذ معه، فأفاته بقتلهم فقتلهم. ثم نميته مقابلة سالم الدكالي إلى المولى محمد ابن عربية وهو بتافيلالت فظن أن الأمر صحيح، فأقبل مسرعاً إلى أن وصل إلى مدينة صفرو، فوجد الناس قد بايعوا السلطان المولى عبد الله وراجعوا طاعته فسقط في يده، ثم دخل فاساً مستخفياً وأقام بدار الشيخ أبي زيد عبد الرحمن الشامي، وكان صديقه معتقداً له، وكان أبو زيد يعده بالملك.

ولما أقبل السلطان المولى عبد الله من تادلا خرج للقاء أهل فاس وفيهم الأشراف والعلماء، وكذلك أهل مكناة، فوافوه بقصبة أبي فكران ولما مثلوا بين يديه عاتبهم وعدد ما سلف منهم ثم أمر بأعيانهم فقتلوا، وفعل مثل ذلك بأعيان مكناة واستباحهم، وعزل قاضيهم أبي القاسم العمري ورجع أشراف فاس وعلماؤها مذعورين مما نابهم بعد أن ولى السلطان عليهم محمداً بن علي بن يشي، واستمر هو مقيناً بقصبة أبي فكران ولم يتقدم إلى فاس لعدم ثقته بهم.

الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى محمد بن إسماعيل المعروف بابن عربية والسبب فيها

لما فعل المولى عبد الله بأعيان فاس ومكناسة ما فعل من القتل والاستباحة وأقام منكمشاً بقصبة أبي ذكران نبغت رؤوس الفتنة من الودايا بفاس الجديد وأخذوا في نهب الطرقات ثم أغروا في يوم الخميس على سرح فاس وأجلاب سوقها فاستاقوها حتى لم يتركوا لهم بقرة ولا شاة ولا بهيمة غيرهما.

ولما رأى أهل فاس ما نزل بهم اجتمعوا وتحالفوا على خلع السلطان المولى عبد الله وبيعة أخيه المولى محمد بن عربة فمشوا إليه وهو بدار الشيخ أبي زيد الشامي فأخرجوه وأخذوا عليه العهود ثم بايعوه في عاشر جمادى الأولى سنة خمسين ومائة وألف، وهبوا له كل ما يحتاج إليه من خيل وسلاح وألة حرب وتباروا في طاعته وخدمته، وكتب بيعته في خامس عشر الشهر المذكور، وكتب عليها الفقهاء خطوطهم وامتنع بعضهم من ذلك، وقالوا: «بيعة السلطان المولى عبد الله في أعناقنا فلا نخلعها» فعزلوا عن الخطط وامتحنوا، ثم كتب أهل فاس إلى عبيد الديوان يعرفونهم ما صنعوا ويطلبون منهم موافقتهم فأجابوهم إلى ذلك وبايعوا السلطان المولى محمد بن عربة وتم أمره.

ولما رأى السلطان المولى عبد الله أن أمر أخيه قد تم فر إلى جبال البربر وأقام هنالك ثم فتحت أبواب فاس وانتقل السلطان المولى محمد إلى فاس الجديد، ومن الغد نهض إلى مكناسة فاحتل بها وبايعه العبيد البيعة العامة وقدمت عليه الوفود منسائر الأقطار بهداياهم فأجازهم وفرق ما كان عنده من المال على العيد وكان ما نذكره.

بعد اختلال أمر السلطان المولى محمد بن عربية وما تسبّب عن ذلك

لما فرق السلطان المولى محمد بن عربية على العبيد ما عنده من المال لم يقنعهم ذلك، واستزدادوه فأطلق عفا الله عنه أيدي النهب في أموال المسلمين، وأخذ هو في استخراج الحبوب والأقوات من دور أهل مكناة غصباً، وبحث عنها في الأهراء والمعطامير وكل من ذكر له أن عنده قمحاً أو شيئاً قبض عليه، وصادره إلى أن يظهر ما عنده، وكل من جلب من أهل البداية حتَّى أخذ منه كرهاً فكثر الهرج وعمت الفتنة وفر الناس من مدinetهم وعم النهب خارجها وانقطعت السبل ووقع الناس في حيص بيص والأمر الله وحده.

إغارة السلطان المولى عبد الله على الإصطبل من مكناة وما نشا عن ذلك

ثم إن السلطان المولى عبد الله الذي كان مقيناً عند البرير قدم ذات ليلة في جماعة من أصحابه حتى دخل الإصطبل وقتل من وجد به من العبيد وحرق أخصاصهم ورجع عوده على بدئه، ولما نذر به السلطان المولى محمد بن عربية نادى في الناس بالتفير وركب في خيله ورجله وقصد السلطان المولى عبد الله وهو بالموضع المعروف بالحاجب، ولما رأى العساكر مقبلة إليه والخيل تتبعادي خلفه فر بنفسه وترك ابنيته بما فيها فانتهيا العبيد وتبعوه إلى أن بلغوا وادي مليوة فتوغل في الجبال ولم يقفوا له على أثر، ولما قفلوا راجعين اعترضهم البرير وتسايلوا عليهم من المخازم والشعوب، فصدقوهم القتال وهزموهم واستabilوا ما معهم من الأثقال ورجعوا بخفى حنين.

قال في «البستان»: «ولما انتهوا إلى أخواز صفو بعث المولى محمد بن

عربة جماعة من جيشه إلى من هنالك من المستضعفين من أهل المزادع وغيرها من القرى وأمر بقطع رؤوسهم وبعثها إلى فاس موهماً أنها رؤوس البربر، «إد والله أعلم».

بقية أخبار السلطان المولى محمد بن عربة وما تخللها من الهرج والشدة

لما قفل السلطان المولى محمد بن عربة من خرجته في أثر أخيه المولى عبد الله وكان حيث ذكرنا يبعث أخاه المولى الوليد بن إسماعيل إلى فاس، وأمره بضرب البعث عليهم توصلأً إلى ما في أيديهم من المال بحيث أن من أعطى المال منهم يقيم بداره، ومن أبي يخرج في البعث، فتحير الناس وقدم المولى الوليد حضرة فاس وقبض على الحاج أبي جيدة برادة، وكان مثرياً، فقتله وأخذ أمواله وباع أصوله، وقبض على الحاج عبد الخالق عديل فأخذ أمواله، ثم تسلط على أهل الزوايا وكل من ذكر له أنه من أهل اليسار إلى أن استوفى غرضه، ثم سار إلى مكناسة ففعل بأهلها مثل ذلك حتى لم يسلم منهم إلا القليل، هذا والناس في محنة عظيمة من المجاعة والفتنة ونهب الدور بالليل بحيث كان أهل اليسار لا ينامون، وصار جل الناس لصوصاً، والودايا يعيشون في الجنات خارج المدينة ويغبون على القصارين بوادي فاس، وبعد أن صار الناس يقترون كثائهم بمصومة انتهبوه منهم بها، بل تناولوا القفل من الفنادق والسلطان معرض عن جميع ذلك لا يلتفت إليه، ولقد هلك في هذه المدة من الجوع جم غفير أخبر صاحب المارستان أنه كفن في رجب وشعبان ورمضان ثمانين ألفاً وزيادة سوى الذين كفنتهم عشيرتهم. وبالجملة فقد كانت أيام المولى محمد بن عربة هذا أيام نحس ووباء على المسلمين، وكذا أيام أخيه المولى المستضيء الذي إليه يساق الحديث، وكل ذلك والله تعالى أعلم من استيلاء العبيد على الدولة وشوم افتيائهم عليها وتحكمهم في أغراضها طوع أهوائهم وحسب أغراضهم، إذ

معلوم أنه لا ينشأ عن كثرة الخلع والتولية إلا هذا وشبهه، نسأل الله تعالى اللطف والحفظ في الأهل والدين والمال في الحال والماك.

وقد تكلم صاحب «نشر المثاني» على هذه السنة أعني ستة خمسين ومائة وألف فقال: «وفي هذه السنة هزم جيش الثائرين على مولاي عبد الله يعني العبيد هزيمة عظيمة بعد أن صدر منهم فساد كبير وذلك على يد البربر، وارتفعت الأسعار جداً وجعل اللصوص يهجمون على الناس في دورهم ليلاً ويقتلونهم وهم يستغيثون فلا يغاثون، وبلغ الخوف إلى أبواب الدور المتطرفة بفاس نهاراً فلا يستطيع أحد أن يخرج عن باب مصمودة في العدو ولا عن باب القصبة القديمة في الطالعة ولا عن حومة الحفارين باب عجيبة، وكثير الهدم في الدور لأخذ خشبها وكثير الخراب وخلت الحارات فتجدد الدرب مشتملاً على عشرين داراً وأكثر وكلها خالية». وفي هذه المدة قتل الفقيه العلامة أبو البقاء يعيش الشاوي بداره بالدوح وقتلها كان سبب خلاء الدوح وافتضح أهل العروبة من الناس ومن يظن به الدين، وكل من قدر على الفرار فر من فاس، وقل من سلم منهم بعد خروجه عن البلد، وخرج جماعة وافرة من أهل فاس إلى تطاوين وما والاها لجلب الميرة إذ كان الله تعالى قد سخر العدو الكافر بحمل الطعام إلى بلاد المسلمين، فاشترى أهل فاس منه شيئاً كثيراً لكن امتنع الجمالون من حمله لهم وما طلوه، فشكواهم لوالى تلك البلاد ورئيسها حينئذ أحمد بن علي الريفي فأظهر لهم النصح وأبطن الغش لأنحرافه عن السلطان ومن يتعلق به. فشيط الجمالين وهو قبيلة بداره فازدواها امتناعاً وتعاصياً حتى بقي أهل فاس معطلين بميرتهم نحو ستة أشهر. فهلك بسبب ذلك خلق لا يحصلون جوعاً. وكلهم في عهلهة أحمد بن علي الريفي وما أغنى مال ولا متاع في طلب القوت، ولو لا أن الله سخر العدو الكافر بجلب الميرة للمغرب لهلك أهله جميعاً فيما أظن، وذلك كله من شؤم الفتنة والخروج على الملوك.

وأما الأصول والسلع فلم يكن شيء منها يبلغ عشر ثمنه المعتمد، ولم يقيض الله لهذا المغرب راحة حتى من بر جوع السلطان مولاي عبد الله، هذا كلام صاحب «نشر المثاني» وهو الفقيه المؤرخ سيد محمد بن الطيب بن عبد السلام القادي. وقد حكى هذه الأخبار عن معاينة لأنه كان يومئذ حاضرها وشاهدها.

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، والناس في شدة، وفي الرابع والعشرين من صفر منها ثار العبيد على السلطان المولى محمد بن عربة فقبضوا عليه، وعلى قائدته على فاس الشريف أبي محمد عبد المجيد المشامي ووضعوا في رجلي كل واحد منها قيداً، وأخرجوا ابن عربة وعياله من دار الملك إلى داره التي على وادي ويسلن بجنان حمرية، ووكلوا به جماعة من العبيد يحرسونه، وكتبوا إلى أخيه المولى المستضيء بن إسماعيل بتافيلالت يستدعونه للقدوم عليهم ليملكوه.

الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى المستضيء بن إسماعيل رحمة الله

لما قبض العبيد على السلطان المولى محمد بن عربة أعلنا بيعة أخيه المولى المستضيء بن إسماعيل، وكتبوا بذلك إلى الآفاق فساعدهم الناس عليه ويعثروا جريدة من الخيل على عادتهم لتأتي به، فاقبل مسرعاً، ولما انتهى إلى مدينة صقرو لقيه أهل فاس بها في أشرافهم وعلمائهم وأدوا بيعتهم ورجعوا معه إلى فاس الجديد. فأراح به، وولى عليهم القائد أبو العباس أحمد الكعيدي فاستناب الكعيدي عليهم من قبله شعشوغ البازغي والحال ما حال والظلم ما زال، ثم ارتحل السلطان المولى المستضيء إلى مكانة فاحتل بها وبايده العبيد البيعة العامة، وقدمت عليه وفود القبائل والأمصار بهذه أيام فقابلهم بما يجب واستتب أمره.

ذكر ما صدر من السلطان المولى المستضيء من العسف والاضطراب

لما استقر السلطان المولى المستضيء بمحكناة كان أول ما بدأ به أن بعث بأخيه المولى محمد بن عرببة مقيداً إلى فاس، ومنها إلى سجلamasة فسجين بها، ويعت بقائده السيد عبد المجيد المشامي والشيخ أبي زيد عبد الرحمن الشامي يسجنهان بفاس الجديد، ونهبت دار المشامي وصودر إلى أن مات تحت العذاب ومثل به، ثم بعث السلطان كتابه إلى أهل فاس ولكن رسم أن يقرأ بفاس الجديد ويحضر أعيان أهل فاس لاستماعه فارتباوا وتغيروا ولم يحضر منهم إلا نحو العشرين فقبض عليهم وسجنا هنالك، ثم وظف عليهم مال ثقيل لم يقوموا به.

وافتقرت الدولة في أيام هذا السلطان واحتاج إلى المال ليقطع عنه لسان العبيد، فأخذ في البحث عما في المخازن الإسماعيلية التي لم يلتقط إليها الملوك قبله، فوقع على خزين من الحديد فاستخرجه وباعه، ووقع على الخزين الكبير، وفيه آلاف من قناطير الكبريت، فباعها أيضاً، ووجد شيئاً كثيراً من ملح البارود والشب والبقام وغير ذلك مما كان يجعل إلى الحضرة من غنائم أجناس الفرنج فباع ذلك كله، ثم اقتلع شرائب القبة الشطرنجية، وكانت من نحاس مذهب، واقتلع الدرابيز التي عن يمينها وشمالها من الحديد المتccb من باب الرخام إلى قصر المولى يوسف ودفعها لأهل الذمة. وألزمهم أداء ثمنها فأجحف بهم، ثم أنزل المدافع النحاسية التي كانت بأبراج الحضرة فكسرها وضربيها فلومساً فما أغنى ذلك شيئاً، وقتل في هذه المدة نيفاً وثمانين رجلاً من عرببني حسن، وسلط العذاب على مساجين أهل فاس ليغروا المال فغرموا ما قدروا عليه، ثم أمر بالقبض على تجار أهل فاس ليشتروا أصول مساجينهم فعذبو إلى أن أدوا بعض المال، وعجزوا، وأفتي العلماء أن هذا البيع الواقع في هذه الأصول صحيح تقديمأ لخلاص الأنفس على الأموال.

ثم قيس هذا السلطان على شريف من الأشراف العراقيين من أهل حومة كرنيز اتهمه بأن الحرة خناثي بنت بكار استودعته مالاً فضرب وامتحن ثم ولى على فاس المولى أبو حفص عمر المدني وكان رفيقه وجليسه، فاستناب المولى أبو حفص على فاس رجلاً يقال له ابن زيان الأعور، وتقدم إليه في مصادرة أشراف فاس واستصفاء أموالهم، فامتثل ابن زيان أمره وما قصر، وكان الحامل لأبي حفص على هذا أن داره بفاس كانت قد نهبت أيام المولى محمد بن عربة ولم ينكر ذلك أحد من أهل فاس، فحقدها أبو حفص عليهم إلى أن أدالته الأيام منهم في هذه المرة، ففعل ابن زيان ما فعل، فأمر السلطان المولى المستضيء بالقبض على ابن زيان وأن يطاف به على حمار، والسياط في ظهره وهو يقول: «هذا جزاء من يؤذى الأشراف» فطيف به ثم أزيل رأسه وعلق على باب المحروق، هذا والأشراف لا زالوا في العذاب، ثم أمر بمساجين أهل فاس فحملوا إليه في السلسل والأغلال ثم قتلوا بباب القصبة عن آخرهم، وأمر بإخراج ولد مامي من الحرم الإدريسي فلما وصل إليه قتله، وأسرف المولى المستضيء في القتل والعنف وأراد أن يتشبه بأخيه المولى عبد الله الذي جرد السيف ويسقط الكف فغطى سخاؤه عيبه، وهياهات، فقد كان المولى المستضيء مسيكاً مهزوم الراية، على ما قبل، تغمدنا الله وإياه وال المسلمين بالرحمة والعفو والغفران، ثم قتل القائد غانماً الحاجي، ووالى مكناسة القائد سعدون، وستة من أولاد الزياتي أصحاب السجن.

ثم إن السلطان المولى عبد الله أغري البرير الذين كان مقيناً فيهم بشن الغارات على الودايا والعيث في طرقاتهم ففعلوا، وانقطعت السبل وتعذر المعاش، وكان المولى زين العابدين بن إسماعيل محبوساً عند أخيه السلطان المولى المستضيء فأمر بإخراجه وإحضاره بين يديه فأحضر وضرب ضرب التلف، وبعث به مقيداً إلى تافيلالت ليسجن مع بعض أشرافها، فبعث العبيد جماعة منهم فانتزعوه من يد حامليه ويعثروا به إلى القائد أبي العباس أحمد الكعيدي ببني يازغة، وتقدموا إليه في الاحتفاظ به والاعتناء بشأنه.

إيقاع البasha أبي العباس أحمد بن علي الريفي بأهل تطاوين

قد قلمنا ما كان من إغارة البasha أبي العباس أحمد بن علي الريفي صاحب طنجة على أهل تطاوين، وهزيمة أبي حفص الوقاش له وفتكه ب أصحابه فاستحكمت العداوة بين الريفي والوقاش من يومئذ، وبقي الريفي يتربص به الدوايز ويترصد له الغوايل إلى أن بُويع السلطان المولى المستضيء في هذه المدة، فلم يقدم عليه أحد من أهل تطاوين ولا دخلوا في بيته قوْجَد أبو العباس الريفي السبيل بذلك إليهم وأغرى بهم السلطان المذكور ودس إليهم أنهم شقوا العصا وخالفوا الأمر، مع ما كان قد نقل عن الفقيه أبي حفص في تلك القصيدة من التصریع بطلب الملك، فنجع ذلك في المولى المستضيء، وكتب إليه يأمره بالإيقاع بأهل تطاوين، فاغتنمتها أبو العباس الريفي واقتتحم تطاوين في جموعه على حين غفلة من أهلها وانتبهما، وقتل من أعيانها نحو الشمامائة ووظف على من بقي منهم مالاً ثقيلاً وهم أسوارها ونظمها في سلك ما كان مستولياً عليه وبنى بها دار الإمارة الموجودة الآن.

شجب العبيد على السلطان المولى المستضيء وقراره إلى مراكش

لما كان متتصف ذي القعدة من ستة اثنين وخمسين ومائة وألف شجب العبيد بمكناة على السلطان المولى المستضيء وتأمروا في عزله ومراجعة طاعة أخيه المولى عبد الله، ولما أحسن المولى المستضيء بما أجمعوا عليه خرج من مكناة في شيعته وأنصاره فاصداً ضريح الشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه، فتبعه المولى عبد الله في جمع من العبيد فأدركوه بعض الطريق فكرّ عليهم وقاتلهم حتى رجعوا عنه، ومفضى لوجهه إلى أن وصل إلى طنجة فأقام بها نحو الشهرين عند أحمد بن علي الريفي،

ومنها توجه إلى مراكش فلأنهم كانوا قد بايده، وكان أخوه المولى الناصر نائباً عنه بها، ولما استقر بمراكب كاتب قبائل الحوز يستنصر بهم على أخيه المولى عبد الله ويستنصر بهم للخروج معه إليه، فتقاعدوا عنه لأن عبدة والرحامنة وأهل السوس كانوا شيعة للمولى عبد الله، ولم يبق في حزب المولى المستضيء إلا أهل دكالة آخواله وبين حسن عرب الغرب، ولما رأى المولى المستضيء تقاعد قبائل الحوز عنه فأقام بمراكب يزجي الأيام إلى سنة خمس وخمسين ومائة وألف، والباشا أبو العباس الريفي صاحب طنجة يقتل للعبيد في التروة والغارب إلى أن بايده ثانية بعد أخيه المولى زين العابدين، وبعد خلع السلطان المولى عبد الله حسبما ذكره بعد إن شاء الله.

مراجعة العبيد طاعة للسلطان المولى عبد الله ودخولهم في دعوته

قد قدمنا أن السلطان المولى عبد الله كان مقيماً في هذه المدة عند البرير وأنه تبع المولى المستضيء عند خروجه من مكناسة ثم رجع عنه ولما بلغه خبر مسيره إلى مراكش سار في اعتراضه إلى أن بلغ قصبة وادي آلزم فلم يقف له على خبر فأقام يتتجسس أخباره إلى أن اتفق العبيد على بيعته وهو باللزم، فبايده أولئك ستة ثلاث وخمسين ومائة ألف، وكتبوا بيعتهم ويعثروا بها إليه مع بعض خاصتهم، وكتبوا مع ذلك إلى أهل فاس والودايا في المواقفة، فوافقوهم وبايدوا السلطان المولى عبد الله وخطبوا به على متابرهم وزينت فاس، ولما انتهى الحال إلى هذا الحد فر الوزير أبو الحسن علي العميري من مكناسة إذ كان وزير المولى المستضيء، واحترم أخيه القاضي أبو القاسم العميري بضربيع بعض صلحاء مكناسة، وبعث أهل فاس جماعة من أشرافهم وعلمائهم بيعتهم إلى السلطان المولى عبد الله ومعهم جماعة من التجار وحجاج الركب الحجازي بهداياهم، هذا كله، والسلطان لا زال

مقيناً بقصبة آلزم، وتولى العبيد بمكناة النقض والإبرام لتأخر مجيء السلطان، وظهر منهم الإدلال والاستبداد على الدولة، وبعثوا من قبلهم القائد أبي محمد عبد الله الحمري واليأ على فاس وقالوا: عن أمر الديوان، وكثير القطاع بالطرقات واللصوص بالمدينة وعادت هيف إلى أديانها.

مجيء السلطان المولى عبد الله إلى مكناة وما ارتكبه من أهلها

وفي خامس عشر رجب سنة ثلث وخمسين ومائة وألف تحرك السلطان المولى عبد الله من آلزم وقدم مكناة فقبض على قاضيها الفقيه أبي القاسم العميري، والسيد أبي العباس أحمد الشدادي، والعباس بن رحال، والفقية الملطي وأزال عمامتهم وفضحهم وقال لهم: «كيف تزوجون حرمي من أخي وأنا حي» ونكل بهم النكال الشديد، ثم أمر بسحبهم إلى السجن، وأعطي دار القاضي العميري أحد العبيد، وقال لهم: من أراد منكم داراً بمكناة فليأخذها» فامتدت أيدي العبيد في الناس حتى صاروا يقفون بالأبواب ويقول العبد لصاحب الدار: «إن سيدتي قد أعطاني دارك أو أعطاني ابنتك» فيفتدي منه بالمال، ولحقهم من العبيد فوق ما يوصف، ومن شكى منهم عوقب وسجن، والسلطان مقيم بباب الريح لم يدخل القصبة التي كان بها المولى المستضيء.

وولى في هذه المدة على فاس شيخ الركب الحاج عبد الخالق عديل، وولى على قضاياها الفقيه أبي يعقوب يوسف بن أبي عنان، وتقدم إليه في أن يعزل القضاة والخطباء الذين خطبوا بالمولى المستضيء في سائر البلدان.

وأما الودايا فإنه لم يقدم على المولى عبد الله منهم أحد ولا بايعوه وكذا الباشا أحمد بن علي الريفي وأهل الريف والفحص وقبائل الجبل فاغتنم المولى عبد الله لذلك، ثم شفعت الحرمة خناثي أم السلطان في قومها الودايا وبعثت إليه جماعة منهم فقبلهم وغافا عنهم.

إيقاع أبي العباس أحمد بن علي الريفي بقبائل الغرب وما تخلل ذلك

وعلى أثر ما تقدم بلغ السلطان عبد الله أن القائد أبي العباس أحمد بن علي الريفي قد أغاد على أعمال القصر الكبير، وانتهت أموالاً كثيرة لأهل الغرب وشيعتهم ممن ليس على رأيه في الخروج عن طاعة السلطان، فبعث المولى عبد الله جيشاً كثيفاً من عبيد مشروع الرملة ينزلون بالقصر الكبير لحراسته وحراسة أعماله، فلما سمع بذلك الريفي فرق العطاء على جيشه وتهيأ للنهوض إلى العبيد، فوردت عليه شرذمة من الودايا وأخرى من عبيد مكناسة وأخبروه بأن ذلك الجيش قد رجع، لأن ذلك الوقت لم تجتمع فيه كلمة لأحد لا من الرعية ولا من الجيش.

وكان السلطان المولى عبد الله قد وجه عامله القائد أبي العباس أحمد الكعبيدي عاماً على عرب الحبانية وأهل جبل الزبيب لجباية الزكوات والأعشار، فلما توسط بلاد الحبانية عدوا عليه فقتلوه، ولما اتصل خبره بالسلطان المولى عبد الله اغتم لذلك غمًا شديداً لأنه كان عماد دولته فانحل نظامها بموته، وفسدت الطرقات وكثير النهب في كل موضع.

ثم إن السلطان أمر المسخررين الذين معه بنهب زروع أهل مكناسة فوقع من ذلك شر عظيم، وذلك أوائل سنة أربعين وخمسين ومائة وألف، ثم وظف عليهم وظائف كثيرة من دفع المؤنة له ولاصحابه وإعطاء العملة للبناء بباب الريح وغير ذلك فتشفعوا إليه مراراً فلم يقبل. والله تعالى أعلم.

شغب العبيد على السلطان المولى عبد الله وفراره ثانية إلى البربر

لما كان شهر ربيع الأول من سنة أربع وخمسين ومائة وألف شغب العبيد على السلطان المولى عبد الله وهموا بخلعه والإيقاع به، فنذرت بذلك أمه الحرة خناثي بنت بكار، ففرت من مكناة إلى فاس الجديد، ومن الغد تبعها ابنها السلطان المولى عبد الله ونزل برأس الماء، فخرج إليه الودايا وأهل فاس وأجلوا مقدمه واهتزوا له، فاستعطفهم السلطان وقال لهم: «أنتم جيشي وعدتي ويعيني وشمالي». وأريد منكم أن تكونوا معي على كلمة واحدة» وعاهدهم وعاهدوه ورجعوا، وفي أثناء ذلك بلغه أن أحمد بن علي الريفي قد كاتب عبيد مشرع الرملة وكاتبوه واتفق معهم على خلع السلطان المولى عبد الله وبيعة أخيه المولى زين العابدين، وكان يومئذ عنده بطنجه وأنهم وافقوا، فوجم لها السلطان المولى عبد الله، ثم استعجل أمر المولى زين العابدين ففر المولى عبد الله إلى بلاد البربر كما سيأتي إن شاء الله.

الخبر عن دولة أمير المؤمنين زين العابدين بن إسماعيل رحمة الله

كان ابتداء أمر السلطان المولى زين العابدين أنه قدم مكناة في أيام أخيه المولى المستضيء، فلما سمع به أمر بسجنه قبل أن يجتمع به فسجن مدة ثم أمر يوماً بإخراجه وضرره فضرب، وهو في قيده، ضرباً وجيناً أشرف منه على الموت كما مر، ومع ذلك فلم ينطق بكلمة، ثم رده إلى السجن، ثم أمر ببعثه مقيداً إلى سجلمامسة كي يسجن بها مع بعض الأشراف المسجونين هنالك، فلما سمع بذلك قواد رؤوسهم من العبيد بعثوا من رده من صورو إلى فاس ومن هنالك بعثوا به إلى القائد أبي العباس أحمد الكعبي بيبني يازغة وأمروه أن يحتفظ به مكرماً مبلاً.

ثم لما فرَّ المولى المستضيء عن مكتنasaة ورَاجَع العبيْد طاعة السلطان المولى عبد الله دخل المولى زين العابدين مدينة فاس فاطمَان بها، وسر بولاية المولى عبد الله وخلع المولى المستضيء، ثم ذهب إلى مكتنasaة وأقام بها مدة، ثم سار إلى طنجة فقدم على صاحبها البشاً أحمد بن علي الريفي فأكرِّمَ وفَادَتْهُ وأحسَنَ مثواه، واستمرَّ مقيماً عنده إلى أن كاتب عبيْد الديوان في شأنه ووافقوه في بيته، فباعيه البشاً أحمد وباعيه أهل طنجة وتطاوين والفحص والجبال وخطبوا به على منابرهم، ثم هياً له البشاً أحمد كتيبة من الخيل من عبيْد الديوان وغيرهم، وبعثهم معه إلى مكتنasaة فدخلها في ربيع سنة أربع وخمسين ومائة وألف ويُوبِع بها البيعة العامة وقدمت عليه وفود القبائل والأمصار فقابلهم بما يجِب، وتم أمره.

وفرَّ السلطان المولى عبد الله من رأس الماء ودخل بلاد البيربر، ولم يقدِّم على المولى زين العابدين أحد من الودايا ولا من أهل فاس. وكان فيه أناة وحمل لم يظهر منه عسف ولا امتدت يده إلى مال أحد إلا أنه لقلة ذات يده نقص العبيْد من راتبهِ فكان ذلك سبب انحرافِهم عنه كما سيأتي.

بقية أخبار المولى زين العابدين وانقراض أمره

لما استقرَّ السلطان المولى زين العابدين بحضور مكتنasaة وتم أمره أقام بها نحو الشهرين، ثم تهياً لغزو الودايا وأهل فاس الذين تخلَّفوا عن بيته، فنهض إليهم في جيش العبيْد متتصف جمادى الأولى سنة أربع وخمسين ومائة وألف. ولما بات جيشه بسيدي عميرة بقصد حصار فاس اختلفت كلمة العبيْد، ومن الغد قرضاً أبنائهم وارتَحَلوا إلى مكتنasaة وكفى الله الودايا وأهل فاس شرهم. إلا أنهم حرقوا ببادر الترْع التي كانت للودايا بالخمسين، ولما وصلوا إلى مكتنasaة نهبوا ثمار جناتها وأفسدو ما قدرُوا عليه منها،

وانصرف جمهورهم إلى مشروع الرملة، والذين دخلوا مكناسة مع السلطان طالبوه في الراتب وشددوا في اقتضائه، فلم يكن عنده ما يرضيهم به فشعروا عليه ومرضوا في طاعته.

هذا، والسلطان المولى عبد الله مقيم بجبل البرير مطل على الحضرة ومحفظ للوثبة، فلما علم بما المولى زين العابدين فيه من الاضطراب نزل من الجبل وتقدم حتى دخل فاساً الجديد وذلك في سادس عشر جمادى الآخرة من السنة، فلقىه الودايا وأهل فاس واهتزوا لمقدمه وطاروا به سروراً، ثم خرج من يومه إلى دار الدبيبغ فاحتل بها.

ولما اتصل خبره بأخيه المولى زين العابدين ضاق ذرعه وخشعت نفسه، وأصبح غادياً من مكناسة إلى حيث يأمن على نفسه معرضًا عن الملك وأسبابه، فكان ذلك آخر العهد به إلى أن توفي رحمة الله.

الخبر عن الدولة الثانية لأمير المؤمنين المولى عبد الله رحمة الله

لما فر السلطان المولى زين العابدين عن مكناسة اجتمع العبيد واتفقوا على أن يراجعوا طاعة السلطان المولى عبد الله، فبعثوا طائفة من قوادهم ووجهوها إليه فقدموا عليه منتصف رمضان من السنة المذكورة، وهو بدار الدبيبغ، فحيوه، وأخبروه بأن إخوانهم قد خلعوا المولى زين العابدين وباياعوه، فسر المولى عبد الله بقدومهم وخرج الودايا إلى العبيد فاختلطوا بهم وسرروا بمقدمهم، وأجرروا الخيل في ميدان المسابقة ولللعب بالبارود، وزينت مدينة فاس، وجددت البيعة العامة من الودايا وأهل فاس وقبائل العرب والبربر. واستمر الحال على ذلك إلى آخر ذي القعدة من السنة فكان ما ذكره.

**مجيء المولى المستضيء
من مراكش ومحاربته لأخيه
المولى عبد الله وما يتبع ذلك**

لما اجتمعت كلمة العبيد والودايا وسائر أهل بلاد الغرب على طاعة السلطان المولى عبد الله أقام رحمه الله بدار الدبيبغ، واستمر الحال على ذلك إلى آخر ذي القعدة من سنة أربع وخمسين ومائة وألف، فارتاتب العبيد بمقامه هنالك ورفضه المقام بين أظهرهم بمكتناسة التي هي دار الملك يومئذ، فقلبوا له ظهر المجن، على عادتهم، واستدعوا المولى المستضيء من مراكش ليابعوه.

وأتصل خبرهم بالمولى عبد الله وأنهم قد بعثوا الخيل إلى المولى المستضيء لتأتي به، فأخذ السلطان من ذلك المقعد المقيم، وشمر عن ساعد الجد وأخذ في تأليف قبائل العرب والبربر، ووصل يد بعضهم ببعض، ثم ألف بينهم وبين الودايا وأهل فاس وأخى بين الجميع فأعطوه صفة أيمانهم بأنهم يموتون دونه قتم له منهم ما أراده، وفي أثناء ذلك قدم الحاج أحمد السوسي من مراكش ودخل فاساً فتحدثت عنه بأنه قد دس إلى أهل فاس في مراجعة طاعة المولى المستضيء والتسلك بدعوته، ونمى ذلك إلى السلطان المولى عبد الله فأمر بقتله فقتل.

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة وألف ففي المحرم منها زحف المولى المستضيء من مراكش إلى بلاد الغرب ودخل مكتناسة في جيش العبيد وبني حسن وغيرهم، وقدم في ركباه الوزير أبو الحسن العميري، وأخوه القاضي أبي القاسم، وفي آخر المحرم المذكور ورد كتاب من عند القائد أبي العباس أحمد الريفي إلى أهل فاس يدعوهم إلى بيعة مخدومه المولى المستضيء والدخول في طاعته، فقسموا عن ذلك ونبذوه.

وفي ربيع الأول من السنة المذكورة زحف المولى المستضيء في جيش العبيد إلى فاس وعسكر بظهر الزاوية خارجها ففر السلطان المولى عبد الله من دار الدبيبة إلى آيت دراسن، ومن الغد هاجت الحرب بين العبيد وبين الودايا وأهل فاس والحيابنة وشرافة وأولاد جامع. وهلك فيها من الفريقين عدد كثير. وفي ربيع ربيع الثاني قدم السلطان المولى عبد الله يجر أمم البربر خلفه من زمور ويني حكم وجروان وآيت أدراسن وآيت ومالو في عدد لا يحصيهم إلا خالقهم، وفي شارة من اللباس وشكة من السلاح تسر الصديق وتسوء العدو.

ولما عاين المولى المستضيء وعيده تلك الجموع وعلموا أنهم لا طاقة لهم بحرفهم اتخذوا الليل جملأً وأسروا إلى مأمنهم ونجوا بأنفسهم وأصبحت الديار منهم بلا قع، فسر الناس بذلك وشكروا الله على انقضاض تلك الجموع بلا قتال.

وفي سادس جمادى الأولى من السنة توفيت أم السلطان الحرة خناثي بنت بكار المغفرية رحمها الله، وكانت فقيهة أدبية، ودفنت بقبور الأشرف من فاس الجديد.

وفي جمادى الثانية منها حدثت فتنة بفاس بين الحاج عبد الخالق عديل والشريف المولى أبي عبد الله محمد الغالي الإدريسي فشكاه عديل إلى السلطان فأمر بالقبض عليه فعاد الشريف بتصريح جده رضي الله عنه، فألزم السلطان أهل فاس بإخراجه، فضيقوا عليه إلى أن طلب الأمان فأمنوه وساقوه إلى السلطان فويخره ثم ضربه وسجنه ثم أمر أهل فاس بقتل أصحابه فقتلواهم.

هدية السلطان المولى عبد الله رحمه الله إلى الحرم النبوى على مشرفة أفضل الصلاة والسلام

وفي هذه السنة أعني سنة خمس وخمسين ومائة وألف سافر الركب المغربي إلى الحرمين الشريفين فبعث معه أمير المؤمنين المولى عبد الله رحمه الله هدية نفيسة فيها ثلاثة وعشرون مصحفاً بين كبير وصغرى محلاة بالذهب مرصعة بالدر والياقوت، ومن جملتها المصحف الكبير العقابي الذي كان الملوك يتوارثونه بعد المصحف العثماني الذي كان عندبني أمية بالأندلس، وانتقل إلى هذه العدوة المغربية على يد عبد المؤمن بن علي حسبما مر الكلام عليه مستوفى، وأما هذا المصحف العقابي فهو مصحف عقبة بن نافع الفهرى الصحابي المشهور فاتح المغرب، كان نسخه بالقىروان من المصحف العثماني على ما قيل، وبقى متداولاً بين أهل المغرب إلى أن وقع بيد الأشراف السعديين، وأخذ فيه المنصور منهم العهد لولده الشيخ على إخوته كما مر.

ولما وصل إلى هذا السلطان رحمه الله غريبه من المغرب إلى الحرم الشريف فعاد به الدر إلى وطنه والإبريز إلى معده، قال الشيخ أبو عبد الله المسناوى رحمه الله: «قد وقفت على هذا المصحف حين أمر السلطان المولى عبد الله رحمه الله بإخراجه وبعثه إلى الحجرة الشريفة فظهر لي أن تاريخ كتبه بالقىروان فيه نظر بعد ما بينهما» اهـ وبعث السلطان رحمه الله معه ألفين وسبعمائة حصاة من الياقوت المختلف الألوان للحجرة النبوية على الحال بها أفضل الصلاة وأذكى التحيية وتقبل الله من السلطان عمله وأجزل ثوابه آمين.

مشيّعة الباشا أبي العباس الريفي للمولى المستضيء على المولى عبد الله وزحفه إلى فاس وما يتصل بذلك

لما دخلت ستة ست وخمسين ومائة وألف قبل البasha أبو العباس أحمد ابن علي الريفي في جموع الفحص والجبل والريف قاصداً فاساً وأعمالها حتى نزل بالعساں من مزارع فاس، وذلك في الثاني والعشرين من المحرم منها، وراؤد أهل فاس على الانحراف عن طاعة مولاي عبد الله فأبوا.

وأقبل المولى المستضيء في جموع العبيد، وعليهم القائد فاتح بن التوبيني، حتى نزل قريباً منه في الثاني والعشرين من صفر. ولما زحف هذان الجيشان إلى فاس اضطربت نواحيها ودهش الناس من هول هذا الريفي لأنه جاء في استعداد لم يعهد مثله، وأرز الحباينة وشراقة وأولاد جامع إلى أسوار فاس، ونزلت حملتهم داخلها وخارجها ويعثروا مزارعها وجناتها وانتهيا مواعيدها، وهلك الكثير منها جوعاً وهزاً، وماجت الفتنة موج البحر، وارتفعت الأسعار ولقي الناس كل شدة، وفي كل صباح ومساء ترعد المدافع وتقرع الطبول بمحلي المولى المستضيء، والريفي، فاستعد الناس للحرب. وركب السلطان المولى عبد الله من دار الدبيخ في نحو عشرة من الخيل، وأسرع إلى آيت أدرامن، وهو بسبعين عشار، فدخل حلقة عبد الله بن يشي منهم وقلب سرجه وسط جموعهم فالتقى عليه من حضر منهم، وقالوا: «ما الذي ناب مولانا؟» فقال: «جئتم لتنصروني على هذا الجبلي الذي كان خديمنا وعبدنا وأطغاه ما جمع من المال في خدمتنا ثم أراد أن يفضحنا وجرأ علينا أخونا المستضيء وأراد الاستيلاء على بلادنا وهي في الحقيقة بلادكم وما قصد إلا إهانتكم وأنتم أحق من ينصر أهل البيت ولا يتحمل العار عليكم السلام». ثم ركب فرسه ورجع عوده على بدنه فلم يبت إلا بدار الدبيخ، ومن الغد زحف أحمد الريفي إلى بلاد الحباينة ظناً منه أنهم لا زالوا مقيمين بها، فلما لم يجد بها أحداً رجع إلى محله الذي كان به، ومن الغد

كانت حرب خفيفة بينه وبين الودايا ومن لافهم من الحباينة وشراقة وأولاد جامع، ثم من الغد ركب أحمد الريفي في رماته وتقدم حتى وقف على كدية تأمزيزت فوق القنطرة وعبرت جموعه لارورات، ثم عبر المولى المستضيء في جموع العبيد وخلفوا رماتهم ومدافعيهم وأقالهم بالمحلة، وكتب المولى المستضيء كتابه وصف جنوده بذلك البسيط وزحف الودايا وأهل فاس والحباينة وشراقة وأولاد جامع، وجاءت البرير بجموعها فأشرفوا عليهم بالعين المقوبة إلى دار ابن عمرو، ولما وقعت عينهم على جموع المولى المستضيء وزفيره الريفي بذلك البسيط صاحروا بهم وشدوا عليهم شدة رجل واحد فكانت الهزيمة، واستحر فيهم القتل والسلب وازدحموا على القنطرة وتساقطوا في الوادي فهلك الكثير منهم والبرير في أثرهم يقتلون ويسلبون، وأما الريفي فإنه لما رأى الهزيمة عليه لم يزد على أن ركب فرسه ونجا برأس طمرة ولجام على الحالة التي وصفها أبو الطيب إذ قال:

لا يأمن النفس الأقصى فيدركه فيسرق النفس الأدنى ويغتنم
 ولم يعرج هؤلاء ولا أحد من المنهزمة على المحلة حتى انتهى إليها البرير فتركوا أتباع المنهزمة واشتبثلوا بنهبها فأتوا على ما فيها من الأخيبة والكراء والأثاث الفاخر، ولم يتزركوا بها إلا المدافع والمهاريس وأيتها من كور وبنب وبارود، فإن القائد أبا عزة صاحب الشريبل وقف على ذلك حتى حازه، وعاد الناس وقد امتلأت أيديهم من الغنائم، فلقائهم طوائف من البرير لم يكونوا قد شهدوا الواقعة فاستلبوا ما بأيديهم.

قال صاحب «البستان»: حدثني السلطان المرحوم سيد محمد بن عبد الله عن هذه الواقعة، وكان قد شهدتها وهو في سن البلوغ، قال: «بعثني والدي مع أخوالنا الودايا فلما هبت رياح النصر وانهزم العدو في ساعة واحدة وكانت يومئذ في خمسين فارساً بين وديانا وأصحاب تقدمنا إلى المحلة فوققنا على قبة البasha أحمد وأحرزناها، ثم أمرت الحمارة فحملوا لنا من صناديق

الريال على عشرين بغلة ومن الملف والكتان على ثلاثة جملأً لعرب بدأوة أصحاب الإبل، وحملوا لنا قيتين إحداهما لأحمد الريفي والأخرى أظنها للمولى المستضيء، وأما العرب والبربر والهدايا وأهل فاس فقد أخذت كل طائفة بناحية تحمل ما قدرت عليه، ثم لما انفصلنا عن المحلة قالقين لقيتنا كتائب من البربر الذين لم يحضرروا الوعرة وبنفس ما خالطونا طاروا بما في أيدينا حتى لم نذر أين البغال ولا الإبل، وانفرد بكل بغلة وجمل جماعة من الخيل خمسون أو ستون أو أكثر، ولم يجتمع منها اثنان وعدنا كما جئنا، وهكذا وقع لكل من انتهب شيئاً من حزينا إلا من دخل مع البربر في حصتهم، ولما فرغ الناس من النهب اشتغل عبيد السلطان بجمع الرؤوس فكان عددها ما بين أبيض وأسود نحو التسعمائة، فيها رأس البasha فاتح بن النويسي، ثم بعث السلطان المولى عبد الله البغال لجر تلك المدافع والمهاريس وحمل الكور والبنب فسيق ذلك كله إلى دار الدبيغ ثم بعث بغالاً أخرى لحمل البارود وكان ثلاثة برميل في كل واحد قنطرة من البارود الجيد فأدخل ذلك كله لخزين فاس» قال السلطان المرحوم سيدي محمد بن عبد الله في حديثه: «وكان هذا أول بعثة بعثني فيه والدي وأول حرب شهدتها وأنا يومئذ في سن البلوغ وكان لي ولوع باللعب بالرمح والمطاعنة به إلى أن مهرت فيه» أهـ كلامه.

ولما اجتاز المنهزمة بجبل الزبيب اعترضهم أهله وقاتلوهم فقتلوا في جملتهم سيدي محمد بن المستضيء يظنونه من أهل الريف، ثم خلص الريفي وأصحابه إلى طنجة بعد غصب الريفي وكان أمر هذه الوعرة فتحاً عظيماً على أمير المؤمنين المولى عبد الله وشيعته.

قال في «نشر المثاني»: «فراجع طائفة من العبيد طاعة مولاي عبد الله، وجاءته قبائل المغرب بالهدايا من كل ناحية فتألفهم وألان لهم القول، وأمر العبيد بالمسير إلى طنجة لحرب الريفي فساروا ثم رجعوا ولم يلقوا كيداً».

معاودة أحمد الريفي غزو فاس وما كان من أمره مع السلطان المولى عبد الله إلى حين مقتله

لما وصل أحمد الريفي إلى طنجة أخذ في إخلاف ما ضاع له ولقومه من خيل وسلاح وأخيبة ونحوها وجدد لجيش العبيد من ذلك ما جده لأهل الريف وأخذ في الاستعداد لمعاودة غزو فاس، وأقسم أن لا يأكل لحمًا ولا يشرب لبنًا حتى يدخل فاساً وينهباً كما انتهيا محلته.

ويبعث إلى سلطانه المولى المستضيء بماتي فرس ومائتي خباء وألف مكحلة وخمسين ألف متقال يفرغها على العبيد يتقوون بها، وضرب له موعداً يجتمعون فيه على حرب السلطان المولى عبد الله وشيعته من الودايا وأهل فاس فكان أمر الريفي فيما أفقه كما قال تعالى: «**تَبَيَّنُوا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَمْلَوْنَ**» [الأفال: 36].

ولما كان شهر جمادى الأولى من سنة ست وخمسين ومائة وألف خرج أحمد الريفي من طنجة قاصداً حضرة فاس في أكمل شقة وأحسن استعداد، ولما انتهى خبره إلى السلطان المولى عبد الله لم يسعه التخلف عن لقائه، فكتب إلى عرب الحيانة وشراقة وأولاد جامع، وكتب إلى عرب الغرب من سفيان وبني مالك وسائر شيعته يستنفرهم ويحضهم على نصرته، وفرق الراتب على العبيد والودايا وزرارة، وأخرج أهل فاس بعثهم الذي عينوه على العادة، وكتب السلطان إلى آيت أدراسن وجروان يخبرهم بعزمه على مصادمة الريفي وجمعه، ويقول لهم: «إن أردتم المال والغنيمة فتأهلاً للنهوض إلى طنجة». فخفف ناس منهم وقدم عليهم منهم ألفان من الخيول وأكثر منها رماة.

ثم خرج السلطان من فاس أواخر جمادى الأولى ونزل على وادي سبو وأقام به إلى أن عرض عساكره ورتبتها فجعل رماة عبيده ورماة أهل فاس رحى واحدة وعقد عليهم للقائد أبي عزة صاحب الشريبل، وجعل الودايا

وزرارة وأهل السوس خيلهم ورماتهم رحى واحدة وعقد عليهم لجاجبه القائد عبد الوهاب اليموري، وسار على هذه التعبية فلقيه شرافة وأولاد جامع وأولاد عيسى فجعلهم رحى واحدة وعقد عليهم للشيخ أبي العباس أحمد بن موسى الشرقي، ولما عبر وادي ورغبة لقيه أهل الغرب في جموعهم يتظرونه هنالك فباتوا معه تلك الليلة بعين قرواش ومن الغد جعلبني مالك في رحى وعقدهم عليهم لقائهم أبي سلام الجمادى، وجعل سفيان في رحى وعقد عليهم لقائهم عبد الله السفياني، وسار على هذه التعبية في ظل النصر والسعادة.

وأما المولى المستضيء في العبيد وبني حسن فإنه لما بلغه نهوض السلطان المولى عبد الله من فاس خالقه إلى مكناسة دار الملك فدخلها على حين غفلة من أهلها وعاد واتهاب، وفعل فيها بنو حسن الأفاعيل من سبي النساء والذرية وغير ذلك، ثم تدارك أهل مكناسة أمرهم وتجمعوا لمحارب عدوهم فقاتلوا بني حسن في وسط المدينة وردوهم على أعقابهم وقتلوا منهم ما لا يحصى ورجعوا منهزمين، وأما أحمد الريفي فإنه زحف إلى القصر في جموع لا تحصى من أهل الريف والفحص والجبل وأهل العرائش والقصر والخلط وطليق ويداوة وغيرهم، وأقام ينتظر سلطانه المولى المستضيء وجمعه.

ولما أبطأ عليه واتصل به خبر زحف السلطان المولى عبد الله إليه ارتحل من القصر عامداً نحوه فالتقى الجماعان عشيّة ذلك اليوم بدار العباس على وادي لكس. وقال في «نشر المثاني»: كان اللقاء بالوضع المسمى بالمنزه من أحواز القصر في رابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسين ومائة وألف.

ولما تراءى الجماعان هم جيش السلطان المولى عبد الله بالنزول، فقال السلطان رحمة الله: «لا نزول إلا على الغنية أو الهزيمة» ثم عبر إليهم في جنوده وأعجلهم على النزول وصمد إليهم في كتيبة من أخواله وعبيدة فخالط

مقدمتهم فقضوها، وكان فيها أهل الفحص ويداوة وطليق والخلط ثم ظهرت كتيبة أهل الريف التي فيها قلب العسكر وحده، وفيها الباشا أحمد بن علي، فحمل عليها السلطان حملة ثانية أحقها بالمقدمة، وتقوضت جموع الريفي من كل جانب وانهزما للحين ومرروا على وجوههم لا يلوي حميم على حميم، ومضى جيش السلطان في أثرهم يقتلون ويسلبون إلى أن جنهم الليل، وقتل الريفي في المعركة، وبقيت الأبنية والأقاليل بيد السلطان كما هي، فنزل بها بدار العباس، وعادت العساكر مساء بالغنائم ويرأس البasha أحمد بن علي الريفي، عرفه بعضهم بين القتلى فأزال رأسه وأتى به السلطان فسر به، وبعث به إلى فاس فعلن بباب المحروق، وانقضى أمر أحمد الريفي وذهبت أيامه و«كُلٌّ مِنْ عَيْنَهَا فَانَّ وَبِقُنْ وَبِيَهَ رَيْكَ ذُو لَبَقْنَ وَالْأَكْرَامَ» [الرحمن: ٢٦]. وقد خلف هذا الريفي آثاراً كثيرة بطنجة وتطاوين وأعمالها من أبنية وغيرها تشهد بعلو همته رحمة الله.

زحف السلطان المولى عبد الله إلى طنجة واستيلاؤه عليها

لما فرغ السلطان المولى عبد الله رحمة الله من أمر الريفي أصبح غادياً يوم طنجة ولما شارفها خرج إليه رجالها يحملون المصاحف على رؤوسهم والصبيان يحملون الألواح بين أيديهم مستشفعين نائبين فعفا عنهم إلا من كان من بطانة أحمد الريفي، ودخل السلطان طنجة واستولى عليها وأمر بالاحتياط على دار الريفي ومتاعه، ثم أمر الخواجا عديلاً في جماعة من تجار فاس يأخذوا ما بدار الريفي فدخلوها وتطوفوا خزائنها واستخرجوا ما فيها من مال وسلاح وسرور وكسي وملف وكتان وفرش وخرشي وأثاث يفوق الحصر، فاحصى ذلك كله وأحصى العبيد والإماء والخيل والبغال وجميع الماشية من إبل وبيقر وغنم فجيء من ذلك بشيء كثير فأعطي الماشية كلها للبرير، ثم

أطلق يد الجيش على الأمراس فانتسلوا ما فيها من قمح وشعير فأتوا عليه، ثم تتبع حاشية الريفي من عمال وكتاب وغيرهم ممن كان له به اتصال فاستصفى ما عندهم من المال والذخيرة إلى أن استوفى غرضه.

وكان هذا الريفي قد رسم مجده بطنجة وأعمالها، وعظمت ثروته لامتداد الدولة له ولأبيه بها منذ الفتح، فكان ظفر السلطان المولى عبد الله بخزائنه من باب الظفر بالكنوز القارونية، وقدمت عليه في أثناء ذلك وفود القبائل التي هنالك فعوا عنهم وأمنهم وأقام رحمه الله بطنجة أربعين يوماً وانقلب راجعاً إلى فاس مؤيداً منصوراً وبإله التوفيق.

اعتراض المولى المستضيء للسلطان المولى عبد الله وعود الكرة عليه ومقتلبني حسن

لما انهزم المولى المستضيء من مكناة بعد إيقاعه بأهلها خرج إلى حلقة بنى حسن وأقام بين أظهرهم فاتصل به خير مقتل ناصره ووزيره على أمره أحمد الريفي ففت ذلك في عضده وهد أركانه، ثم لما بلغه فتح طنجة واستيلاء السلطان عليها استائف جده وأرهف حده وأخذ في تحريض العبيد وبني حسن على تجديد البعث والنهوض لاعتراض أخيه السلطان المولى عبد الله مرجعه من طنجة، فخرج كبير بنى حسن يومئذ، وهو قاسم أبو عريف، يطوف في أحياطها ويستقر جموعها، وخرج المولى المستضيء في لمة من وجوه العبيد إلى مشرع الرملة فجهز بها عشرة آلاف فارس من عبيده، ووافاه قاسم أبو عريف بمنتها من بنى حسن، فكان مجموع الجيشين عشرين ألفاً سوى من انصاف إليهم، ثم ساروا لاعتراض السلطان، ولا علم له بهم.

وقدم المولى المستضيء أمامه الطلائع والعيون فعادوا إليه بخبر السلطان وأنه باشر تلك الليلة بدار العباس فصبه المولى المستضيء في جموعه على حين غفلة منه، فلم يرع السلطان المولى عبد الله إلا نواصي الخيل مقبلة

إليه، فعبأ جيشه على عجل، وأقام الرماة حوالي المحلة، ثم صمد إليهم في الخيل، وأنشب القتال فلم تكن إلا ساعة حتى انهزم بنو حسن ولووا الأدبار، وكانت ميمنة الجيش، وثبت المولى المستضيء والعبيد في الميسرة، فصمد إليه السلطان وصدقه القتال فهبت ريح النصر وتمنت الهزيمة على المولى المستضيء وعبيده، ومرروا على وجوههم لا يلرون على شيء، فجبرد السلطان مع القائد أبي عزة صاحب الشربل كتيبة من الخيل في أثرهم وتقدم إليهم أن لا يقتلو أحداً من العبيد وإنما يجردونهم لا غير. فلم يقتل أحد من العبيد في هذه الواقعة، واستحر القتل في بنى حسن فهلك منهم ما ينبع على الألف، وانتهت بهم أكثر من خمسة آلاف فرس ومن السلاح مثل ذلك، وهذه الواقعة هي التي خضدت شوكة بنى حسن وفلت من غربهم، ونجى المولى المستضيء في فلتهم وأقام بحلتهم يتضرر أن تدول له دولة لأنهم كانوا شيعته كأهل دكالة وأهل مراكش، وكان أخوه المولى الناصر خليفته على مراكش كما مر.

وقفل السلطان المولى عبد الله إلى فاس الجديد فاحتل بها وفرق المال على أخواله وعبيده وأسهم لأهل فاس، وأقام بدار الدبيبغ إلى أن دخلت سنة سبع وخمسين ومائة وألف فقدم عليه في شهر ربيع الثاني منها جماعة من قواد العبيد تائبين خاضعين منتصلين مما فرط منهم، فعادتهم وقال لهم: «لا كلام اليوم بيني وبينكم حتى أقطع دابر بنى حسن ومن معهم من شيعة المستضيء» ثم عفا عنهم وأعطاهم الراتب وأمرهم بالقدوم عليه إلى مكناسة بقصد غزو بنى حسن، فعادوا إلى مشروع الرملة عازمين على ذلك، وأخذ هو في الاستعداد أيضاً، ونهض من فاس في جيش العبيد والودايا وأهل فاس والحيانية وشراقة وأولاد جامع وعرب الغرب، ولما انتهى إلى مكناسة وآفاه بها عبيد مشروع الرملة في وجوههم وأهل العجل والعقد منهم فجددوا التوبة واستأنفوا البيعة بمحضر القضاة والعلماء وأعطوا صفة الطاعة من عند آخرهم، والله غالب على أمره.

نهوض السلطان المولى عبد الله
إلى بلاد الحوز وتدوينه إياها
وإجفال المولى المستضيء عنها

كان المولى المستضيء في هذه المدة مقيناً عند بني حسن كما قلنا، ولما بايع العبيد السلطان المولى عبد الله واجتمعت كالمتهم عليه خرج في طلبه وطلب شيعته من بني حسن، فسلك طريق الفج ليحول بين بني حسن والشعب فصيّبهم بسيط زبيدة وهم غارون، والمولى المستضيء بين أظهرهم، فلم ير عهم إلا الخيل تجوس خلال بيوتهم وتسوق أنعامهم وشاءهم وتنتهب أثاثهم ومتاعهم، فانقضوا في كل وجه وتفرقوا شذر مذر، وأفلت المولى المستضيء رحمه الله بجريعة الذقن، وتوزعت العساكر السبي.

وجاء بنو حسن بهرون إلى السلطان طالبين عفوه فأمر بالكف عنهم ورد عليهم سببهم وترك لهم خيلهم، ومضى إلى قبائل دكالة إذ اتصل به أن المولى المستضيء قد فر إليها، فلما نزل قصبة أبي الأعوان ونزلت عساكره أمامه بذلك البسيط من دكالة فر أهلها مع المولى المستضيء إلى التلول وزلزوا قرب دمنات، وشرعت عساكر السلطان في انتشال الحبوب من الأمراس واستخراج الدفائن من الهميل وتخريب القرى وتقطيع الأشجار، وكلما فرغت من ناحية انتقلت إلى غيرها متقلبة في ذلك البسيط نحو السنة، والسلطان مقيم بالقصبة إلى أن اكتسح أرض دكالة وتركها أنقى من الراحة ليس بها ما يأكله الطائر أو يتظلل الحائر، ثم انتقل إلى بلاد السراغنة ولما توسطها قدمت عليه وفودها ووفود سائر قبائل تلك الجبال بمؤناتهم وهداياهم فقبلهم وعفا عنهم، ثم انتقل إلى ناحية دمنات ففر أهل دكالة، والمولى المستضيء أمامه إلى جبال مسفية فتحصنا بها، وكانت مسفية قد

باياعته ودخلت في دعوته، فتقدم السلطان المولى عبد الله حتى نزل بوادي الزات فقدمت عليه هنالك عرب الرحامة وزمران وسائر أهل الحوز، وكانتوا متمسكين بطاعته، فنزلوا معه بالوادي المذكور، وعاثت العساكر في بلاد مسفية وأوسعواها نهباً وتخربياً، وال الحرب في ذلك كله قائمة مع المولى المستضيء على ساق، إلى أن صار وادي الزات أخرب من جوف حمار. ثم انتقل السلطان إلى وادي كجي فعاثت فيه العساكر على عادتها، وعجز أهل الدفاع فهدمت حصونهم وحرقت قراهم وقطعت أشجارهم، وصار وادي كجي أوحش من وادي الزات، فطلبو الأمان وأعلنوا بالطاعة، وجاؤوا مستشفعين بصبيانهم. فقال لهم السلطان: «على شرط أن تأتوا بالمستضيء» فقالوا: «إنه قد فر بالأمس ولو كان عندنا لأتبناك به» فقبلهم وعفا عنهم. ثم جاء أهل دكالة بنسائهم وذرارتهم وقالوا: «هذه نساؤنا وأولادنا لك، وأما المال فقد ذهب وما عندنا ما نقتاته فافعل بنا ما بدا لك» فعفا عنهم وأذن لهم في الرجوع إلى بلادهم. وكان ذلك أواخر سنة سبع وخمسين ومائة وألف.

ولما دخلت سنة ثمان وخمسين بعدها ارتحل عن بلاد مسفية ونزل بقصبة آلصم ياشمام الصباد زاياً وبها قدم عليه وفد مراكش كما يأتي: وأما المولى المستضيء فإنه لما فر من مسفية قدم مراكش، وحاول الدخول إليها فصده أهلها عنها ورفضوا دعوته، وأعلنوا بنصر السلطان المولى عبد الله بمرأى منه وسمع فلم يبق له حيئنة بمراكش مطعم، وكان آخره المولى الناصر قد مات يومئذ فأخرجوا إليه أثاثه فسلمه منهم وكر راجعاً إلى بلاد الفحص، فلم يزل تلفظه أرض إلى أرض إلى أن احتل بطنجة قانعاً من الغيبة بسلامة المهجنة وسيأتي تمام خبره بعد إن شاء الله.

وفادة أهل مراكش على السلطان المولى عبد الله بالصم واستخلافه ولده سيد محمد عليهم

لما طرد أهل مراكش المولى المستضيء عن بلادهم تآمروا فيما بينهم وأجمعوا الدخول في طاعة السلطان المولى عبد الله وعيتوا جماعة من وجوههم وأوفدوها عليه وهو بقصبة الصر فانتهوا إليه وقدموا بيعتهم، وأخبروه بما كان من المولى المستضيء وما عاملوه به من الصد والإبعاد فقبلهم وعفا عنهم بعد العتاب، ثم طلبوا منه هم وقبائل الحوز أجمع أن يطأ بلادهم ويدخل مصرهم فوعدهم بذلك، ولم يبرح من مكانه إلى أن وقفت عليه قبائل الديير كلها، فلما تفقد الجيش الذي خرج به من مكناة وجد أكثره قد فر ولم يبق معه من العسكر المخزني إلا النصف، وأما القبائل فلم يبق معهم منه إلا أعيانهم في الأخيبة لطول الغيبة وكثرة الحروب وقلة التزad، فلم يمكنه التقدم إلى مراكش على تلك الحال، وإنما تألفهم بأن دفع لهم ولده المولى محمدأ رحمة الله وقال لهم: «إنني استخلفتكم عليكم» فرضوا به وقرت أعينهم، فكان ذلك أول ما انغرست شجرة الدولة العلوية بمراكش حتى صارت حضرتها ودار ملكها بعد أن كانوا لا يبغون بمكناة بدلاً.

ثم بعث السلطان ولده المولى أحمد وكان أسن من المولى محمد خليفة عنه برباط الفتح، وأضاف إليه قبائل الشاوية وبني حسن، ثم أذن السلطان لعامل فاس عبد الخالق عديل في الرجوع إلى فاس فعرض بالطريق ومات بعد أن دخل فاساً ودفن بزاوية سيد عبد القادر الفاسي.

ثم رجع السلطان إلى مكناة على طريق تادلا بعد أن أقام ببلاد الحوز سنة كاملة فقدمها في شهر ربيع الثاني ستة ثمان وخمسين ومائة وألف، ولما شارف مكناة لم يدخلها ونزل بقصبة أبي فكران، فقدم عليه بها جماعة من المجاهدين أهل الريف من طنجة فوق المائة ومعهم زوجة الباشا أحمد الريفي وولداها منه. فقدمت هدية عظيمة، فقبض السلطان الهدية وقتل الولدين ومن

معها من أهل الريف، ثم قتل معهم ثلاثة من بني حسن كانوا قدموه عليه للتهنئة، فكان ذلك سبب نفرة الناس عنه، فساقت عنه الأحداث وكثرت القالة من الجيش والرعايا حتى في الأسواق، وانقبض الناس عنه حتى أهل فاس فضلاً عن غيرهم.

مكر السلطان المولى عبد الله بأعيان البربر وإخفار ذمة محمد واعزيز فيهم ثم إطلاقهم بعد ذلك

لما صدر من السلطان المولى عبد الله ما صدر من قتل أهل الريف وبني حسن وانقباض الناس عنه، انقبض في جملتهم البربر فلم يأته منهم أحد، وكانتوا قد حرثوا بأحواز مكناسة، فلما أدرك زرعهم أمر السلطان العبيد بانتهابه، فعمدوا إليه وحصدوه ودرسوه وأكلوه، فازدادت نية البربر فيه فساداً.

ولما رأى انقباضهم عنه كاتب كبيرهم محمدأً واعزيز وكانت بينهما خلة ومصافة حتى كان يقول له: «أنت أبي» إذ كان محمد واعزيز هذا هو الذي حشد له جموع البربر وشاعر على عدوه أحمد الريفي حتى قتله، فكتب إليه يلومه على انقباضه عنه وتخلف قبيله عن الحضور ببابه مع أنهم شيعته ومواليه، فلما ورد عليه كتاب السلطان لم يسعه التخلف عن إجابته، واستشار في ذلك قومه فلم يوافقوه فراجعهم، فقالوا: «ألا ترى إلى ما وقع بمن وفده عليه من غيرنا» فقال: «لا ترون إلا الخير» ولم يزل بهم حتى غلبهم على رأيهم، وتفرقوا عنه لجمع الهدية وتعيين الوفد فجمعوا من ذلك ما قدروا عليه ثم أتوا فأعادوا عليه القول وحضروه الغدر، فقال: «هذا لا يكون ولست مثل أولئك»، فما وسعهم إلا إجابته، وأتبلاه معه حتى انتهوا إلى قصبة أبي فكران حيث هو السلطان، فاجتمعوا بالحاجب أبي محمد عبد الوهاب اليموري فلما رأهم بهت، وتحركت منه الرحم البربرية لكنه لم

يمكّنه ردهم بعد بلوغهم إلى ذلك المحل، وكانوا نحو المائة، كلهم أعيان فترجلوا عن خيولهم ووضعوا أسلحتهم، ثم دخلوا على السلطان المولى عبد الله فوجدوه جالساً على كرسيه بوسط القلعة، فأدوا واجب التحية فأجابهم وأمرهم بالجلوس فجلسوا بين يديه، ثم دخل الحرس والزيانية فوقفوا على رؤوسهم وأحاطوا بهم، وأخذ السلطان في معايبتهم على ما يرتكبونه في الطرقات والغارات على المستضعفين من الأعراب وغيرهم وانتهاب بضائع التجار، وما كانوا يعاملون به عساكر الملوك من النهب والسلب، وعدد عليهم الحسائف القديمة والأفعال الذميمة، ثم أمر الحرس بالقبض عليهم فانقضوا عليهم انقضاض العقبان، ولم يكن بأسع من أن القوا بين يديه مقرنين في الحال، ولم يقبض على محمد واعزيز من بينهم، فقال له: «يا مولانا أغدراً بعد أمان ولست من أهله؟» فقال له: «إن هؤلاء القوم قد حادوا عن الدين وحل مالهم ودمهم لخروجهم عن الطاعة وشقهم عصا الجماعة وقد أعياني أمرهم وما عدت إلى هذا الأمر بعد خروجي منه إلا من أجلهم، أردت أن أقابل هذا الثيس الأسود: «يعني العبيد» بهذا الكبش الأبيض «يعني البربر» وأستريح من غصة من هلك منها وأتمسك بالآخر، ولو لا أنك بمنزلة والدي ما أطلعتك على ما في ضميري فقم في حفظ الله ولا بأس عليك» فقال محمد واعزيز: «والله لا أقوم ولا أكون إلا مع إخواني حيشما كانوا فإن هلكوا هلكت معهم ويكون لك غدرك، وإن سلموا سلمت معهم ولا يتحدث الناس أني سقطتهم إلى الذبح ورجعت أنا سالماً، فبأي وجه أسيء إلى أولادهم؟ وأي أرض تحببني من عشيرتهم؟ وعلى أين أقصد؟ فإن كان لا بد من القتل فقتلتك لي معهم أجمل بي، ولا إثم عليك في ذلك ولا عار، لأنني أنا الذي سقطتهم إليك وأرحتهم عليك بعد أن عرضوا عليّ هذا كله فلم أقبل منهم» فلما سمع السلطان هذا الكلام العالي وتمكن منه صولته الحقة جعل يتداربه ثم التفت إلى الحاجب عبد

الوهاب وقال: «يا عبد الوهاب لا خير في الرجل يقول للرجل أبة ثم لا يشفعه في جماعة من قبيلة خلوا عنهم». فسرحوم وخرجوا كأنما نشروا من القبور فركبوا خيلهم وساروا إلى حلتهم ولسان حالهم ينشد ما قاله الأعرابي الذي بال بواسطه فضريه الحجاج وسجنه ثم أطلقه:

إذا نحن جاوزنا مدينة واسط خرئنا ويلنا لا تخاف عقابا

زحف البربر إلى السلطان المولى عبد الله ببابي فكران وفراوه إلى مكتنase

لما خلس جماعة البربر إلى حلتهم أقبلوا على محمد واعزيز وعاتبوه على ما حملهم عليه من الوفادة على السلطان والقرب منه حتى جرى عليهم ما جرى، مع أنهم كانوا في غنى عن ذلك كله، وقالوا له: نحن متنا وبعثنا ولا بد لنا من الأخذ بالثار» فقال: «شأنكم وما تريدون» فخلصوا نجياً، وتفاوضوا في شأنهم إلى أن أجمع رأيهم على غزو السلطان لمضي ثلاث ومن تخلف عنها أحرقت خيمته، فقال لهم محمد واعزيز: «إياكم والطرقات ثم افعلوا ما بدا لكم» فتفرقوا للحلهم واستعدوا للحرب، وأقبلوا في اليوم الرابع يجرون الشوك والمدر فلم يرع السلطان، وهو ببابي فكران إلا الرياح قد أطلت عليه من العاجب، والخيل تسيل بها الأودية والشعاب، فلم يسعه إلا أن حمل أنقاله وأركب عياله وجعلهم أمامه مع رحي من رماة المسخرين وأردوهم رحي أخرى من الخيال، ثم تلاهم هو في موكبه وردهته رحي ثالثة من خيل العبيد جاءت من خلفه، وانحدر في بطن الوادي وتفرق الجند عن يمين الوادي ويساره وسار السلطان على هذه التعبية، وكلما دفعت خيل البربر على المسخرين من الجند أطلقوا عليهم شرقيوناً من الرصاص فيسقط منهم الأربعون والخمسون، وإذا دفعت خيلهم على رحي الخيال فكذلك، وعلى موكب السلطان فكذلك، وهكذا إلى أن دخل باب الفزدير فاحتل بمكتنase،

وذلك من العبيد في هذه الواقعة نحو الثلاثمائة، ومن البربر على ما قبل نحو الخمسمائة، وجمعوا قتلاهم فكتفونهم في أخبية العبيد إذ كانت بأيديهم ولم يرجعوا بسوى ذلك، وكانت هذه الواقعة أواسط سنة تسع وخمسين ومائة وألف.

واعلم أنه قد وقع هنا لفظ الرحي ولفظ المسخررين وغير ذلك، وهي ألقاب لطوائف من جيش هذه الدولة السعيدة فلا بد من بيان الاصطلاح في ذلك تتميماً للفائدة فنقول: إن الجيش السلطاني اليوم بهذه الدولة الشريفة ينقسم أولاً إلى ثلاثة أقسام: أصحاب ومسخررين وجيش. فأما الأصحاب فهم: طائفة من الجندي تلازم السلطان حضراً وسفراً لا يفارقهون بحال، وهم أرباب الوظائف المخزنية، منهم الكتاب الذين هم إلى نظر الوزير الأعظم، ومنهم أرباب الفراش، ومنهم القهارمة القائمون على طعام السلطان وشرابه، ومنهم أرباب الموضوع، وغير هؤلاء من يطول ذكرهم، وكل طائفة برئيسها. وأما المسخررون فهم: ملازمون للسلطان حضراً وسفراً أيضاً، و شأنهم أن يكونوا فرساناً في الغالب، وقد يكونون فيهم الرماة، وهم أهل الشوكه والغناه، وهم الموجهون في المهمات لأن عليهم المدار في الأمور المخزنية كما يقتضيه تسميتهم بالمسخررين، وإذا ركب السلطان في سفر أو نحوه انقسموا قسمين، فالعبيد منهم يكونون خلفه لأنهم الموالي، والودايا وشرافة يكونون أمامه. وأما الجيش فهو: أصل الجميع كما يقتضيه لفظه ومنه تنتخب الطوائف السابقة وهو عسكر السلطان الذي يحويه ديوانه إلا أن معظمهم يكون متفرقأ في حلله وبلاده إلا إذا أراد السلطان غزواً فيوجه على ما يحتاج إليه منه، أما الجميع أو البعض ويكون ذلك مناورة على ما هو معروف عندهم. وأما الرحي فهي: عبارة عن ألف من الجيش خيلاً أو رماة وربما زادت أو نقصت بحسب ما يتفق والله أعلم.

**شعب العبيد على السلطان المولى عبد الله
وانتقاله إلى فاس وانتقال عبيد الديوان من
مشروع الرملة إلى مكناسة**

لما وصل العبيد الذين كانوا مع السلطان المولى عبد الله بأبي فكران إلى مكناسة واجتمعوا بأخوانهم الذين كانوا هنالك تكلموا بما في أنفسهم على السلطان من الغيظ ونقثوا بما في صدورهم عليه من الإحنة، وقالوا إنه قد قال لمحمد واعزيز: «أردت أن أصدم هذا التيس الأسود بهذا الكبش الأبيض» ودرلت بيتهم هذه الكلمة وأخذت منهم كل مأخذ، وقالوا: «لم يق لنا شك في أن هذا الرجل لا غرض له إلا في هلاكتنا فانتظروا لأنفسكم أو دعوا» ثم كتبوا إلى عبيد الديوان يخبرونهم بما صدر من السلطان في جاتهم ويستشرونهم في أمره، فجاء بعض عيون السلطان من عبيد مكناسة إليه وأخبروه بما دار بين العبيد، وبما كتبوا به إلى أهل الديوان فطير السلطان بالكتابة إلى ودايا فاس الجديد يقول لهم: «إن كانت لكم حاجة بابن أختكم عبد الله فاقدموا عليه الساعة» ثم أخذ في جمع أثناءه وتنضيهه وحمل ماله وشنه وإسراح خيله وإنهاض رجله، وقال لخاسته: «غدا إن شاء الله نرجع إلى أبي فكران» فلما كان وقت العشاء وصل إلى باب الفرزدق من جيش الودايا أربعمائة فارس فأخرج إليهم السلطان أثناءه وما له وعياله، ثم ركب في خاسته وأسرروا ليتهم ولم يصيبحوا إلا بفاس الجديد فدخل السلطان داره وأمن على نفسه. وأما عبيد الديوان فإنه لما بلغهم كتاب إخواتهم الذين بمكناسة وقرؤوه قالوا: «إنه لا يجعل بنا المقام في وسطبني حسن لا تنفع إخواننا ولا ينفعوننا» فأجمعوا الرحيل والانتقال إلى مكناسة، وبعد ثلاث انتقلوا إليها وأغروا مشروع الرملة، واستراحة تلك البلاد من عيدهم لا سيما سلا وأحوازا فلأنهم كانوا قد أشجووا أهلها ولاقوا منهم عرق القرية.

ولما وصلوا إلى مكناسة نزلوا بالمدينة وبالقصبة وبالإصطبل ويريمة وبهدراش وبالرحايب التسعة فملؤوها واجتمعوا بأخوانهم واطمأن جنفهم.

ولما كان عيد الفطر من سنة تسع وخمسين ومائة وألف قدم على السلطان بفاس جماعة من قوادهم مع القاضي والفقهاء والأشراف من أهل مكناسة فحضرروا معه العيد على العادة وطلبو منه أن يرجع إلى مكناسة وتنصلوا مما بلغه عنهم واعتذرروا إليه، فوعدهم الرجوع وأعطاهم مالاً وانصرفو إلى منازلهم. ولما كانوا بالجديدة قرب مكناسة اعترضهم البرير وجرودهم وأخذوا ما معهم ولم يتركوا إلا القاضي أبي القاسم العميري على بغلته، وأصبح الوفد على باب مكناسة عراة ينظر بعضهم إلى بعض.

إجلاب محمد واعزيز على السلطان المولى عبد الله وانتقاض أهل فاس والقبائل عليه

لما رجع البرير إلى بلادهم من وقعة أبي فكران كتب كبيرهم محمد واعزيز إلى أهل فاس يتظلم من السلطان المولى عبد الله ويخبرهم بما اتفق له معه من إخفار ذمته وعزمه على الفتاك بأخوانه ويدعوهم مع ذلك إلى أن يكونوا معه يداً واحدة، فأجابوه إلى ذلك ودخلوا في حزب البرير. ثم كتب واعزيز بمثل ذلك إلى عرب الغرب من سفيان وبني مالك، وكبيرهم يومئذ حبيب المالكي، فقالوا: «نحن لكم تبع وحرينا حريركم وسلمتنا سلمكم» وانتقضت الفتوق على السلطان من كل جهة وهاجت الحرب بين الودايا وأهل فاس، وبعد أيام ورد الخبر بأن ركب الحاج قد وصل إلى تازا، وهو محصور بها، فاستغاث أهل فاس بالبرير ليأتواهم بأخوانهم، ف مجردوا منهم خمسمائة من الخيل إلى تازا، فمروا في طريقهم بغرب الحساينة فانضموا إليهم ودخلوا في حريرهم وصاروا بأجمعهم إلى تازا فخلصوا الركب الذي بها وقدموا بهم إلى فاس، فدخلوا على باب الفتوح وتسلل البرير والحساينة بالزيتون، ودخل

جماعة منهم المدينة لقضاء أغراضهم.

وفي أثناء ذلك أغار عليهم الودايا فقضوهم وقتلوا منهم كثيراً، فأمرهم السلطان أن يعلقوا رؤوسهم على سور قصبة شرافة ففعلوا، ثم بذا لأهل فاس في مراجعة طاعة السلطان فبعثوا إليه في ذلك، فأجابهم بأن يقدموا عليه فخرج إليه العلماء والashraf والأعيان، فلما مثلوا بين يديه عدد عليهم أفعالهم ووبخهم وشرط عليهم شروطاً منها أن يعطوه زرع أهل الغرب المخزون عندهم وأن يهدمو دورهم وبينوا بأنفاصها دار الدبيع، وبختاروا إحدى خصلتين إما أن يكونوا جيشاً وإما أن يكونوا ثانية، فقالوا: «نجتماع على هذا الأمر مع إخواننا ويكون الجواب». ولما رجعوا من عنده أغلقوا أبواب مدinetهم وقالوا: «لا نقبل شيئاً من ذلك كله»، وعادت الحرب جذعة وارتفعت الأسعار وعظمت الأخطار. وفي سابع ذي الحجة من سنة تسع وخمسين ومائة وألف نهب عامة فاس قفاطين المخزن التي كانت بفندق النجارين على يد الأمين الحاج الخياط عديل وأرادوا مصادرته على مال المخزن الذي عنده فاقتدي منهم ثلاثة آلاف مثقال فاطلقوه بعد القبض عليه، وكانت القفاطين ثلاثة آلاف ققطان فرقوها على رمائهم يعيدوا بها عيد الأضحى، واستمرت الحرب بينهم وبين الودايا وسائر شيعة السلطان إلى أن دخلت سنة ستين ومائة وألف.

وفي أوائل جمادى الأولى منها قدمت قبائل البرير وقبائل الغرب لمشاهدة أهل فاس على حرب السلطان، فنزل محمد واعزيز في ببرير بجبل أطغات، ونزل حبيب المالكي في أهل الغرب وطريق والخلط بدار الأضياف، وانجر الودايا بفاس الجديد والعبيد بقصبة شرافة، والسلطان بدار الدبيع، وضاق الخناق على السلطان وشيعته، ومن الغدر كحب حبيب في عريه وزحف إلى السلطان بدار الدبيع والبرير على أثره. ولما وصل إلى حزيمها بلغه أن البرير قد نهبو محلته فرجع منهزاً وعبر الوادي وتوجه إلى بلاده، وأما البرير فإنهم

لما فرغوا من محلة أهل الغرب أجلوا إلى سايس، ويقال: إن السلطان دس بالليل إلى محمد واعزيز يمال على أن يخندل عنه هذه الجموع ويفرقها، ففرقها بنهب محلة أهل الغرب وبجبيهة العير يقدي حافر الفرس، ولما انقضت هذه الجموع إلى بلادها بقي أهل فاس في القتال والحصار ستين وزاده كما سيأتي، ويعثروا في أثناء ذلك إلى المولى المستضيء المقيم بأحواز طنجة ليقدم عليهم فيبايعوه وتتجتمع كلمتهم عليه فرد رسليهم بمخ العرقوب ووعد عرقوب.

ذكر السبب الذي هاج بعث السلطان المولى عبد الله الجيوش إلى أهل الغرب ومراجعتهم طاعته

وفي سنة ستين ومائة وألف أثناء حرب الودايا لأهل فاس قدم جماعة من عرببني حسن على السلطان المولى عبد الله شاكين إليه عرب الغرب، وأنهم لما انقلبوا راجعين بجموعهم إلى بلادهم مروا بحلةبني حسن فأغاروا عليها واتهبوها، فحرکوا من السلطان ما كان كامناً في صدره عليهم، وبعث إليهم جيشاً كثيفاً من العبيد والودايا وأمرهم بالفتنه بأهل الغرب ونهب أموالهم وأن لا يغوا لم على سيد ولا لبد، فخرج الجيش يوم بلاد الغرب فنذروا به واتجفلوا أمامه عن بلادهم وتبعدهم طلاق والخلط فأرزوا إلى مدينة العرائش وتحصنتوا بسورها، فتبع الجيش آثارهم حتى نزل عليهم بها وحاصرهم ثلاثة أشهر هلكت فيها ماشيتهم جوعاً، ويعقب ذلك وردت عليهم جماعة من الودايا بأمان السلطان ومصحفه وسبحته، فعادوهم على ذلك وأخرج الجيش عنهم وخرجوا مع الودايا فقلعوا على السلطان بهدفهم فعفا عنهم، وولى عليهم كبيرهم حبيباً المالكي وأضاف إليه قبائل العجل كلها، وأما الجيش الذي كان على العرائش فإنه لما قفلوا باتوا بقصر كاتمة فضيفهم أهلهم بما قدروا عليه من الطعام والعلف ومن الغد دخلوا القصر فاستباحوه ونهبوا وسبوا وقتلوا وفعلوا الأفاعيل العظيمة، واستمروا على ذلك

ستة أيام، وكان الحادث عظيماً، وعز ذلك على الناس كلهم وتأسفوا له وكان ذلك في محرم سنة إحدى وستين ومائة وألف.

زحف البربر إلى الودايا ومظاهرة أهل فاس لهم عليهم

لما كان جمادى الثانية من سنة إحدى وستين ومائة وألف عزم السلطان المولى عبد الله على غزو البربر فخرج من فاس الجديد حتى أتى أبيا فكران فعسکر به ظناً منه أن العساكر ستقدم عليه هنالك كما هي العادة فلم يأتاه أحد، فبعث إلى العبيد يستنفرهم لغزو البربر فقالوا: «حتى يأتي الودايا والقبائل ونأتي نحن أيضاً» ولما رأى تناقل الناس عنه عاد إلى منزله وأعرض عنما كان هم به. ولما سمع البربر برجوعه عنهم طمعوا فيه وأجمعوا غزوهם فقال لهم محمد واعزيز: «الرأي أن ننزل بسايس ونحول بينه وبين العبيد حتى لا يصل إليهم ولا يصلوا إليه» فأقبلوا حتى نزلوا ببساط سايس، ثم تقدمت جموعهم حتى شارفوا مزارع فاس الجديد فأغاروا على الودايا ونهبوا ماشيتهم وزروعهم وضيقوا عليهم ثم وصلوا أيديهم بأهل فاس فدخلوا مدinetهم وتسوقوا بها فباعوا واشتروا عشرة أيام وانقلبوا إلى أهلهم فاكهين.

وفي أول رجب من السنة المذكورة ورد الخبر بأن أهل الريف قد قبضوا على المولى المستضيء المقيم ببلادهم ونهبوا خيله وأثاثه وماله وثقفوه حتى يدفعوه لأخيه المولى عبد الله لأنه كان قد اشتغل بظلم الناس بالفحص وطنجة، وقبض على القائد عبد الكري姆 بن علي الريفي وهو أخو أحمد بن علي المتقدم الذكر فأخذ ماله وسلم عينيه، وأما أهل تطاوين فلم يبايعوه ولا عرجوا عليه، وفي شعبان أحرق الودايا بباب المحروق ليلاً فقطن لهم الحرس ودافعواهم عن الباب ومن الغد ركبوا به أبواباً جدداً.

**مراجعة أهل فاس طاعة السلطان
المولى عبد الله وانعقاد الصلح
بينهم وبين الودايا**

لما طال الحصار على أهل فاس وأضطرت بهم معاداة جيرانهم من الودايا وسموا الحرب راجعوا بصائرهم وجنحوا للسلم وطاعة السلطان فاتفق أن كان عندهم رجل من أشراف تافيلالت فأرسلوه إلى السلطان واسطة بينهم وبينه، ويعثروا معه كتاباً بالاعتذار والتوبة فقبل السلطان ذلك وسر به ووقع منه الموضع، وكتب إليهم ينفي ظنونهم ويسأل سخائهم ويقسم لهم أنه لم يأمر بحرفهم ولا بإضرارهم فقط، وإنما فعل ذلك الودايا من قبل أنفسهم، فلما وصل إليهم كتاب السلطان بذلك طابت نفوسهم وفرحوا وعيتوا جماعة من فقهائهم وأشرافهم وأهل الخير منهم فأوفدواها على السلطان بمكناة في شوال من السنة المذكورة ففرح بهم وأكرمهم، وصرح لهم بالعفو والرضا عنهم، فاغبطوا بذلك، وانقلبوا إلى أهلهم فرحين مستبشرين. ثم كان الصلح بينهم وبين الودايا بضریح المولى إدريس رضي الله عنه وفتحت أبواب المدينة بعد الحصار سنتين وثلاثة أشهر، وكان ذلك في ذي القعدة من سنة إحدى وستين ومائة وألف، ولما حضر العيد قدموا على السلطان وهو بمكناة بالخبر وعادوا به خرقاً من البربر.

خروج العبيد على السلطان المولى عبد الله وبيعتهم لولده سيدى محمد والسبب في ذلك

لما راجع أهل قاس طاعة السلطان المولى عبد الله واصطلحوا مع الودايا وهدأت الفتنة ساء البرير ذلك وكرهوه، وبلغتهم مع ذلك أن السلطان قد استقر العبيد لغزورهم فاحتالوا في تفريغ الكلمة على السلطان بأن أخذوا في شن الغارات على العبيد بمحكناة والتضييق عليهم واختطاف أولادهم من الباحائر والجනات، فراسل العبيد البرير في المسألة والصلح فقالوا لهم: «إن السلطان أمرنا بهذا» فلما سمع العبيد ذلك منهم لم يشكوا في صدقهم بسبب ما كانوا أسلفوه من التقادع عن السلطان والشاقل عن النهوض معه لغزو البرير حتى عاد إلى منزله بعد المعسكة بأبي فكران كما مر، ثم اتفق رأي العبيد على الفتك بالسلطان وأغتياله، ونما إليه ذلك منهم فخرج فارزاً من محكناة إلى دار الدبيبغ فاستقر بها، وكان ذلك في صفر سنة الثنتين وستين ومائة وألف.

ولما ضاق العبيد ذرعاً بفعل البرير كاتبوا لهم في الصلح فأجابوهم إليه على شرط أن يبايعوا سيدى محمد بن عبد الله فبايعوه بمحكناة ويعثروا إليه بيعتهم وهو بمراكب مع جماعة من أعيانهم، وخطبوا به بمحكناة وزرهون والسلطان بدار الدبيبغ لا يملك من أمره شيئاً، ولما قدم وفد العبيد على سيدى محمد بن عبد الله رد بيعتهم وعاتبهم على ما ارتكبوه في حق والده وتآلفهم بشيء من المال وأعرض عن الخوض في أمر البيعة، إذ كان رحمه الله باراً بوالده ساعياً في مرضاته، وبعث إليه في صفر من هذه السنة بهدية قدرها على ما قيل ثلاثة ألف مثقال، فرجع وفد العبيد من عند سيدى محمد وقد أيسوا من إيجابته إياهم، ومع ذلك استمروا على الخطبة بمحكناة وزرهون.

ثم إن السلطان المولى عبد الله رحمة الله لما رأى أن القلوب قد نفرت عنه وأن العبيد والبرير قد امتدت عيونهم إلى ولده سيدى محمد وتعلقت آمالهم به تلافي أمره، وأخذ في استصلاح الرعية وتائفها، فأمر في شعبان من السنة المذكورة، بأن ينادى بأسواق فاس على العبيد الذين بها من لم يحضر إلى دار الدبيج لوقت كذا فلا يلومن إلا نفسه، فحضر العبيد الذين يفاس كلهم فأعطاهم خمسة دنانير لكل واحد، وقال لهم: «ابتعثوا إلى إخوانكم الذين بمكتناسة فمن أتى منهم إلى قبض مثل ما قبضتم» فكتبووا إليهم فلم يزدتهم ذلك إلا نفوراً، ويعثروا إلى البرير الذين بسايس يقولون لهم: «كل من صادفتموه منا متوجهاً إلى فاس فاقتلوه» وأعلنوا بخلع السلطان.

ثم استدعى السلطان بعد ذلك محمد واعزيز كبير البرير ووعده ومناه فقدم عليه في إخوانه في رمضان فأعطاهم عشرة آلاف دينار، وحضر العيد فقدموا عليه أيضاً فأعطاهم عشرة آلاف أخرى، وأعطى الروايايا عشرة آلاف أيضاً، وأعطى أهل فاس مثل ذلك، ولعج العبيد في نفورهم وركبوا رأسهم في جماحهم عن السلطان والقرب منه.

مجيء سيدى محمد بن عبد الله من مراكش إلى مكتناسة وتوسطه للعبيد في الصلح مع والده رحمهما الله

ثم دخلت سنة ثلاثة وستين ومائة وألف فقي أواخر جمادى الأولى منها قدم المولى محمد بن السلطان المولى عبد الله من مراكش إلى مكتناسة فوجد العبيد لا زالوا يخطبون به فعاتبهم على ذلك، وقال لهم: «إنني بريء منكم ومن فعلكم هذا وإنما أنا خديم والدي» فتركوا الخطبة وراجعوا بصائرهم وجددوا البيعة للسلطان وتلافو أمرهم في طاعته، وكانت هذه هي البيعة السابعة للعبيد مع السلطان المولى عبد الله لأنهم خلعوه قبلها ست مرات

حسبما مر الخبر عن ذلك مستوفى .

ولما تم لسيدي محمد مع العبيد ما أراد من مراجعتهم طاعة والده ارتحل من مكناة في جيشه الذي قدم به من الحوز، وكان نحو أربعة آلاف واستصحب معه جماعة من أعيان العبيد، وقدم على والده بدار الديبيغ فخرج الودايا وأهل فاس لمقاتله وفرحوا بمقدمه، ولما دخل على والده أدى التحية وأهدى إليه هدية نفيسة وشفع للعبيد عنده فشفعه فيهم، وقال له: «لا تبت هنا» فقال: «نعم يا سيدني» ولم يبت إلا برأس الماء وأصبح غاديأ إلى مراكش، ثم حضر العبيد فقدم على السلطان جماعة من جروان وبني مطير فأعطتهم عشرين ألف مثقال، وقدم عليه قواد العبيد من مكناة فلم يعطهم شيئاً.

وفي هذه السنة توفي المولى أحمد ابن السلطان المولى عبد الله بفاس ودفن بقبور الأشراف رحمه الله .

انحراف العبيد ثانية عن السلطان المولى عبد الله والتجاؤهم إلى ابنه سيدني محمد بمراكبش والسبب في ذلك

لما أعطى السلطان المولى عبد الله بني مطير وجروان عشرين ألف مثقال وحرم العبيد قامت قيامتهم وقلبو للسلطان ظهر المجن، وانتفعوا على الذهاب إلى ابنه سيدني محمد بمراكبش فقدموا عليه في ذي القعدة سنة أربع وستين ومائة وألف، وقالوا له: «إما أن تكون سلطاناً وإما أن نبايع عمك المولى المستضيء» وشكوا إليه إهمال والله جانبهم وقالوا له: «إنه أعطى البربر أعداء الدولة وحرمنا» فرضخ لهم بشيء من المال طيب به نفوسهم، وكتب لهم كتاباً إلى والله يستعطفه لهم، وانقلبوا من عنده مسروبين .

وأما السلطان المولى عبد الله فإنه لما سمع بذهب عبيد مكناسة إلى مراكش أعطى الودايا عشرة آلاف ريال، وأعطى العبيد الذين معه ثلاثة آلاف ريال، ولما قدم عبيد مكناسة على السلطان بكتاب ابنه سامحهم وأعطاهم عشرين ألف ريال وتم الصلح بينهم وبينه وعادوا إلى مكناسة مغتبطين.

وفي هذه السنة بعث سيد محمد من مراكش بهدية إلى والده مع جماعة من أصحابه فأثنى عليه خيراً ودعا له به، وفيها ورد الخبر بأن أهل تطاوين قتلوا عاملهم أبي عبد الله الحاج محمدًا تميم، ثم قدم جماعة منهم على السلطان معتذرين من قتله، فقال لهم: «أنتم وليتموه عليكم وأنتم قتلتموه فاختاروا لأنفسكم» فوقع اختيارهم على أبي عبد الله الحاج محمد بن عمر الوقاش فولاه عليهم وانصرفوا إلى بلدتهم.

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة وألف فيها قدم أهل تطاوين على السلطان المولى عبد الله لحضور عيد المولد الكري姆 وبيدهم هدية مقدارها ثلاثون ألف مثقال، وقدم يصحبتهم باشدور الإصينيول ومعه مائة ألف ريال وما يناسبها من الحرير والملف والكتان وغير ذلك بقصد فكاك أسرى جنسه، فقبض السلطان المال وقال للباشدور: «حتى تأتوا بأسرى المسلمين» وأعطى العبيد من ذلك المال ريالين لكل واحد وأعطى نساءهم مثل ذلك، وكانوا ألفين ومائتين.

ثم دخلت سنة ست وستين ومائة وألف فيها قدم عبيد مكناسة على السلطان لحضور العيد فأعطاهم عشرة آلاف ريال، وفيها نهض أهل فاس لشراء الخيل والعدة والإكثار منها.

وفيها انعقدت الشروط بين السلطان وبين جنس الإصطادوس، وهم سبع قبائل من الفلامنك، وهي إثنان وعشرون شرطًا مرجعها إلى عقد الأمانة والصلح بين الإياليتين، وأن يجعل جنس الإصطادوس فنصلاً أو أكثر بالبلد الذي يختاره من بلادنا، ويكون يعطي خط يده المسمى بالباصبورط لمن

يسافر من مراكبنا إلى جهة بلادهم، وكذلك هم أيضاً إلى غير ذلك.

وفي هذه السنة أو ما يقرب منها أغارت نصارى الجديدة على آزمور واقتحموا ضريح الشيخ أبي شعيب ليلاً وقتلوا به عدداً كثيراً من أهل آزمور نحو الخمسين، وكانت الليلة ليلة الجمعة، وعادة أهل آزمور أن يبيتوا ليلة الجمعة بضريح الشيخ المذكور، فنما ذلك إلى النصارى الذين بالجديدة فجاووا مستعدين حتى اقتحموا عليهم على حين غفلة وأطقووا المصاصي ووقع القتل حتى كان المسلمون يقتل بعضهم بعضاً ورجع النصارى عودهم على بدئهم.

وذكره لويس ماري مؤرخ الجديدة فقال ما ملخصه: «وفي ليلة الثاني عشر من نوفمبر سنة اثنين وخمسين وسبعين عشرة مائة مسيحية خرج عشرة من برتعال الجديدة وقصدوا آزمور حتى دخلوا ضريح الشيخ أبي شعيب ليلاً وقتلوا هنالك أربعين من المسلمين وقامت الهيبة بالبلد وتسابقوا إليهم على الصعب والذلول فرجع النصارى من حينهم وأدركهم المسلمون بالطريق فجرحوا بعضهم ونجوا بعد مشقة فادحة» هكذا زعم لويس وأن النصارى كانوا عشرة فقط وأهل آزمور يزعمون أنهم كانوا أكثر من ذلك بكثير والله أعلم.

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة وألف فلم يكن فيها حدث في الدولة.

ثم دخلت سنة ثمان وستين بعدها فيها توفي محمد واعزيز كبير آيت أدراسن ووازعاها الذي كانت تقف عند إشارته وتجري أمورها على مقتضى إدارته.

فتنة آيت أدراسن وكروان مع الودايا والسبب في ذلك

لما مات محمد واعزيز لم يبق بآيت أدراسن من يقوم فيها مقامه فهاجت الفتنة بينهم وبين جروان، فزحفوا إلى كروان وأوقعوا بهم فانهزمت كروان أمامهم ولجأوا إلى دار الدبيغ معتصمين بها ومستجيرين بالسلطان الذي بها، وضاق بهم رحب الفضاء وعدموا المرعى فشرعوا في بيع مواشيهם فبلغت البقرة بسوق فاس خمس أواف والشاة أوقية، فأمر السلطان المولى عبد الله الودايا بنصرتهم وأخى بينهم وبينهم، وعقد لهم حلفاً مؤكداً معهم فقاموا لحمايتيهم والدفاع عنهم، وأنشروا القتال فكانت الهزيمة على آيت أدراسن، ففرت خيلهم ومقاتلتهم وانكسرت حلتهم وقتلوا في كل وجه ومن سلم منهم لجأ إلى بلاد شرارة فاستجار بها، فكان عدد من قتل منهم بتلك الواقعة نحو الخمسمائة، وهذا سبب حلف الودايا مع جروان.

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة وألف فيها قدم على السلطان المولى عبد الله عبيد مكناسة ورغباً إليه في الذهاب معهم إليها إذ هي دار ملكه وملك أبيه من قبله فقال لهم: «كيف أذهب معكم وفي وسطكم فلان وفلان؟» لجماعة سماهم كانوا منحرفين عنه فرجع العبيد إلى منزلهم، ولما جن الليل طرقوا أولئك المسلمين وأمثالهم في رحالهم فقتلواهم إرضاء للسلطان وتطييباً لنفسه. وكان منهم القائد محمد السلاوي، والقائد سليمان بن العسري، والقائد زعبول وغيرهم».

ولما بلغ السلطان ذلك بعث إليهم بأربعين ألف مثقال راتباً وصرفهم إلى مكناسة وقال لهم: «إذا فرغت من عملِي أتيتكم».

وفي هذه السنة أيضاً قدم عليه القائد أبو عبد الله محمد الوقاش في أهل تطاوين بهدية فيها ألف ريال وبأسارى وسلح من سلع النصارى غنمتها قراصينهم، فأكرمه السلطان وأعطاه جاريتين وانقلب إلى أهله مسروراً.

وفيها قدم على السلطان أخيه المولى أبو الحسن المخلوع بدار الدبيغ

فأعطاه مالاً وأثاثاً قيمته عشرة آلاف مثقال وخيره بين تافيلات ومكتنasse، فاختار مكتنasse فأعطاه مستفاد مكتسها وجنات المخزن التي بها وأرضاً للحراثة فقدم المولى أبو الحسن مكتنasse واستوطن واغتبط بها، ولما جاء وقت إياب الحrust، وحرث، وثب عليه العبيد فقبضوا عليه وقيدوه ويعثروا به إلى السلطان مقيداً، وقالوا له: إن هذا قد أفسد علينا بلادنا فحل بيننا وبينه فسرمه ويعث به إلى سجل ماسة.

وفي هذه السنة أيضاً نهب البربر جميع ماشية الودايا وأفسدوا زروعهم وبحائرهم.

ثم دخلت سنة سبعين ومائة وألف فيها كانت بين آيت أدراسن وكروان حرب فظيعة أعاد فيها الودايا كروان فهزموا آيت أدراسن ببساط النخيله من سايس والله أعلم.

وفاة أمير المؤمنين المولى عبد الله بن إسماعيل رحمة الله

كانت وفاة أمير المؤمنين المولى عبد الله بن إسماعيل رحمة الله بدار الدبيفع يوم الخميس في السابع والعشرين من صفر الخير سنة إحدى وسبعين ومائة وألف ودفن بقبور الأشراف من فاس الجديد حيث دفن ولده المولى أحمد رحهما الله.

قال صاحب «البستان»: كان أمير المؤمنين المولى عبد الله فيه شدة وبطش ويسبهما نفرت قلوب الجناد والرعاية عنه ويفقى مهملأ بدار الدبيفع سنتين لا ياتيه أحد وبيعته في أعناق الناس وهم فارون منه لكثره ما سفك من الدماء بغير سبب ظاهر، واستمرت حالته على ذلك مدة من الشتى عشرة سنة من سنة تسعة وخمسين إلى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف رحمة الله وغفر لنا وله ولسائر المسلمين، وما مدح به هذا السلطان قول بعضهم:

عليك سلام يا ضياء العوالم
 وربا من سما عضبا على كل جاهل
 وأصبح ظل الله في الأرض ناظراً
 وربا من كساء الله منه مهابة
 ويمان له حزم وعزم وسطوة
 كفاك افتخاراً أن عزك ظاهر
 وكون سجايلاً التي فاح عرفها
 لعمري لقد ألقت إليك زمامها
 فقمت على الملك المشيد ركته
 وأخذناك رب الناس عن جمع عسكر
 ونفس علت فوق السماكين همة
 فجئت وسيل الغرب قد بلغ الزيبي
 ونار الشرور في الفجاج تأججت
 فدودخته من بعدما استنصرت به
 فاستتنا من كل طار وطارق

ويا بهجة الأشراف من آل هاشم
 وأصبح مسروراً به كل عالم
 إلى كل مسكيين بمقلة راحم
 تذلل لها رغمأً أنوف الأعاجم
 تفتت إرهاباً قلوب الضراغم
 وجودك منسي به جود حاتم
 سجايا الملوك الشم أهل المكارم
 ضروب العلا إذ كنت أحزم حازم
 تذود لديه بالقنا والصوارم
 برأي مصيب للعساكر هازم
 وعقل غني عن هداية عالم
 وأسوقه معمرة بالجرائم
 فطاب لأهل البغي هتك المحارم
 بغاث وقد طالت رعاة البهائم
 وحصتنا من كل داه وداهم

انعطاف إلى سيادة الخبر عن آخر أمر المولى المستضيء رحمة الله

قد تقدم لنا أن السلطان المولى عبد الله خرج سنة سبع وخمسين ومائة
 وألف في طلب أخيه المولى المستضيء، وأنه دوخ بلاد الحوز لأجله وشرده
 عن جبال مسفية، ولجا إلى مراكش فطرده أهلها ولما لم يجد بالحوز
 مستقرأً رجع أدراجه يقتري البلاد والقرى، ويصل حرارة التهجير ببرك السرى
 فاحتاز ببلاد دكالة ثم بتامسنا ثم ببني حسن فزهدوا فيه فتقدم إلى طنجة
 وأعمالها فاستقر بالفحص منها وطاب له المقام به، وعصف أناساً في تلك
 المدة إلى أن عدا على القائد عبد الكريم الريفي فسجنه وسلمه وأخذ ماله كما

مر، فوثب عليه أهل الريف وقبضوا عليه ونهبوا خيله ومضاربه وأثاثه وسلبوا أصحابه وامتحنوه وأوثقوه حتى يبعثوا به إلى أخيه المولى عبد الله ثم بذل لهم فسراحه، ولما خلص من المحنة كتب إلى أخيه المولى عبد الله وهو يغافل يعتذر إليه عما سلف منه ويطلب منه محلاً يستقر به فأجابه السلطان المولى عبد الله: «بانك لم تأت إلى ذنبأ ولم ترتكب في حقي عيًّا إنما كنت تطلب ملك أبيك كما كنت أطلب ملك أبي والآن فإن أردت الخمول مثلني فاقم بأصيلاً واسكن بها فهي أحسن من دار الدبيبغ التي أنا بها وأرج نفسك كما أرحتها، وإن كنت إنما تطلب الملك فشأنك ولياه فإني لا أنازعك فيه والسلام». فلما وصل إليه كتاب السلطان انتقل إلى آصيلاً واستوطنتها واعتنى بها وأصلاح ما يحتاج إلى الإصلاح منها، وأصلاح دار الخضر غيلان التي بقصبتها وسكنها سنة أربع وستين ومائة وألف، واجتمع عليه بعض لعل الطمع والشره من كان هناك فدللوه على ورق الزرع للكفار وتوسطوا له في الكلام مع بعض تجار النصارى الذين بطيئة وتعاقدوا معه على ورقه، فلتحتل ذلك التاجر إلى آصيلاً، ولما قدم عليه مركبه ورق الزرع وأدى صاحبه إلى واجبه فظهر للمولى المستضيء الريع في ذلك فشرهت نفسه وراغب في شراء الزرع وبيعه من يأتيه من التجار، وتسامع النصارى بأن الزرع يوصى من مرسى آصيلاً، فلم تمض إلا أيام قلائل حتى قدمت مراكبهم من كل وجه وعمرت العرسى وقصد الأعراب البلد بالقمح والشعير من كل فج، والمولى المستضيء يشتري منهم وبيع للنصارى، والمراكب تسقى ما قدرت عليه، فكان يحصل له الريع في ذلك مضاعفاً ربع الثمن وربع الصاكفة فحسنت حاله وأثرى وكثير تابعوه، وأخذ في شراء العدة من تطاوين وتسلیح أصحابه وتقويمهم.

واتصل خبره بالسلطان المولى عبد الله فندم على إذنه له في المقام هنالك وكتب إلى القائد أبي محمد عبد الله السفياني يأمره بالزحف إلى

المولى المستضيء وحصاره بأصيلا حتى ينفيه عنها، وكتب إلى ولده سيد محمد بمراكش يأمره أن يبعث إليه من يخرجها منها ويكون معه القائد عبد الله السفياني في خمسة من الخيول، فبعث إليه سيد محمد رفيقه وأبن عمه المولى إدريس بن المنتصر في مائة فارس، وأمره أن يستصحب معه في طريقه عبد الله السفياني في خمسة من الخيول كما رسم له والده ويضيقوا على المولى المستضيء بأصيلا حتى يخرجوه منها، فمضى المولى إدريس والسفيني حتى نزل عليه وحاصره فخرج إليهما وراود ابن أخيه المولى إدريس على الإفراج عنه وتركه وشأنه، واعتذر إليه بأن السلطان أذن له في سكناً آصيلاً وأعطيه مستفاد مرساها يتتفع به، فلم يقبل المولى إدريس منه ولم ينزل به حتى أخرجه، واستولى على ما وجد بداره من مال وأثاث وسلاح وبارود وغير ذلك، فساقه إلى عمه السلطان المولى عبد الله.

وأما المولى المستضيء فإنه لما خرج من آصيلا سار إلى فاس فنزل بضرير الشیخ أبي بکر بن العربي رضي الله عنه، وقدم ولده إلى السلطان المولى عبد الله يشكوا له ما فعل به ولده سيد محمد من تجهيز العساكر إليه ونفيه عن آصيلا، فكان من جواب السلطان أن قال له: «قل لأبيك ذلك لا سيل لي عليه، هو أعظم شوكة مني ومنك فسر إلى بلاد أبيك وجدرك وأرج نفسك من التعب والموت قريب مني ومنك». فلما بلغه كلام السلطان لم يسعه إلا التوجه إلى مدينة صفرو بعد أن ترك عياله بدار الشريف المولى التهامي بالجوطين من فاس، ونزل هو بدار الإمارة من صفرو، ولما قدم المولى إدريس بن المنتصر على السلطان بمال المولى المستضيء وأثنائه قبض السلطان البارود والسلاح ورد الباقى، وأرسل إلى عامل فاس يأمره أن يكتب إلى المولى المستضيء ليبعث وكيلًا يحوز إليه متاعه، فكتب إليه فيبعث من حاز ماله وأثنائه ودفعه إلى عياله بدار المولى التهامي. وكان المولى المستضيء لما اطمأنت به الدار بصفرو بعث إلى أعيان آيت يوسى على ما

قيل فقدموا عليه فندبهم إلى نصرته والقيام بدعوته فتخاذلوا عنه وقالوا له: «سر إلى آيت أدراسن وكروان فلان أجابوك فتحن معهم ولما لم يتم له أمر بصفرو بعث من حمل إليه عياله وأثنائه من فاس وذهب إلى سجل ماسة فاستوطنها وذلك سنة ست وستين ومائة وألف، وأعرض عن الملك وأسبابه واستمر مقيماً بها إلى أن توفي سنة ثلات وسبعين ومائة وألف رحمة الله وغفر له».^{٤٤}

**انعطاف إلى سياقة الخبر عن هؤلاء العبيد الذين
جمعهم السلطان المولى إسماعيل من لدن وفاته
إلى دولة السلطان سيدى محمد بن عبد الله**

قد تقدم لنا أن السلطان المولى إسماعيل كان قد اعنى بجمع العبيد وترتيبهم وتهذيبهم إلى أن بلغ عددهم مائة وخمسين ألفاً، وبلغوا في أيامه من العز والرفاهية وتشييد الدور والقصور وارتباط الجياد وانتخاب السلاح واقتناء الأموال وحسن الشارة والزي ما لم يبلغه غيرهم، وكان بال محللة من مشروع الرملة منهم سبعون ألفاً ما بين خيل ورماة، وكان عدد اليكشارية منهم، وهم أصحاب الباشا مساهيل، خمسة وعشرين ألفاً كلهم رماة إلا القواد منهم فإنهم كانوا أصحاب خيل، وكان يتأنوت ووجه عروس منهم خمسة آلاف يدعون قواد رؤوسهم كلهم أصحاب خيل، ويأتي العدد وهو خمسون ألفاً كانوا متفرقين في قلاع المغرب لعماراتها وحراسة الطريق وحماية التغور، وكانوا في غاية من الكفاية والwsعة لأن كل قبيلة من قبائل المغرب كانت تدفع أعشارها في قلعتها المبنية بها لمؤنة جيشها وعلف خيلها، واستمر ذلك إلى أن توفي السلطان المولى إسماعيل رحمة الله فانقطع بوفاته عن جيش القلاع المدد الذي كان به قوامهم.

ولما ولّي بنوه من بعده واتصلت الفتنة بينهم أهملوا أمر هؤلاء العبيد ولم يلتقطوا إليهم فضاعت مادتهم وتلاشى أمرهم، وانتشروا في القبائل التي كانوا

مجاورين لها للتكتسب على أنفسهم وأولادهم، ولما أعنروا تلك القلاع التي كانوا مقيمين بها امتدت إليها أيدي القبائل من العرب والبربر بالنهب والتخريب واقتلعوا أبوابها وخشبها وما واق منها وتركوها خاوية على عروشها لم يبق بها إلا الجدرات قائمة، وهكذا كان مآل محلة مشروع الرملة فإنه لما ارتحل العبيد عنها إلى مكناسة أيام السلطان المولى عبد الله خلفهم بنو حسن فيها بالنهب والتخريب، وكل من عثروا عليه متاخرًا بها نهبوه واستلبو ما معه وأخذوا كل ما تركوه مما ثقل عليهم حتى يرجعوا إليه إذ كان العبيد يظنون أنهم سيرجعون إلى مشروع الرملة، ثم تجاوزت بنو حسن ذلك إلى تخريب الدور والقصور وحمل أبوابها وخشبها إلى سلا فكانت تباع بها بالبخس، فقد كان بهذه المحلة دور وقصور ليست بالحاضرة، وكان كل قائد منهم يفتخر على نظيره ببناء أعظم من بنائه وتشيد فوق تشبيده وتنمية أحسن من تميقه وتزييقه أبدع، من تزييقه فأئن بنو حسن على ذلك كله وانتسفوه، وطمسوا أعلامه في أسرع من لحس الكلب أنفه ولم يتركوا إلا الجدرات قائمة إلا أن خربوها بعد ذلك شيئاً فشيئاً، بل صاروا يبعثرون الأرض على الدفائن التي بها فعشروا من ذلك على شيء كثیر.

ثم إن العبيد الذين رحلوا إلى مكناسة لم يصل منهم إليها إلا دون النصف إذ تفرقوا في القبائل وقت رحيلهم فكل من كان أصله من قبيلة قصدها وكل من كان له مدشر عاد إليه. ثم الذين وصلوا إلى مكناسة لم يستقر بهم قرار لقلة ذات اليد وغلاء الأسعار، وكان الوقت وقت مجاعات وفتن، فلم يبق بها إلا القرواد أهل البسار وأهل الحرف الذين يتعيشون بحرفهم، ومع ذلك فقد ضاقت بهم السكينة بها من أجل غلبة البربر الذين كانوا يغيرون عليهم ويتطخرون أولادهم من الباحائر والجحات المرة بعد المرة، فتسدل جلهم للمعاش بالقرى والقبائل ونسوا أمر الجنديه والتمرس بالقنا والقنابل، وتفرق منهم ذلك الجمود والله عاقبة الأمور.

ولما وقعت الزلزلة بمكناسة سنة تسعة وستين ومائة وألف حسبما ذكره في الأحداث هلك من العبيد فحسب نحو خمسة آلاف وهكذا لم يزالوا في

تلـاشـ وـاضـمـحـالـ وـتـنـاثـرـ وـاخـتـلـالـ إـلـىـ أـنـ كـانـ دـوـلـةـ السـلـطـانـ الـأـعـظـمـ الـمـوـلـىـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ رـحـمـهـ اللهـ فـأـدـرـكـ مـنـهـمـ صـبـابـةـ يـسـيـرـةـ وـعـصـابـةـ حـقـيرـةـ،ـ فـاعـتـنـىـ بـهـمـ وـجـمـعـهـمـ مـنـ الـقـبـائـلـ بـعـدـ الـاتـشـارـ،ـ وـأـحـيـاـ رـسـمـهـمـ بـعـدـ الـانـدـثـارـ،ـ وـأـظـهـرـهـمـ بـعـدـ الـخـمـولـ،ـ وـأـرـكـبـهـمـ الـمـسـوـمـةـ مـنـ الـخـيـولـ،ـ وـرـفـعـ لـهـمـ الـأـعـلـامـ وـالـبـنـودـ،ـ وـصـيـرـهـمـ مـنـ أـعـزـ الـجـنـودـ،ـ وـهـوـ الـذـيـ جـدـ هـذـهـ دـوـلـةـ الـإـسـمـاعـيـلـيـةـ بـعـدـ تـلـاشـيـهـاـ،ـ وـأـحـيـاـهـاـ بـعـدـ خـمـودـ جـمـرـتـهاـ وـتـمـزـيقـ حـوـاشـيـهـاـ،ـ بـحـسـنـ سـيـرـتـهـ وـيـمـنـ نـقـيـيـتـهـ رـحـمـهـ اللهـ تـعـالـىـ وـرـضـيـ عنـهـ.

وهـنـاـ اـنـتـهـىـ بـنـاـ الـكـلـامـ عـلـىـ السـادـةـ الـأـشـرـافـ أـوـلـادـ الـمـوـلـىـ إـسـمـاعـيـلـ رـحـمـ اللهـ الـجـمـيعـ بـمـنـهـ.ـ قـالـ أـكـنـسـوـسـ:ـ وـالـحـقـ الـذـيـ لـاـ شـكـ فـيـهـ أـنـ كـلـ مـنـ قـامـ مـنـهـمـ بـعـدـ بـيـعـةـ السـلـطـانـ الـمـوـلـىـ عـبـدـ اللهـ فـإـنـمـاـ هوـ ثـانـ عـلـيـهـ لـاـ إـمـامـ لـهـ وـإـنـمـاـ يـكـونـ خـبـرـهـ مـسـوـقاـ مـنـ جـمـلـةـ أـخـبـارـ دـوـلـةـ الـمـوـلـىـ عـبـدـ اللهـ.

قـلـتـ:ـ وـمـثـلـهـ يـقـالـ فـيـ السـلـطـانـ الـمـوـلـىـ أـحـمـدـ بـنـ إـسـمـاعـيـلـ فـهـوـ الـإـمـامـ الـمـعـتـبـرـ وـالـمـوـلـىـ عـبـدـ الـمـلـكـ خـارـجـ عـلـيـهـ وـقـدـ عـلـمـ مـنـ مـذـهـبـ الـأـشـعـرـيـةـ أـنـ طـرـوـ الـقـسـقـ لـاـ يـعـزـلـ الـإـمـامـ.ـ وـالـلـهـ تـعـالـىـ أـعـلـمـ وـأـحـكـمـ.

انـعـطاـفـ إـلـىـ سـيـاقـةـ الـخـبـرـ عـنـ خـلـافـةـ سـيـديـ مـحـمـدـ ابـنـ عـبـدـ اللهـ بـمـراـكـشـ مـنـ مـبـتـدـئـهـاـ إـلـىـ مـنـتـهـاهـاـ

قـدـ تـقـدـمـ لـنـاـ أـنـ السـلـطـانـ الـمـوـلـىـ عـبـدـ اللهـ كـانـ قـدـ خـرـجـ سـنـةـ سـيـعـ وـخـمـسـيـنـ وـأـلـفـ فـيـ طـلـبـ أـخـيـهـ الـمـوـلـىـ الـمـسـتـضـيـءـ إـلـىـ أـنـ شـرـدـهـ عـنـ بـلـادـ مـسـفـيـوـةـ وـأـنـهـ قـدـمـ عـلـيـهـ هـنـالـكـ أـهـلـ مـرـاـكـشـ وـرـغـبـوـ إـلـيـهـ أـنـ يـدـخـلـ حـضـرـتـهـمـ وـلـمـ يـسـاعـدـهـ الـوقـتـ،ـ فـلـمـ عـزـمـ عـلـىـ القـفـولـ إـلـىـ بـلـادـ الـغـرـبـ بـعـثـ وـلـدـ الـأـكـبـرـ الـمـوـلـىـ أـحـمـدـ إـلـىـ رـبـاطـ الـفـتـحـ نـائـيـاـ عـنـهـ بـهـاـ،ـ وـأـضـافـ إـلـيـهـ قـبـائلـ الشـاوـيـةـ وـبـنـيـ حـسـنـ،ـ وـمـاـ بـيـنـهـمـ،ـ وـبـعـثـ وـلـدـ الـأـصـغـرـ سـيـديـ مـحـمـداـ مـعـ أـهـلـ مـرـاـكـشـ نـائـيـاـ عـنـهـ فـيـهـاـ فـكـانـ ذـلـكـ أـوـلـ انـغـرـاسـ شـجـرـةـ الـمـلـكـ الـعـلـوـيـ بـمـرـاـكـشـ وـاتـخـاذـهـاـ كـرـسيـاـ لـهـمـ،ـ وـلـمـ وـصـلـ سـيـديـ مـحـمـدـ رـحـمـهـ اللهـ إـلـىـ مـرـاـكـشـ نـزـلـ بـقـصـبـتـهـاـ وـهـيـ يـوـمـذـ خـرـابـ

ليس بها إلا آثار السعديين والموحدين قبلهم، قد أخنى عليها الدهر وعشش بها الصدا واليوم فضرب بها مضاربه، ثم شرع رحمة الله في حفر أساس داره بالفضاء بعيد عن القصور الخربة بها من داخل السور، ولما رأى عرب الرحامة ذلك اتفقوا على منعه لأنهم كانوا قد ألغوا العيث في أطراف مراكش فأحبوا أن لا تكون بها دولة تكتب لهم عن ذلك، فاجتمع طائفة من غوغائهم وتقادموا إلى الخليفة سيدى محمد رحمة الله عن مراكش إلى آسفى.

وأما المولى أحمد صاحب العدويين فإنه قدم رباط الفتح ونزل بالقصبة منها وانضاف إليه عبيد القصبة واستمر خليفة بها إلى أن سمع أهل العدويين ما عامل به الرحامة خليفة مراكش فجرى هؤلاء على سنتهم واتفقوا على طرد المولى أحمد بن عبد الله عن بلادهم فتقادموا إليه بالحرب وحاصروه بالقصبة ومعه عبيد فلان الذين كانوا فيها إدالة من عهد السلطان المولى إسماعيل، وقطعوا الميرة والماء إلى أن مسهم الجهد وعضهم الحصار فطلبو الأمان أن يخرجوا بأنفسهم فأمنوهم، وخرج المولى أحمد فسار إلى أخيه سيدى محمد بآسفى فنزل عليه ثم كان آخر أمره أن توفي بفاس كما مر سنة أربع وستين ومائة وألف.

ولما خرج المولى أحمد إلى آسفى عمد أهل رباط الفتح إلى عبيد القصبة فأذلوكهم منها وفرقوكهم بالمدينة حتى لا تبقى لهم شوكة ولا عصبية. هذا ما كان من خلاة المولى أحمد.

وأما خلاة سيدى محمد فإنه لما خرج من مراكش قاصداً إلى آسفى اعتبرضته قبائل عبدة وأحمر وضيفوه ببلادهم وأهدوا إليه، وتسابقو على الخيال ولعبوا بالبارود سروراً بمقدمه وتنويعها بشأنه، وصحبوه إلى آسفى فدخلها ونزل بقصبتها ففرح أهل آسفى بمقدمه واغتبطوا به وكان مبارك الناصية أينما توجه ولما اطمأنت به الدار رفع إليه أهل آسفى هداياهم، وتبعهم على ذلك تجار النصارى واليهود وتباروا في ذلك وتنافسوا فيه وعمر سوقه عرب عبدة برجالاتهم وأعيانهم، ويدلوا له أولادهم لخدمته وأوصلوه

بكل ما قدروا عليه، وسرح للتجار وسوق السلع بالمرسى فأهرعت إليه المراكب من بور النصارى بأنواع سلعها، وقصدتها التجار بالبضائع من كل جهة يبيعون بها ويشترون، وكثرت الخيرات ونمط البركات، فاستركب واستلحق وعلا أمره وطار صيته في البلاد الحوزية، ودخل الشياطنة وحاجة في طاعته وتباروا في خدمته، فلم تمض عليه ستة أشهر حتى كان يركب في نحو الألف، فلما سمع الرحامة ما صار إليه أمر عبدة وأحرم اقتالهم من تشرفهم بولائه وتقديمهم في خدمته نفوساً ذلك عليهم وراجعوا بصائرهم فاجتمع طائفة من أعيانهم وقدموا عليه آسفـي، وقدموا بين يديهم هدية استرضوه بها. ولما دخلوا عليه اعتذروا إليه مما فرط منهم ونسدوا ذلك إلى السفهاء وأنهم لم يأمروا بشيء من ذلك ولا رضوه، وأقسموا له أن لا يبرحوا من بابه حتى يسيراً معهم إلى مراكش ولو أقاموا هنالك سنة، وأسعفهم وسار معهم وصحبه من أعيان عبدة نحو ألف فارس، وكان في موكبه من أصحابه وحاشيته نحو الخمسمائة كلام بالخيول المسومة والشارة الحسنة والشكمة التامة.

ولما انتهى إلى مراكش نزل بالقصبة وجاءه أهل مراكش بهداياهم وكذا قبائل الحوز، ثم تلاهم قبائل الدير كله بهداياهم أيضاً وجاء الرحامة بأولادهم للخدمة السلطانية منافسة لعبدة وأحرم في ذلك، وفقام في ذلك سائر أهل الحوز، وقدم عليه عبيد دكالة الذين كانوا بسلا فاجتمعوا إليه وحسنت منزلتهم عنده. ولما سمع بذلك عبيد مكناسة تسللوا إليه فرادى وأزواجاً فاستعملهم في خدمة البناء فبنوا بيوتهم وأصلحوا شؤونهم، واجتهد هذا الخليفة في بناء داره الكبرى بقصبة مراكش إلى أن أكملها وسكنها، ثم شرع في بناء ما تلاشى من أسوار القصبة وركب أبوابها وأفردها عن المدينة، ثم غرس بستانًا عظيماً متصلةً بداره الكبرى على جهة الغرب سماه النيل، وأسس قصراً آخر متصلةً بغربي هذا البستان سماه القصر الأخضر، ويسمى أيضاً المنصور، وجعل لهذا البستان أربعة أبواب في زواياه الأربع كما قبل الموجودة اليوم ثلاثة أبواب فقط وجعل له بابين آخرين أحدهما للدار الكبرى شرقاً والأخر للقصر الأخضر غرباً، وجعل في وسط هذا البستان قبة منتخبة

يتصل بها من جهاتها الأربع مماثي تمضي إلى قباب آخر منتخبة أيضاً، وطول هذا البستان ينبع على ماتي خطوة تقريباً وعرضه قريب من ذلك، وهذا القدر هو مساحة ما بين القصرين أعني الدار الكبرى والقصر الأخضر، ثم أصلح هذا الخليفة جامع المنصور الذي بالقصبة إذ كان متهدماً يومئذ، ثم أسن مسجداً آخر للخطبة بجوار قصره وهو المعروف اليوم بمسجد بريمة، وهو مسجد حافل بدبيع، ويني مدروتين لطلبة العلم بالقصبة المذكورة، ويني حماماً ببريمة، وعمر مساجد غير ذلك للأحرار والعبيد، وفرق الأموال على من انحاش إليه منهم لعمارة مساكنهم وبناء دورهم بعد أن كانت من الطين والقصب، وكتب الكتائب وجند الأجناد فاجتمع لديه من العبيد ألف وخمسمائة كلهم فارس شاكي السلاح، ومن عبده وأحمر مثل ذلك، ومن الرحامة وأهل الحوز ألف فارس كذلك.

ولما خرج العبيد بمكناسة على والده وقدموا عليه بمراکش مباعين له عاتبهم وقدم مكناسة وأصلح بينهم وبين والده كما مر.

ولما كانت سنة تسع وستين ومائة وألف غزا بلاد السوس ودخلها ومهد أقطارها وجبى أموالها وقرر الحامية بتارودانت منها، ثم سار إلى آكادير فقبض على الطالب صالح الشائر به والمستبد بما مر ساه فسجه واستصفى أمواله التي استفادها من المرسى ورتب الحامية في آكادير أيضاً، ثم إن الطالب صالح المذكور ذبح نفسه في السجن وأفضى إلى ما قدم بعد أن ترك في القطر السوسي ضيّاً وذكراً، وهو الذي يوجد طابعه على السلاح السوسي من مكحلة وسکین وخنجر إلى الآن وهو سلاح منتخب عندهم.

وقفل الخليفة سيدى محمد رحمة الله إلى مراکش مؤيداً منصوباً فمكث فيها أيامأ يسيرة ثم خرج غازياً بلاد الشاوية في السنة نفسها لما ظهر منهم من الفساد وقطع الطرق ونهب المارة، فقتل من أعيانهم عدداً وبعث الباقى في السلاسل إلى مراکش.

ثم تقدم إلى أرض سلافات برباط الفتح وخرج إليه أهلها بالمؤن

والهدايا واستبثروا بمقدمةه. وأما أهل سلا فلم يخرج إليه منهم أحد بل أغلى صاحبها عبد الحق بن عبد العزيز فتיש أبوابها في وجهه، فأعرض عنه سيدى محمد رحمه الله وتنكب المرور بسلا وعبر مشرع المجاز أسفل من العدويتين، وسار إلى قصر كاتمة من بلاد الهبط، فقدم عليه به عبيد مكناسة مع كبيرهم الباشا الزياني، وفي ذلك اليوم قتل العبيد باشام المذكور وقتلوا معه القائد يوسف السلاح لأنهما كانا يمنعانهم من القدوم عليه إلى مراكش، فولى عليهم القائد سعيد بن العياشي. ومن الغد ارتحل إلى تطاوين فتلقاءه أهلها مع قادتهم محمد بن عمر الوقاش فقبض علىه وتهدهده ثم أطلقه. ثم مضى إلى جهة سبتة حتى أشرف عليها، ثم سار منها إلى طنجة ثم كر راجعاً فمر بالعرائش ثم بسلا فلم يحصل به عبد الحق أيضاً، فطوى له سيدى محمد رحمه الله على البت. ثم سار إلى مراكش فاستقر بها مؤيداً منصراً إلى أن وافته الخلافة الكبرى بها بعد وفاة والده رحمة الله.

تم الجزء السابع

وبليه الجزء الثامن وأوله

الخبر عن دولة أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله رحمة الله

فهرس الموضوعات

| | |
|--|----|
| الخبر عن دولة الأشراف السجلماسيين من آل علي الشريف وذكر نسبهم وأوليتهم | 3 |
| دخول المولى حسن بن قاسم إلى المغرب واستطياته سجلماسة والسبب في ذلك | 4 |
| ذكر ذرية المولى حسن بن قاسم وتناسلها بالمغرب والإلمام بشيء من مناقب المولى علي الشريف | 7 |
| الخبر عن رياضة المولى الشريف بن علي وما دار بينه وبين أبي حسون السملالي المعروف بأبي دميعة | 13 |
| الخبر عن إمارة المولى محمد بن الشريف وبيعته سجلماسة والسبب في ذلك | 15 |
| استيلاء المولى محمد بن الشريف على درعة وطرده أبا حسون السملالي عنها | 16 |
| وقعة القاعة بين المولى محمد بن الشريف وأهل زاوية الدلاء وما نشأ عنها | 16 |
| استيلاء المولى محمد بن الشريف على فاس ثم رجوعه عنها | 19 |
| استيلاء المولى محمد بن الشريف على وجدة وشنة الغارات على تلمسان وأعمالها وما نشأ عن ذلك | 20 |
| مراسلة عثمان باشا صاحب الجزائر للمولى محمد بن الشريف وما دار بينهما في ذلك | 22 |
| ثورة المقدم أبي العباس الخضر غilan الجرفطي ببلاد الهبط | 27 |
| وفاة المولى الشريف بن علي رحمه الله | 28 |
| إغارة المولى محمد بن الشريف على عرب الحبيانية من أعمال فاس وما يتبع ذلك | 28 |
| قيام المولى الرشيد بن الشريف على أخيه المولى محمد ومقل الأخ | |

| | |
|---------|--|
| 29..... | المذكور رحمة الله |
| 32..... | الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى الرشيد بن الشريف رحمة الله |
| 33..... | فتح مدينة تازا ثم سجلماسة وما تخلل ذلك |
| 34..... | حصار مدينة فاس ثم فتحها والإيقاع بثوارها |
| 36..... | فتح زاوية الدلاني وتغريب أهلها إلى فاس وتلمسان وما يتبع ذلك |
| 38..... | فتح مراكش ومقتل الأمير أبي بكر الشباني وشييعته |
| 39..... | بناء قطرة وادي سبو خارج فاس. |
| 40..... | فتح تارودانت وإيليج وسائر السوس |
| 41..... | تأليف جيش شرقة وأوليائهم وشرح لقبيهم |
| 43..... | وفاة أمير المؤمنين المولى الرشيد رحمة الله |
| 45..... | الخبر عن دولة أمير المؤمنين المظفر بالله أبي النصر المولى إسماعيل ابن الشريف رحمة الله |
| 46..... | ثورة المولى أبي العباس أحمد بن محرز بن الشريف وما كان من أمره |
| 47..... | انتقاض أهل فاس وقتلهم القائد زيدان وإعلانهم بدعة ابن محرز وما نشأ عن ذلك من محاصرة السلطان لهم |
| 48..... | تجديد أمير المؤمنين المولى إسماعيل بناء مكتنasa الزيتون واتخاده إياها دار ملكه |
| 49..... | مجيء المولى أحمد بن محرز إلى مراكش واستيلاؤه عليها ونهوض السلطان إلى محاصرته بها |
| 50..... | تأليف جيش الودايا وبيان فرقهم وأوليائهم |
| 53..... | انتقاض البرير شيعة المدللين والتفافهم على أحمد بن عبد الله منهم وإيقاع السلطان بهم |
| 54..... | عود الكلام إلى بناء حضرة مكتنasa الزيتون |
| 56..... | تأليف جيش عبيد البخاري وذكر أوليائهم وشرح تسمياتهم |
| 59..... | غزو أمير المؤمنين المولى إسماعيل بلاد الشرق وانعقاد الصلح بينه وبين دولة الترك أهل الجزائر |
| 60..... | خروج الإخوة الثلاثة من أولاد المولى الشريف بن علي بالصحراء وما كان من أمرهم |

| | |
|--|-----|
| نقل زارة والشباتات إلى وجدة وبناء القلاع بالتخوم وما تخلل ذلك | ٦١ |
| فتح المهدية ومحاربة ابن محرز بالسوس وما تخلل ذلك | ٦٣ |
| امتحان القضاة والسبب فيه | ٦٦ |
| غزو البربر وبناء القلاع بإزارء معاقلهم | ٦٦ |
| فتح طنجة | ٦٧ |
| غزو البربر ثانياً وبناء القلاع في نحورهم | ٦٨ |
| مقتل المولى أحمد بن محرز وفتح تارودانت وما يتصل بذلك | ٦٨ |
| غزو برايرة فازاز وبناء قلعة آدحسان | ٧٠ |
| بيان تربية أولاد عيد الديوان وكيفية تأديبهم | ٧١ |
| فتح العرائش | ٧٣ |
| فتح آصيلا | ٧٧ |
| حصار سبتة | ٧٧ |
| غزو السلطان المولى إسماعيل برايرة فازاز وإيقاعه بهم | ٧٨ |
| أمر السلطان المولى إسماعيل علماء فاس بالكتابة على ديوان العبيد وامتناعهم منها وما نشأ عن ذلك | ٨٨ |
| تفرق المولى إسماعيل رحمة الله أعمال المغرب على أولاده وما نشأ عن ذلك | ٨٩ |
| تنازع أولاد السلطان وثورة المولى محمد العالم منهم بالسوس ومقتله | ٩٠ |
| محنة الفقيه أبي محمد عبد السلام بن حمدون جسوس رحمة الله | ٩٠ |
| ثورة المولى أبي النصر ابن السلطان بالسوس ومقتله رحمة الله | ٩٦ |
| بناء ضريحي الإمامين إدريس الأكبر والأصغر رضي الله عنهما | ٩٨ |
| وفاة أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمة الله | ٩٩ |
| بقية أخبار المولى إسماعيل رحمة الله وما ثرته وسيرته | ١٠١ |
| الخبر عن الدولة الأولى لأمير المؤمنين المولى أبي العباس أحمد بن إسماعيل المعروف بالذهبي رحمة الله | ١١٤ |
| إغارة القائد أبي العباس أحمد بن علي الريفي على تطاوين وما دار بينه وبين الفقيه أبي حفص عمر الوقاش | ١١٥ |
| الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى أبي مروان عبد الملك بن إسماعيل | |

| | |
|-----|--|
| 401 | |
| 119 | رحمه الله الخبر عن الدولة الثانية لأمير المؤمنين المولى أبي العباس أحمد الذهبي |
| 122 | رحمه الله حصار أمير المؤمنين المولى أحمد لفاس والسبب في ذلك الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى عبد الله بن إسماعيل رحمه الله حدوث النفرة بين أمير المؤمنين المولى عبد الله وأهل فاس والسبب في ذلك ذلك 129 |
| 130 | حصار المولى عبد الله مدينة فاس نهوض السلطان المولى عبد الله إلى قتال البربر وإيقاعه بهم ذكر ما صدر من السلطان المولى عبد الله من العسف المخل بالسياسة والتناقض المعغير في وجه الرياسة 133 |
| 133 | هدم السلطان المولى عبد الله مدينة الرياض من حضرة مكتنasa وma اتصل بذلك 133 |
| 135 | بعث السلطان المولى عبد الله جيش العبيد إلى فازاز وإيقاع أهله بهم ثورة العبيد على السلطان المولى عبد الله وفراره إلى وادي نول وما نشأ عن ذلك 136 |
| 137 | الخبر عن دولة أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بالأعرج رحمه الله ثورة أهل فاس بعاملهم مسعود الروسي وانتقاضهم على السلطان أبي |
| 138 | الحسن رحمه الله غزو السلطان أبي الحسن أهل جبل فازاز في جيش العبيد وهزيمتهم [ياء ...] 140 |
| 141 | تحرك السلطان المولى عبد الله من السوس وفرار السلطان أبي الحسن إلى الأحلاف وما كان من أمره إلى وفاته الخبر عن الدولة الثانية لأمير المؤمنين المولى عبد الله بن إسماعيل رحمه الله 142 |
| 143 | الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى محمد بن إسماعيل المعروف بأبي عربية والسبب فيها 143 |
| 144 | بده اختلال أمر السلطان المولى محمد بن عربية وما تسبب عن ذلك 144 |

| | |
|---|-----|
| إغارة السلطان المولى عبد الله على الإصطبل من مكناة وما نشأ عن ذلك | ١٤٤ |
| بقية أخبار السلطان المولى محمد بن عربة وما تخللها من الهرج والشدة .. | ١٤٥ |
| الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى المستضيء بن إسماعيل رحمة الله .. | ١٤٧ |
| ذكر ما صدر من السلطان المولى المستضيء من العسف والاضطراب | ١٤٨ |
| إيقاع الباشا أبي العباس أحمد بن علي الريفي بأهل طواوين | ١٥٠ |
| شغب العبيد على السلطان المولى المستضيء وفراوه إلى مراكش | ١٥٠ |
| مراجعة العبيد طاعة السلطان المولى عبد الله ودخولهم في دعوته | ١٥١ |
| مجيء السلطان المولى عبد الله إلى مكناة وما ارتكبه من أهلها | ١٥٢ |
| إيقاع أبي العباس أحمد بن علي الريفي بقبائل الغرب وما تخلل ذلك | ١٥٣ |
| شغب العبيد على السلطان المولى عبد الله وفراوه ثانية إلى البرير | ١٥٤ |
| الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى زين العابدين بن إسماعيل رحمة الله .. | ١٥٤ |
| بقية أخبار المولى زين العابدين وانقراض أمره | ١٥٥ |
| الخبر عن الدولة الثالثة لأمير المؤمنين المولى عبد الله رحمة الله .. | ١٥٦ |
| مجيء المولى المستضيء من مراكش ومحاربته لأخيه المولى عبد الله وما يتبع ذلك | ١٥٧ |
| هدية السلطان المولى عبد الله رحمة الله إلى الحرم النبوى على مشرفة أفضل الصلاة والسلام | ١٥٩ |
| مشايعة البasha أبي العباين الريفي للمولى المستضيء على المولى عبد الله وزحفه إلى فاس وما يتصل بذلك | ١٦٠ |
| معاودة أحمد الريفي غزو فاس وما كان من أمره مع السلطان المولى عبد الله إلى حين مقتله | ١٦٣ |
| زحف السلطان المولى عبد الله إلى طنجة واستيلاؤه عليها | ١٦٥ |
| اعتراض المولى المستضيء للسلطان المولى عبد الله وعد الكرة عليه ومقتل بنى حسن | ١٦٦ |
| نهوض السلطان المولى عبد الله إلى بلاد الحوز وتدويخه إليها وإجفال المولى المستضيء عنها | ١٦٨ |
| وفادة أهل مراكش على السلطان المولى عبد الله بالقسم واستخلافه ولده سيدني محمداً عليهم | ١٧٠ |

| | |
|--|-----|
| مكر السلطان المولى عبد الله بأعيان البربر وإخفار ذمة محمد وأعزيز فيهم | 203 |
| ثم اطلاقهم بعد ذلك | 171 |
| زحف البربر إلى السلطان المولى عبد الله بأبي فكران وفراره إلى مكناسة .. | 173 |
| شغب العبيد على السلطان المولى عبد الله وانتقاله إلى فاس وانتقال | |
| عبيد الديوان من مشرع الرملة إلى مكناسة | 175 |
| إجلاب محمد وأعزيز على السلطان المولى عبد الله وانتقاض أهل | |
| فاس والقبائل عليه | 176 |
| ذكر السبب الذي هاج بعث السلطان المولى عبد الله الجيوش إلى أهل | |
| الغرب ومراجعتهم طاعته | 178 |
| زحف البربر إلى الودايا ومظاهرة أهل فاس لهم عليهم | 179 |
| مراجعة أهل فاس طاعة السلطان المولى عبد الله وانعقاد الصلح بينهم | |
| وبين الودايا | 180 |
| خروج العبيد على السلطان المولى عبد الله وبيعتهم لولده سيدى محمد | |
| والسبب في ذلك | 181 |
| مجيء سيدى محمد بن عبد الله من مراكش إلى مكناسة وتوسطه للعبيد | |
| في الصلح مع والده رحمهما الله | 182 |
| انحراف العبيد ثانية عن السلطان المولى عبد الله والتجاوزهم إلى ابنه | |
| سيدى محمد بمراكش والسبب في ذلك | 183 |
| فتنة آيت آدراسن وكروان مع الودايا والسبب في ذلك | 186 |
| وفاة أمير المؤمنين المولى عبد الله بن إسماعيل رحمة الله | 187 |
| انعطاف إلى سيادة الخبر عن آخر أمر المولى المستضي رحمة الله | 188 |
| انعطاف إلى سيادة الخبر عن هؤلاء العبيد الذين جمعهم السلطان | |
| المولى إسماعيل من لدن وفاته إلى دولة السلطان سيدى محمد بن | |
| عبد الله | 191 |
| انعطاف إلى سيادة الخبر عن خلافة سيدى محمد بن عبد الله بمراكش | |
| من مبتداها إلى متها | 193 |

فهرس الأعلام والقبائل

- | حرف (ا) | |
|--|-------------------------------------|
| آل إدريس .6. | ابن حرزهم .46. |
| آل البيت .6. | ابن الخطيب .48. |
| آل علي الشريف .3. | ابن خلkan .100. |
| آيت أدراسن .67 - 80 - 136 - 158 - 160 . | ابن رشد .8. |
| آيت أثواب .68. | ابن زيان الأعور .149. |
| آيت حيون .68. | ابن شداد .37. |
| آيت شفروشن .68. | ابن الصغير .35. |
| آيت عطاء .60. | ابن عقبة .127. |
| آيت علام .68. | ابن غازى .8. |
| آيت علاهم .68. | ابن مشعل .29 - 30 - 31 - 32 - 64. |
| آيت عياش .39. | ابن ناصر .109. |
| آيت قادم .68. | ابن عاشر .110. |
| آيت ومالو .70 - 78 - 81 - 86 - 132 - 135 . | أبو إبراهيم .6. |
| آيت يسرى .78 - 80 - 132 . | أبو إسحاق بن إبراهيم المصلوحي .104. |
| آيت يف المال .78 . | أبو إسحاق إبراهيم بن هلال .5. |
| آيت يوسفى .68. | أبو البقاء العيashi .61. |
| إبراهيم عليه السلام .104 . | أبو البقاء يعيش الشاري .146. |
| إن الأشقر .117 - 115 . | أبو بكر بن عبد الكريم الشباني .38. |
| أبو بكر بن علي الفرجي .114 . | أبو بكر الثاملي .19. |
| أبو بكر الدلاني .37 . | أبو الحسن أبو الشفرة .52. |

- أبو زيد عبد الرحمن المتزارى .48 - 61.
- أبو زيد الفاسى .45 - 108.
- أبو سرحان مسعود .110.
- أبو سالم العياشى .5 - 109.
- أبو سعيد التلمسانى .31.
- أبو سلham بن كدار .27.
- أبو سلham الحمادى .164.
- أبو شعيب .185.
- أبو الصون المحجوب الحضرى .22.
- أبو الطيب المتنبى .18 - 44 - 161.
- أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي المراكشى .113.
- أبو العباس أحمد بن أبي القاسم العميري .100.
- أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الصومعى .3.
- أبو العباس أحمد بن إسماعيل الذهبي .120 - 119 - 117 - 116 - 114 - 121.
- أبو العباس أحمد بن حدو البطوئى .73.
- أبو العباس أحمد بن سعيد المكيلدى .45.
- أبو العباس أحمد بن سليمان .113.
- أبو العباس أحمد بن عاشر الحافى السلاوى .111.
- أبو العباس أحمد بن عبد الله معن الأندلسى .4 - 110.
- أبو العباس أحمد بن علي الريفى .78 - 115 - 151 - 150 - 134 - 117 - 116 - 162 - 157 - 154 - 153 - 152 - 179 - 171 - 170 - 166 - 164 - 163.
- أبو الحسن علي بن إبراهيم .70.
- أبو الحسن علي بن إدريس الجروطي .19.
- أبو الحسن علي بن إسماعيل .96 - 137 - 139 - 140 - 141 - 142 - 186 - 187.
- أبو الحسن علي بن حرزهم .39 - 43.
- أبو الحسن علي بن عبد الله الريفى .57 - 98 - 78 - 67 - 64 - 118 - 117.
- أبو الحسن علي بن محمد أبو شعرة السلاوى .110.
- أبو الحسن علي بن يشي .79 - 115 - 116 - 117.
- أبو الحسن علي السلاوى .131.
- أبو الحسن علي الشريف .7 - 8 - 9 - 11 - 12.
- أبو الحسن علي العميري .151 - 157.
- أبو حسون السملالى .13 - 14 - 15 - 16 - 40 - 28 - 12.
- أبو حفص عمر بن قاسم المراكشى - عليليش .56.
- أبو حفص عمر الوقاش .115 - 116 - 150.
- أبو حفص عمر المدنى .149.
- أبو الدشيش .96.
- أبو الربيع سليمان الزرهونى .47 - 72.
- أبو زكريا بن علي الشريف .12.
- أبو زيد عبد الرحمن بن القاضى .103.
- أبو زيد عبد الرحمن الروسى .69.
- أبو زيد عبد الرحمن الرقعي .8.
- أبو زيد عبد الرحمن الشامي .142 - 143 - 148 -

- أبو العباس أحمد بن الهادي السجلمامسي 105.
- أبو عبد الله الفاسي 38.
- أبو عبد الله اللواتي 30.
- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم العمري 9.
- أبو عبد الله محمد بن أبي حسون 40.
- أبو عبد الله محمد بن أبي العباس المرسي 103.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الفاسي 36.
- أبو عبد الله محمد بن بجة الريفي 117.
- أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاichi 38 - 39 - 48 - 69 - 54.
- أبو عبد الله محمد بن سراج 8.
- أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغيشي 4.
- أبو عبد الله محمد بن الصيحي 111.
- أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز 94.
- أبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي 45.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحسني 28.
- أبو عبد الله محمد بن عطية 52.
- أبو عبد الله محمد بن علي الفيلالي 45.
- أبو عبد الله محمد بن العياشي 57 - 62.
- أبو عبد الله محمد بن قاسم الإدريسي ابن زروق 124 - 137 - 138.
- أبو عبد الله محمد بن ناصر الدراعي 43 - 105 - 106.
- أبو العباس أحمد بن ملاوس 8 - 46.
- أبو العباس بن موسى الشرقي 164.
- أبو العباس أحمد التستاوي 111.
- أبو العباس أحمد التلمساني 48.
- أبو العباس أحمد حجي 64.
- أبو العباس أحمد السلاوي 87 - 110.
- أبو العباس أحمد الشدادي 152.
- أبو العباس أحمد الكعبي 147 - 149 - 153.
- أبو العباس أحمد البحدمي 56 - 65 - 78 - 100.
- أبو العباس الخضر غيلان 27.
- أبو العباس زين العابدين بن إسماعيل 156 - 154 - 151 - 149.
- أبو العباس التقسيس 36.
- أبو عبد الله أبو مدین 74.
- أبو عبد الله أكسوسن 65 - 81 - 88.
- أبو عبد الله الخراز 7.
- أبو عبد الله الدريدي 20 - 29 - 34 - 51.
- أبو عبد الله الصالح 111.

- أبو علي الحسن بن عبد الله العابدي .113 - 37 . أبو علي الحسن اليوسي 4 - 36 - 38 . أبو علي الروسي 91 - 95 - 96 . أبو علي حمزة 98 - 114 - 122 - 134 . أبو عمran موسى الجراوي 118 - 134 . أبو عميرة 142 . أبو عنان 142 . أبو فارس بن الربيع الغرناطي 9 . أبو القاسم بن أحمد الوشة السفياني 108 . أبو القاسم بن الحسين الغريسي 110 . أبو القاسم العميري 74 - 142 - 151 - 152 . أبو المحاسن يوسف بن علي الشريف 11 . أبو محمد بن عبد الله بن حمدون جسوس 76 . أبو محمد بن عبد الواحد البوعناني 74 . أبو محمد السفياني 189 . أبو محمد عبد السلام القادري 3 . أبو محمد عبد السلام بن مشيش 150 . أبو محمد عبد القادر بن علي الفاسي 4 . 45 - 105 - 108 . أبو محمد عبد الله أعراس 34 - 42 . أبو محمد عبد الله بن إدريس الإدريسي 123 . أبو محمد عبد الله بن طاهر الحسني 4 . 5 - 104 - 13 . أبو محمد عبد الله حجي 110 - 111 .

أبو عبد الله محمد البوعناني 39 - 106 . أبو عبد الله محمد الحاج الدلائي 16 - 39 - 37 - 35 - 36 - 20 - 19 . أبو عبد الله محمد السلاوي 130 . أبو عبد الله محمد الطيب الفاسي 79 . أبو عبد الله محمد العربي بردة 54 - 91 - 106 - 107 . أبو عبد الله محمد العياشي 16 - 19 - 27 . أبو عبد الله محمد العربي الفاسي 3 . أبو عبد الله محمد الغالي الإدريسي 158 . أبو عبد الله محمد الفشتالي 106 . أبو عبد الله محمد المرابط بن محمد ابن أبي بكر الدلائي 43 - 44 - 106 . أبو عبد الله محمد الوزاني 107 . أبو عبد الله محمد الوقاش 186 . أبو عبد الله القنطري 27 . أبو عبد الله المنساوي 92 - 93 - 159 . أبو عبد الله الوزير 79 . أبو عبد الله اليفرني 7 - 8 - 13 - 40 . 44 - 45 - 93 . أبو عبيد الشرقي 104 - 108 . أبو عثمان أحنصال 120 . أبو عثمان سعيد بن أبي بكر 112 . أبو عزبة 161 - 163 - 167 . أبو العلاء إدريس بن المهدى المشاط 126 . أبو العلاء محرز بن إسماعيل 78 . أبو علي الحسن بن رحال المعدانى 100 . 111 .

- أبو محمد عبد الله الحمرى 139 - .152
 أبو محمد عبد الله الروسي 94 - .133
 أبو محمد عبد الله الشريف الوزانى 107 - .
 أبو محمد عبد الله العرنى 108 - .
 أبو محمد عبد المعجید المشامرى 147 - .148
 أبو مروان عبد الملك بن إسماعيل 79 - .
 أبو مراد 90 - .96 - .97 - .99 - .89 - .120 - .119 - .
 أبو مدين 45 - .
 أبو مهدي السكتانى 104 - .
 أبو النصر بن إسماعيل 96 - .
 أبو يعزمي 42 - .
 أبو يعقوب يوسف بن أبي عنان 152 - .
 أبو اليمن المأمون بن إسماعيل 78 - .
 الأبيض 40 - .
 أتراك سيوط 25 - .
 الأخلاف 20 - .142 - .
 أحمد بن إدريس 47 - .
 أحمد بن حدو 64 - .
 أحمد خالد الناصري 106 - .
 أحمد بن سعيد 86 - .
 أحمد بن الشريف بن علي 12 - .69 - .60 - .
 أحمد بن صالح الليربى 35 - .
 أحمد بن الطيب الوزانى 107 - .
 أحمد بن عبد القادر التستاوى 110 - .
 أحمد بن عبد الله إسماعيل 137 - .170 - .
 أحمد بن ناصر 111 - .112 - .113 - .
 أحمد بن يوسف بن علي الشريف 11 - .
- أبو محمد عبد الله الحمرى 139 - .166 - .160
 أحمـد الدلـانـى 20 - .53
 أـحمدـ العـالـمـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ 89 - .100 - .
 أـخـمـرـ 194 - .195 - .196
 أـخـوانـ السـادـسـ 29 - .
 أـخـنسـوسـ 12 - .
 الأـدـارـسـةـ 4 - .
 إـدـرـيسـ الـأـكـبـرـ 90 - .98
 إـدـرـيسـ بـنـ إـدـرـيسـ الـحـسـنـىـ 19 - .98 - .
 إـدـرـيسـ بـنـ إـدـرـيسـ الـحـسـنـىـ 19 - .98 - .131 - .125 - .107
 إـدـرـيسـ بـنـ الـمـتـصـرـ 190 - .
 إـدـرـيسـ بـنـ الـمـهـدـىـ الـمـشـاطـ 128 - .
 الإـدـرـيسـيـونـ 4 - .
 أـرـسـطـاطـالـيـسـ 85 - .
 إـسـكـنـدرـ 85 - .
 إـسـمـاعـيلـ بـنـ الشـرـيفـ 12 - .14 - .37 - .39
 41 - .49 - .47 - .46 - .45 - .41 - .40
 51 - .50 - .59 - .58 - .57 - .56 - .55 - .54 - .53 - .52
 61 - .63 - .65 - .67 - .68 - .72 - .73 - .79
 81 - .82 - .87 - .88 - .89 - .94 - .98 - .99
 100 - .101 - .102 - .103 - .112 - .114 - .
 115 - .116 - .119 - .120 - .126 - .133 - .
 138 - .139 - .191 - .193 - .194 - .
 أـشـجـعـ 41 - .
 الأـشـرـافـ السـجـلـمـاسـيـونـ 3 - .
 الأـشـرـافـ السـعـدـيـونـ 159 - .
 الأـشـرـافـ الـعـراـقـيـونـ 149 - .
 الأـشـعـرـيـةـ 193 - .
 الأـصـبـنـيـوـلـ 39 - .63 - .77 - .93 - .98 - .
 الـاـصـطـادـوـسـ 184 - .185 - .

- أهل السوس 16 - 51 - 50 - 42 - 151 .
 أهل صفرو 33 .
 أهل طنجة 155 .
 أهل عدوة الأندلس 34 .
 أهل العدويتين 194 .
 أهل الغرب 9 - 178 - 177 - 164 - 117 .
 أهل فاس 19 - 67 - 47 - 35 - 34 - 33 .
 أهل قرطبة 98 - 96 - 95 - 91 - 90 - 79 - 77 - 69 .
 أهل تلمسان 123 - 122 - 121 - 118 - 116 - 114 - 133 - 132 - 130 - 129 - 126 - 125 .
 أهل تونس 147 - 146 - 143 - 142 - 139 - 138 .
 أهل تونس 156 - 155 - 154 - 151 - 149 - 148 .
 أهل تونس 162 - 161 - 160 - 158 - 157 - 157 .
 أهل تونس 178 - 177 - 176 - 171 - 167 - 163 .
 أهل تطاوين 184 - 183 - 182 - 181 - 180 - 179 .
 أهل الفحص 164 .
 أهل القطر السوسي 92 .
 أهل قلعة إيليق 40 .
 أهل مراكش 193 - 170 - 167 - 46 .
 أهل المغرب 97 - 58 - 54 - 33 - 17 .
 أهل المغرب الأقصى 41 .
 أهل مكتنasse 176 - 142 - 144 .
 أهل وجدة 24 .
 أولاد أبي حميد 7 .
 أولاد أبي الليف 64 .
 أولاد إسماعيل 58 .
 أولاد البشير 5 .
 أولاد بن عاقلة 5 .

الأعراب 25 .
 أعراب الشرق 30 .
 الأكاسرة 102 .
 أكسوس 193 .
 الأمين بن الرشيد العباسي 124 .
 أهل آزمور 185 .
 أهل آسفي 194 .
 أهل الأندلس 8 - 9 .
 أهل بلاد الغرب 45 .
 أهل تايوه عصام 14 - 15 .
 أهل تارودانت 69 .
 أهل تدغة 80 .
 أهل تافيلالت 64 .
 أهل تطاوين 179 - 150 - 116 - 54 - 186 - 184 .
 أهل تلمسان 24 - 41 .
 أهل الحوز 168 - 196 - 195 .
 أهل جبل فازاز 140 - 134 - 81 - 80 - 70 .
 أهل الجزائر 87 .
 أهل الدلاء 39 - 37 - 34 - 31 - 28 - 17 .
 أهل دكالة 169 - 168 - 167 - 151 - 151 .
 أهل رباط الفتح 194 .
 أهل الريف 152 - 116 - 81 - 74 - 69 .
 أهل الدلاء 179 - 171 - 170 - 165 - 163 - 162 - 162 .
 أهل زاوية الدلاء 16 - 13 - 16 .
 أهل زاوية اللحراني 12 .
 أهل الساحل 58 .
 أهل سبتة 24 - 67 .
 أهل سجلونة 5 - 46 .
 أهل سلا 64 - 197 .

- أولاد جامع ٤١ - ١٥٨ - ١٦٠ - ١٦١ - ٦٣ - ٥٣ - ٤٢ - ٤١
 .١٢٠ - ١١٨ - ١١٧ - ١١٥ - ٨٧ - ٨١
 .١٤٣ - ١٤٠ - ١٣٦ - ١٣٥ - ١٣٢ - ١٢١
 .١٥٤ - ١٥١ - ١٤٨ - ١٤٦ - ١٤٥ - ١٤٤
 .١٦٢ - ١٦١ - ١٥٨ - ١٥٧ - ١٥٦ - ١٥٥
 .١٧٣ - ١٧٢ - ١٧١ - ١٦٥
 .٦٧ - ٦٤ - ٣٩ - ٢٩ - البر تعال
 بر تعال الجديدة ١٨٥
 بكار المغفرى ٥٨
 البغشيون ١١
 بنو إبراهيم ٥
 بنو إسرائيل ٨٦
 بنو أمية ١٥٩
 بنو جروان ١٥٨
 بنو حسن ٥٧
 بنو عاصي ١٦٤ - ١٥١ - ١٤٨ - ١١٧ - ٦٣
 .١٧٥ - ١٧١ - ١٧٠ - ١٦٨ - ١٦٧ - ١٦٦
 .١٩٣ - ١٩٢ - ١٧٨
 .١٥٨ - ٨٠ - ٧٩ - ٧٠ - بنو حكم
 بنو الزبير ١٣ - ٢٨
 بنو زروان ٣٦
 بنو سنوس ٢٠ - ٢٤ - ٤١
 بنو عامر ٢١ - ٦٤ - ٥٩ - ٤١
 بنو العباس ١٠٢
 بنو مالك بن زغبة ٢١ - ١٦٣ - ١٦٤
 .١٧٦
 بنو مرين ٤٨ - ٥١ - ١٠٢
 بنو مطير ٦٨ - ١٨٣
 بنو ورلين ١١٧
 بنو يازغة ١٥٤
 بنو يزناسن ٢٠ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٦١ - ٦٢
 .٩٦ - ٦٤ - ٣٦ - ٣٥ - ٣٢ - ٢٦ - ٢٥ - ١٨ - ١٧ - البرير
- أولاد جرار ٥٠
 أولاد جرير ٥٩
 أولاد جسوس ٩٤
 أولاد دليم ٩٦
 أولاد الريفي ٦٤
 أولاد ذكري ٢٠
 أولاد طلحة ٢٣
 أولاد علي ٢٠
 أولاد عيسى ١٧ - ١٦٤
 أولاد محمد ١١
 أولاد المعتصم ٥ - ٥٩
 أولاد مطاع ٥٥
 أولاد المنزارى ٥
 أولاد النقيس ٤٧ - ٦٤ - ٦٩
- حروف (ب)**
- الباشا أحمد ١٦١
 الباشا الزياني ١٩٧
 الباشا سالم الدكالي ١٢٤
 الباشا عزوز ٤١
 الباشا غازى بن شقراء ٩٩
 الباشا مساهل ٨٠ - ١٩١
 باعزيز بن صدوق ٩٩
 بايشى القبلى ٧٠ - ٧٩
 باي مسكن ٢١
 برابرة جبل فازاز ٧٨
 برابرة صنهاجة ٣٩
 برابرة ملوبة ١٠٨
 البرير ١٧ - ١٨ - ٣٦ - ٣٥ - ٣٢ - ٢٦ - ٢٥ - ١٨ - ١٧

- .21 بنو يزيد بن زغبة.
- .23 بنو يعقوب.
- .23 بنو يطفان.
- .33 البهاليل.
- .105 البهلول.
- حرف (التاء)**
- .58 تابوت بنى إسرائيل.
- .59 - .56 - .41 - .24 - .22 - .21 - .20 - الترك.
- .61 .64 - .65 - .79 - .87 - .89 - .90 - .93 .اللهامي بن محمد الرزاني.
- حرف (الجيم)**
- .109 الجرجاني.
- .186 جروان .163 .183 .184 .الجزولي.
- .58 بجرار.
- .21 .الجعافرة.
- .106 .107 .الجعفر بن أبي طالب.
- .140 .135 .الجيش العبيد .الجيش الودايا.
- .190 .الجوطيون .4 .
- حرف (الحاء)**
- .145 .الحاج أبو جيدة برادة.
- .138 .الحاج أحمد بودي.
- .157 .الحاج أحمد السوسي.
- .177 .الحاج الخياط عديل .123 - .122 .
- .107 .الحاج العربي بن علي الرزاني .
- .112 .الحاج عمرو .
- .25 .الحاج محمد بن علي الحصري .
- .52 .الحوز .
- .62 .حيان .59 .
- .35 .حمدون المزوار .
- .97 .حمو قصارة .
- .18 .حمو بن مبارك .
- .98 .126 - .129 - .131 - .132 .حمدون بن عبد الله الرومي .54 - .90 - .96 .

- | | |
|---|--|
| .109 - 99 - 83 - 63 - 60 - 49 - 46 .102 - 56 - 24 حرف (ز) زرارة ٥٠ - ٥٢ - ٦٨ - ٦٣ - ١٦٤ - ١٦٣ - ٦٧ الزراة ١١٧ زعبول ١٨٦ زمان ١٦٨ زمور ٧٠ - ٨٠ - ٧٩ - ٧٩ زواغة ١٢٣ الزيتون ٦٩ زيدان ٥١ - ١٠٤ زيدان بن إسماعيل ٧٩ - ٨٧ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ زيدان بن منصور السعدي ١٣ زيدان العامري ٤٢ - ٤٧ حرف (س) سالم الدكالي ١٤١ - ١٤٢ السجلمايون ٤ سعد الدين التفتزاني ١٠٩ سعدون الزياتي ١٤٩ السعديون ٣ - ٤٠ - ٨١ - ١٠٢ سعيد بن الشريف ١٢ سعيد بن علي الشريف ١٢ سعيد بن العباس ١٩٧ سفيان ٥١ - ١٦٣ - ١٧٦ سقونة ٥٩ - ٦٢ سليمان بن المسرى ١٨٦ سليمان بن محمد بن عبد الله ٥٣ - ٧٩ - ١٠٢ سويد ٢١ - ٢٣ | .١٦٧ - ١٦١ - ١٦٠ - ١٥٨ - ٣٣ .١٧٧ حيدة الطويري ٥٥ حرف (خ) الخضر غilan ٣٥ - ٣٨ - ٤٧ - ٦٩ - ١٨٩ الخلط ٥١ - ٥٢ - ١٧٨ - ١٧٧ - ٦٩ - ١٨٩ خاتي بنت بكار ٥٨ - ١٢٥ - ١٣١ - ١٣٨ - ١٣٨ .١٤٨ - ١٥٢ - ١٥٤ - ١٥٨ الخطاط بن منصور ٩٦ حرف (د) دحمان المنجا ١٣١ دخيبة ٢١ - ٥٩ دكالة ٥٧ الدلايون ٢٧ - ٢٨ دليم ٥٨ دولة آل عثمان ٢٦ الدولة الإسماعيلية ٥٦ - ٦٣ - ١٩٣ دولة بنى مرین ١١ الدولة السعدية ٥١ - ٥٢ - ٥٩ - ٨٨ الدولة العلوية ١٧٠ الدولة المرتبية ٥ - ٦ حرف (ذ) ذوي منيع ٥٩ حرف (ر) راشد ٢٣ الرحامة ١٥١ - ١٩٥ - ١٩٦ الرشيد بن الشريف ١٢ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ .٣٠ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ سويد ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٥ |
|---|--|

- عائشة مباركة ٢٦ - ١٣٨ .
- الستوسي الإمام ٣٧ .
- العباس بن الشريف ١٢ .
- سيف الدولة بن حمدان ٩٣ .
- العباس بن رحال ١٥٢ .
- حرف (ش)
- عبادة بن الصامت ٩٢ .
- الشباتات ٣٨ - ٥٠ - ٥٢ - ٥١ - ٦١ - ١٦١ - ١٥٨ - ٤٢ - ٦٣ - ١٦٠ - ٤١ - ١٧٤ - ١٦٧ - ١٦٤ - ١٦٣ .
- عبدة ١٥١ - ١٩٥ - ١٩٦ .
- شرفاء تأفيلات ٤ .
- عبد الحق بن أبي سعيد المربني ٢٤ .
- الشريف بن علي الشريف ١٢ - ١٣ - ١٤ - ٩٠ - ١٦ - ١٥ .
- عبد الحق بن عبد العزيز فقيش ١٩٧ .
- عبد الخالق بن عبد الله الروسي ٩٠ .
- عبد الخالق بن يوسف ٩٧ .
- شعشاع البازغى ١٤٧ .
- عبد الخالق عديل ١٤٥ - ١٥٢ - ١٥٨ - ١٧٠ .
- الشياطنة ١٩٥ .
- عبد الرحمن أبو البركات ٧ .
- الشيخ بن المنصور السعدي ٧٣ .
- عبد الرحمن بن هشام ٥٣ .
- الشيخ المجذوب ٤٩ - ١٠٠ .
- عبد الرحمن بن يوسف الشريف ١٢ .
- حرف (ص)
- عبد الرحمن الخطاط ٩٦ .
- الصبح ٨٠ .
- عبد الرحمن المجدوب ١١٣ .
- صحيف البخاري ٥٨ .
- عبد السلام بن مشيش ١٠٧ .
- صدقة ٤٢ .
- عبد السلام بن حمدون جسوس ٩٥ .
- القصليون ٤ .
- عبد الكريم الريفي ١٧٩ - ١٨٨ .
- صنهاجة ٦٦ .
- عبد الكريم الابريني ١٩ .
- الصياني ٨٨ .
- عبد الله آعراس ٥٠ .
- حروف (ط)
- عبد الله الأشتر ٣ .
- طاغية البرتغال ٢٩ .
- عبد الله بن إسماعيل ٥٨ - ١٢٥ - ١٢٨ - ١٢٩ .
- طاغية التجلير ٢٩ .
- ١٣٥ - ١٣٤ - ١٣٣ - ١٣٢ - ١٣٠ - ١٣١ .
- الطالب الصالح ١٩٦ .
- ١٤٤ - ١٤٣ - ١٤٢ - ١٤١ - ١٤٠ - ١٣٦ .
- طاهرة العربية ١٢ .
- ١٥٢ - ١٥١ - ١٥٠ - ١٤٩ - ١٤٦ - ١٤٥ .
- طليق ١٧٨ - ١٧٧ .
- ١٥٩ - ١٥٨ - ١٥٧ - ١٥٦ - ١٥٥ - ١٥٤ .
- الطيب بن محمد الوزاني ١٠٧ - ١٢١ .
- ١٦٨ - ١٦٦ - ١٦٥ - ١٦٣ - ١٦٢ - ١٦٠ .
- الطيب بن يوسف بن علي الشريف ١١ .
- ١٧٦ - ١٧٥ - ١٧٢ - ١٧١ - ١٧٠ - ١٦٩ .
- حروف (ع)
- ١٨٤ - ١٨٣ - ١٨٢ - ١٨١ - ١٧٩ - ١٧٨ .
- ١٩٣ - ١٩٢ - ١٨٩ - ١٨٨ - ١٨٧ - ١٨٦ .

- عبد الله بن الأشقر 139 .

عبد الله بن حامد 111 .

عبد الله بن حمدون الروسي 53 - 54 - 98 - 96 .

عبد الله بن محمد بن علي الشريف 11 .

عبد الله السفياني 164 - 160 .

عبد الله الشفري 25 .

عبد الملك بن أبي شفرة 135 .

عبد القادر الفاسي 107 - 170 .

عبد المؤمن بن علي 159 .

عبد مناف بن قصي 126 .

عبد النبي بن عبد الله الروسي 131 .

عبد الواحد بن يوسف بن علي الشريف 11 .

عبد الواحد أبو الغيث 11 .

عبد الواحد تير 132 .

عبد الوهاب اليموري 164 - 172 - 171 .

العبيدي 62 - 63 - 89 - 81 - 72 - 71 - 68 - 119 - 117 - 114 - 101 - 96 - 94 - 136 - 135 - 125 - 123 - 122 - 121 - 148 - 147 - 143 - 142 - 141 - 140 - 157 - 156 - 155 - 154 - 152 - 150 - 166 - 163 - 162 - 161 - 160 - 158 - 174 - 173 - 172 - 171 - 168 - 167 - 182 - 181 - 179 - 178 - 177 - 175 - 196 - 192 - 191 - 183 .

عبد أهل دكالة 70 - 195 .

عبد البخاري 58 - 71 .

عبد الدبور 119 - 125 .

عبد السوس 64 .

عبد الشاوية 70 .

عياد القصة 194 .

عياد المخزن 57 .

عياد مكتامة 175 - 186 - 195 .

العيديون 102 .

عثمان باشا 22 .

عثمان باي 89 .

ال العراقيون 4 .

العرب 18 - 25 - 26 - 32 - 42 - 58 - 59 - 87 .

عرب آنکاد 30 - 41 .

عرب بادية تلمسان 41 .

عرب الأحلاف 29 ، 141 .

عرب جشم 51 .

عرب العارث 21 .

عرب الحباينة 28 - 33 - 117 - 153 .

عرب الخلط 19 .

عرب الرحامة 168 - 194 .

عرب زرارة 61 .

عرب السوس 46 - 96 .

عرب عبدة 124 .

عرب الغرب 163 - 167 - 176 - 178 .

عرب معقل 20 - 50 - 51 - 53 .

العسكر البخاري 58 - 71 - 114 - 120 .

عسكر العبيدي 123 .

عقبة بن نافع 159 .

العقيد 36 .

العكاكرة 77 .

علي بن أبي طالب 4 - 83 - 85 - 92 .

علي بن أحمد الوزاني 107 .

علي بن بركات 80 - 81 .

- علي بن طاهر الحسني .5.
 - علي بن محمد الشريف .11.
 - علي بن يشي ٨٠ - ٨١ - ٨٦ - ١٣٣.
 - علي الشريف ٧ - ١٢.
 - علي المثنى .12.
 - عليش ٥٧ - ٩٤.
 - العمارنة ٢٠.
 - عمر بن حدو البطوئي ٥٥ - ٦٤.
 - عمر بن الخطاب ٥ - ٨٥ - ١٢٧.
 - العمور .٥٩.
 - عياض القاضي .١٢.
 - حرف (غ)**
 - غريس .٨٠.
 - غانم الحاجي ١٣٩ - ١٤٩.
 - الفرناتي .٦٩.
 - الغزال .٧٨.
 - حرف (ف)**
 - فاتح بن النويسي ١٦٠ - ١٦٢.
 - الفراعنة .١٠٢.
 - الفرس .١٠٢.
 - الفرنج .١٤٨.
 - فركلة .٨٠.
 - الفرنسيس .٩٣.
 - вшالة .٤٢.
 - فضيل بن علي الشريف .١٢.
 - الفلامينك .١٨٤.
 - حرف (ق)**
 - القادي .٦٦.
 - قاسم أبو عريف .١٦٦.
- قاسم بن أحمد بوعسرية - ابن اللوشة .١٠٥.
 - قاسم بن محمد .٦.
 - قاسم بن محمد بن علي الشريف .١١.
 - قاسم بن ويسون .١٣٥.
 - قبائل الأحلاف .٦٢.
 - قبائل البربر .٣٥ - ٦٠ - ٦٨.
 - قبائل تامستا .٥٧.
 - قبيلة بداؤة .١٤٦.
 - قبائل الحوز .٥٣ - ٥٦ - ١٩٥ - ١٥١ - ١٥١.
 - قبائل الدير .٥٦ - ١٩٥.
 - قبائل دكالة .١٦٨.
 - قبائل الشاوية .١٧٠ - ١٩٣.
 - قبائل عبدة .١٩٤.
 - قبائل الغرب .٥٣ - ٥٧ - ١٧٧ - ١٥٣ - ١٥٣.
 - قبائل معقل .٥٨.
 - قبائل المغرب .٤٩ - ٥٢ - ١٦٢.
 - قبيلة حجاوة .١٣٤.
 - حرف (ك)**
 - كارلوس السادس .٢٩.
 - الكبير بن الشريف .١٢.
 - كروم الحاج .٦١.
 - كتناش الكبير الإسماعيلي .٨٨.
 - حرف (ل)**
 - المطيون .٣٥ - ١٣٨.
 - لويز الرابع عشر .٧٣.
 - لويز مارية .١٨٥.
 - حرف (م)**
 - مالك الإمام .٤٤.

- المأمون السعدي ٧٧ - ٧٩ - ١٠٧.
 المأمون الكبير ٨٩.
 مبارك بن علي الشريف ١٢.
 المجدوب العلوج ١١٤.
 محرز بن الشريف ١٢ - ١٠٠.
 محرز بن علي المثنى ١٢ - ٥٣.
 محمد بن إبراهيم المحاصي ١١٢ - ١١٣.
 محمد بن إسماعيل ٦٩ - ٩١ - ١٤٢.
 محمد بن إسماعيل ٩٣ - ٩٩ - ١٤٣.
 محمد الأشهب ١٣٣.
 محمد بن الحسن ٨٦.
 محمد بن سليمان ١٩.
 محمد بن الشريف ٧ - ١٤ - ١٢ - ١١ - ١٥ - ٢٢ - ٢١ - ٢٠ - ١٩ - ١٧ - ١٦ - ١٥.
 محمد بن الطيب القادري ١٤٧.
 محمد بن عبد الله ٥٢ - ٥٩ - ١٠٢ - ١٠١.
 محمد بن مرمودة ١٣١ - ١٣٧ - ١٦١ - ١٧٠ - ١٨١ - ١٨٢.
 محمد بن المزوار ١٨٣ - ١٨٤ - ١٩٣ - ١٩٢ - ١٩٤.
 محمد بن صالح ١٩٧.
 محمد بن عربية ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٧ - ١٤٨.
 محمد بن يشي الزموري ١١٨ - ١٤٩.
 محمد بن علي بن ميشي ١٣٤ - ١٣٥ - ١٤٢.
 محمد بن علي المثنى ١٢.
 محمد بن عمر الوقاش ١٩٧.
 محمد بن المستضيء ١٦٢.
 محمد بن المنفضل ١٠٨.
 محمد بن يوسف بن علي الشريف ١٢.
 محمد الحاج الدلائي ١٠٤.
 محمد الشيخ السعدي ٥١.
- الملحق ٥٨.
 معقل ٥١.
 مفتر الشيخ ١٧.
- المسعود الرؤسي ٩٧ - ١٣٨ - ١٣٩.
 مصطفى بن محمد العثماني ٨٧ - ٩٠.
 المعتصم بن الرشيد ٧٢.
- المستضيء ١٤٩ - ١٤٨ - ١٤٧ - ١١٨.
 المستضيء ١٥٧ - ١٥٦ - ١٥٤ - ١٥٢ - ١٥١ - ١٥٠.
 المستضيء ١٦٤ - ١٦٣ - ١٦٢ - ١٦١ - ١٦٠ - ١٥٨.
 المستضيء ١٧٨ - ١٧٠ - ١٦٩ - ١٦٨ - ١٦٧ - ١٦٦.
 المستضيء ١٩٠ - ١٨٩ - ١٨٨ - ١٨٣ - ١٧٩.
- المرابطون ١١ - ١٢ - ١٠٢.
 المرانيون ١٢.
 مرجان ١١٧.
 مرمودة ١١٧.
 المزوار ٣٨.
 صالح ٨١.
- المخزن ١١٧ - ١٢٢ - ١٧٧.
 مدینة ٦٨.
- المحميون ٤.
 المحذفون ٢١ - ٢٣.
 محمد واعزيز ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٥ - ١٧٥.
 محمد العالم بن إسماعيل ٩٢ - ٩٠ - ٩٩ - ٩٣.
 محمد الصغير بن محمد الشريف ٣١ - ٣١.
 محمد الصالح الشرقي ١١٤.
 محمد السلاوي ١٨٦.
 محمد زيدان بن إسماعيل ٧٨.

- 143 - 142 - 141 - 139 - 134 - 125 . 137 - 58 - 50 - 51 . المغافرة ١٤
 - 154 - 153 - 152 - 151 - 148 - 145 . مكتنasse ١٢٣
 - 162 - 161 - 158 - 157 - 156 - 155 . المليشي ١٥٢
 - 177 - 176 - 174 - 167 - 164 - 163 . المنجور ١٠٤
 - 183 - 182 - 181 - 180 - 179 - 178 . المتصر السعدي ٩٩
 - 187 - 186 - 184 . المنصور السعدي ٥٢ - ٥٦ - ٥١ .
 - ودايا فاس الجديد ١٧٥ . ٨٨ - ٩٩ - ٥١ - ٥٦ - ٥٢ - ٨٨ .
 - ودي ٥١ - ٥٨ . منويل القشتيلي ٩٩
 - الوطاسيون ٦٤ . المهاية ٥٩ - ٦٢
 - وقة فازاز ٨٦ . المهدي بن إسماعيل ١٣٩
 - ولد الصحراوي ٩٦ . المهدى بن الشريف ١٢ - ١٤
 - ولد مامي ١٤٩ . الموحدون ٤٨ - ١٠٢ - ١٩٣
 - الوليد بن إسماعيل ١٤٥ . موسى بن يوسف ٦٠
- (ح) حرف (ه)**
- اليمحمدي ٧٩ . الناصر بن إسماعيل ١٥١ - ١٦٧ - ١٦٩
 - يختلف ٥٣ . النجليز ٦٧ - ٩٣
 - اليديني ١٢٣ . النصاري ٥٥ - ٦٣ - ٦٧ - ٧٤ - ٧٣ - ٦٥ - ٧٤ - ١٨٩ - ٧٧
 - يزيد بن محمد بن عبد الله ٥٩ . نصارى الجديدة ١٨٥
 - يعقوب بن عبد الحق المريني ٥ . نصارى طنجة ٦١
 - يملح بن مشيش ١٠٧ . نصارى العرائش ٧٣
 - يوسف عليه السلام ١٠٠ .
 - يوسف بن أبي عثمان آختصال ١٢٠ .
 - يوسف بن تاسفين ٧٠ .
 - يوسف بن الشريف ١٢ - ٨٩ - ١٤٨ .
 - يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني ٦٢ .
 - اليوسفي ٨١ - ٨٨ - ١٠٦ . هاشم بن الشريف ١٢ - ٦٠
 - اليونان ١٠٢ . هاشم بن علي العثني ١٢ - ٤١ . هوارة ٤١
- (و) حرف (و)**
- الodiaia ١٤ - ١١٤ - ١١٨ - ١٢٣ - ٥١ - ٨١ - ١٤ .

فهرس الأماكن

حرف (ا)

- أفريقيا .102
- أقصى السوس .9
- أكادير .196
- الأندلس .9 - 72 - 158 .
- إنطاكية .102

حرف (ب)

- باب البطيوي .134
- باب بني مسافر .132
- باب الجيسة .132 - 146 .
- باب الجديد .126 - 132 .
- باب الريح .152 - 153 .
- باب الفتوح .33 - 132 - 126 - 138 .
- باب موصدة .176
- باب الفزدير .175
- باب القصبة .148
- باب المحروق .132 - 149 - 165 - 179 .
- باب مصمودة .146
- باب منصور العلج .133
- البحيرة .51
- البرج الجديد .41
- بريمة .34 - 175 .
- البديع .102

حرف (ج)

- آبار السلطان .43
- آزغار .52
- آزمور .185
- آركو .70
- آسرير .17
- آسفي .194 - 195 .
- آيت أدراسن .190
- آيت يوسفي .190
- آعيليل .80 - 68 .
- أبو فكران .175 - 176 - 179 - 181 .
- أبو مزورة .36
- أدحسان .58 - 81 - 87 .
- أرض الحجاز .4
- أرض سلا .197
- أرض الغرب .24
- أرض المغرب .48 - 97 .
- أوروبا .93
- الإسكندرية .102
- أشبورن .39
- اصطنبول .87
- أصيلا .27 - 35 - 38 - 77 - 189 - 190 .

- بلاد مسفيرة .193
 بلاد المغرب .105 - 101 - 93 - 60
 بلاد ملوكية .68
 بلاد الهايبط .197 - 115 - 57 - 27
 بلاد قسطنطية .23
 بوطنواط .68
- حرف (ت)**
- تابوعصامت .31
 تادلا .50 - 51 - 53 - 80 - 89 - 97 - 100
 - 142 - 141 - 136 - 133 - 126
 .170
 تارودانت .40 - 65 - 68 - 91 - 93
 .196 - 124 - 99
 - 47 - 40 - 36 - 34 - 33 - 30 - 29
 .176 - 141 - 79 - 62
 تاقرطاس .42
 تافيلالت .21 - 38 - 42 - 102 - 120
 .187 - 170 - 149 - 147 - 142 - 141
 .188
 تامسنا .104
 تامصلوحت .191
 تامكورت .62
 تاوريرت .29
 تطاوين .36 - 47 - 57 - 69 - 84 - 115
 .150 - 146 - 155 - 165 - 189
 .197
 تغالين .80
 تلمسان .20 - 21 - 23 - 25 - 38 - 39
 .65 - 59 - 87 - 89 - 101
 تونس .135
- البريجة .78
 بسكرة .101
 بسيط أدخسان .135 - 80 - 70
 بسيط أزغار .105 - 51
 بستان المسرة .43 - 102
 بستيون باب الجيسة .35
 بسيط أنكاد .62 - 61 - 31 - 20
 بسيط تريفة .62
 بسيط زبيدة .168
 بسيط سايس .179 - 66
 بسيط النخلة .187
 بطون الرمان .36
 بغداد .102
 بلاد البربر .58
 بلاد آيت زينب .64
 بلاد العجريدة .101
 بلاد دكالة .188
 بلاد الحجاز .6
 بلاد الحوز .170 - 188
 بلاد السودان .11
 بلاد السوس .40 - 96 - 125 - 133
 .196
 بلاد الشاوية .39 - 196
 بلاد شرافة .186
 بلاد الشرق .20 - 59 - 64
 بلاد السراقنة .168
 بلاد الصحراء .47
 بلاد الظهراء .43
 بلاد الغرب .45 - 117 - 157 - 178
 بلاد الفحص .169
 بلاد القبلة .51

- جنان حمرية .102 - .147 .

حرف (ح)

الحاجب .144 .

حارة اليهود .64 .

الحجاز .5 - .96 .

الحدبية .92 .

الحرم الإدريسي .149 - .125 - .124 - .123 .

الحرمان الشريفان .96 - .102 .

حصن تابو عصامت .13 .

حصن القسيسات .73 .

الحوز .61 - .183 .

حومة المغاربة .146 .

حومة الصغارين .123 .

حومة كرنيز .149 .

حرف (د)

دار ابن شقراء .35 - .40 .

دار الباشا مساهيل .124 .

دار الباي .90 .

دار العباس .185 .

دار الدبيغ .141 .

دار القيطون .47 .

دمشق .102 .

درعة .13 - .16 - .27 - .89 - .90 - .96 .

دمنات .29 - .168 .

الدوح .146 .

حرف (ر)

رأس الماء .154 - .155 .

تيرزيجي .89 .

تيشيت .58 .

حرف (ث)

الغور الهبطية .115 .

ثنية الكلاوي .60 .

حرف (ج)

الجامع الأخضر .54 .

جامع الأشرف .109 .

جامع الحوت .126 .

جامع القرويين .120 - .39 .

جامع المنصور .196 .

جبال طراة .24 .

جبال فازاز .78 - .66 .

جبال مسفية .168 .

الجبل .160 .

جبل آصررو .29 .

جبل بني عياش .17 .

جبل درن .68 - .60 .

جبل راشد .21 .

جبل الزبيب .153 - .162 .

جبل ساغور .60 .

جبل طارق .93 .

جبل العياشي .66 - .68 .

الجديدة .63 - .176 - .185 .

الجزائر .21 - .22 - .25 - .26 - .27 - .38 .

جزاء بن عامر .126 .

جلق .38 .

- رباط الفتح . ١١٣ - ١٧٠ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ . ١٩٧
 رفادة . ٦٢
 رومة . ١٠٢
 الرياض . ٥٢
 الريف . ٣٢ - ٣٤ - ٦٤ - ١٦٠
 الزاوية . ٣٨
 زاوية أهل الدلاء . ٢٩ - ٣٦ - ٥٧ - ٧٠
 زاوية أهل المخفة . ١٩
 زاوية الدلائية . ١٠٩
 زاوية زرهون . ٩٨ - ٩٩ - ١٤١
 زاوية سيدى مغيث . ١١٤
 زاوية الشيخ رحال الكوش . ٦٠
 زيلة . ٥١
 زرهون . ٩٠ - ١٣٣ - ١٣٧ - ١٤٢ - ١٨١
 حرف (ش)
 الشام . ١٣٥
 شرشال . ٦٥
 الشرق . ٢٧ - ٨٩ - ٩٠ - ١٠١
 الشط . ٤٣
 شنكيط . ٥٨
 حرف (ص)
 الصحراء . ١٦ - ١٧ - ٢٠ - ٥٤ - ٥٣ - ٥١ - ٦٠
 صحراء السوس . ٥٨
 صفرو . ٧ - ٦٨ - ١٤٢ - ١٣٧ - ١٤٤ - ١٤٣ - ١٤٧
 طاطعا . ١٥٤ - ١٩٠
 حرف (ض)
 ضريح أبي بكر بن العربي . ١٩٠
 ضريح الشيخ أبي شعيب . ١٨٥
 حرف (ط)
 طاطعا . ٥٨
 الطالعة بسلا . ١١٤
 طريق الفايجة . ٦٠
 طنجة . ٩ - ١١ - ٢٩ - ٤٢ - ٦١ - ١١٥ - ١٣٤
 سلا . ١٦ - ١١٣ - ١١٠ - ١٠٨ - ٥٧ - ٤٢ - ١٦٣ - ١٦٢ - ١٥٥ - ١٥٤ - ١٥١ - ١٥٠ - ١٧٩ - ١٧٨ - ١٧٠ - ١٦٩ - ١٦٦ - ١٦٥ - ١٩٧ - ١٨٩ - ١٨٨ - ١٣٥ - ١١٥ - ٦١ - ٤٢ - ٢٩ - ١١ - ٩
 ظهر الرملة . ١٩
 حرف (ظ)
 السودان . ١٣٥ - ١٠١ - ٥٨
 السوس . ٥٣ - ٦٤ - ٤١ - ٢٨ - ١٥ - ١٤ - ٩١ - ٩٠ - ٨٩ - ٦٩ - ٦٥ - ٦٤ - ٥٣

- 127 . 125 . 124 . 122 . 121 . 120
 - 143 . 142 . 141 . 137 . 133 . 130
 - 151 . 149 . 148 . 147 . 146 . 145
 . 157 . 156 . 155 . 154 . 152
 - 35 . 34 . 27 . 20 . 19 .
ناس الجديد 115 . 102 . 80 . 77 . 74 .
 - 91 . 78 . 52 . 51 . 48 . 45 . 40
 - 134 . 133 . 132 . 131 . 126 . 118
 - 154 . 148 . 147 . 143 . 141 . 137
 . 187 . 179 . 177 . 175 . 158 . 156
 فركلة 17
 زيارة 42
 فندق التجارين 177
- حرف (ج)**
- القبلة 52 . 58 . 59
 القرويين 48 . 44
 القدسية 102 . 87
 قصبة آensem 169 . 170
 القصبة 42 . 49 . 49 . 54 . 54
 قصبة أبي الأعوان 168
 . 171 . 170 . 143 . 142 .
 قصبة أبي فكران 142 .
 قصبة آدحسان 57
 قصبة آكرياي 112
 قصبة أمراء 99
 القصبة الجديدة 41
 قصبة الخميس 42 . 63
 القصبة القديمة 49 . 146
 قصبة مراكش 195
 قصبة وادي الزم 151 . 152
القصر 61 . 117 . 124 . 153 . 178
 . 197 . 179
- حروف (ع)
- عدوة الأندلس 7 . 35
 العدوتان 113 . 194 . 197 .
 عدوة القرويين 7
 العرائش 73 . 77 . 80 . 102 . 115
 . 178 . 197 .
 عرصبة ابن صالح 41
 العusal 160
 العusal 160
 عقبة بهت 91
 الملو 113 .
 عين أصرو 66
 عين شوعة 80
 عين قرواش 164 .
 عين المروح 66
 عين ماضي 21 . 23 .
 العيون 62
- حروف (خ)**
- الغازول 21 . 23 .
 الغرب 10 . 17 . 16 . 18 . 36 .
 غرناطة 8 . 10 .
- حروف (ف)**
- فازاز 36 . 79 . 135
ناس 7 . 29 . 28 . 20 . 19 . 16 . 8 .
 . 38 . 37 . 36 . 35 . 34 . 33 . 30
 . 47 . 45 . 44 . 43 . 42 . 41 . 39
 . 60 . 57 . 54 . 53 . 52 . 50 . 48
 . 88 . 87 . 79 . 69 . 64 . 63 . 61
 . 105 . 104 . 98 . 96 . 94 . 91 . 90
 . 119 . 118 . 116 . 113 . 110 . 109

- القصر الأخضر .195
 قصر البديع .93
 قصر بني عثمان .17
 قصر بني مطير .80
 القصر الجديد .7
 قصر حليمة .17
 قصر حمو بن بكة .101
 قصر السوق .17
 قصر كتابة .27
 قطر السوسن .97
 القطر السوسي .13 - .196
 قلعة آصرو .66
 قلعة تابوست .68
 قلعة تقالين .81
 قلعة الفصامي .68
 قلعة حين اللوح .66
 قلعة مكتامة .55
 قلعة المهدومة .63
 قطرة اليروج .135
 قطرة الرصيف .40 - .126
 قطرة نهر سبو .34 - .39
 القوية .59
 القيروان .159
حروف (ك)
 كدية تامزيرت .161
 الكور .62
حروف (م)
 المحلة .101
 المدائن .102
 مدرسة الشراطين .41
- مدشر بني إبراهيم .5
 مدينة الرياض .133
 مراكش .38 - .41 - .42 - .43 - .45 - .46 - .49
 .50 - .51 - .52 - .53 - .55 - .58 - .65 - .78
 .91 - .93 - .97 - .99 - .104
 .109 - .113 - .137 - .150 - .151 - .169
 .170 - .181 - .182 - .183 - .184 - .188
 .190 - .193 - .194 - .195 - .196 - .197
 مرسى أصيلا .189
 مستغانم .23
 المسجد الأعظم .49
 مسجد بريمة .196
 مسجد الشيخ أبي عبد الله محمد بن صالح .41
 مسجد القصبة .54
 المشرق .88 - .96 - .97
 مشروع الرملة .57 - .71 - .78 - .96 - .134
 .136 - .153 - .154 - .155 - .166 - .167
 .175 - .191 - .192
 مشروع السجاجز .197
 مشور قاس الجيد .66
 مصر .97 - .100 - .102 - .135
 المعادى .134
 معسكر .89
 المعمورة .63
 المغرب .4 - .5 - .6 - .7 - .8 - .12 - .13 - .15
 .20 - .32 - .34 - .38 - .49 - .57 - .59 - .63 - .71 - .77 - .78
 .81 - .88 - .89 - .92 - .97 - .102 - .103 - .107 - .108 - .120 - .124 - .146
 .159 - .191

| | |
|---|---|
| حرف (و) | |
| وادي أرضم .105 | .41 - .79 |
| وادي الزات .169 | .21 - .48 |
| وادي أم الريبيع .140 | .46 - .45 - .36 - .35 - .16 |
| وادي بهت .119 | .57 - .56 - .55 - .54 - .52 - .49 - .48 - .47 |
| وادي تاشكريات .68 | .68 - .67 - .66 - .64 - .63 - .61 - .60 - .58 - .98 - .94 - .90 - .78 - .74 - .70 - .69 - .118 - .114 - .112 - .107 - .104 - .102 |
| وادي نافتا .60 | .125 - .124 - .123 - .122 - .121 - .119 - .135 - .134 - .133 - .131 - .130 - .129 |
| وادي زيز .87 | .141 - .140 - .139 - .138 - .137 - .136 |
| وادي سبو .163 | .148 - .147 - .145 - .144 - .143 - .142 - .154 - .153 - .152 - .151 - .150 - .149 |
| وادي سكور .68 | .167 - .166 - .164 - .157 - .156 - .155 |
| وادي شلف .59 | .183 - .182 - .181 - .180 - .173 - .170 - .192 - .187 - .186 - .184 |
| وادي صا .9 | |
| وادي العيبد .80 | |
| وادي عروس .70 | |
| وادي فاس .42 - .36 | |
| وادي كجي .169 | |
| وادي كيكو .68 | |
| وادي مرون .62 | |
| وادي ملوبة .144 | |
| وادي نول .136 - .137 - .136 - .94 | |
| وادي ورغة .164 | |
| وادي ويسلن .147 | |
| واسط .173 | |
| وجدة .20 - .20 | |
| 61 - .60 - .51 - .31 - .23 - .21 - .21 - .99 - .97 - .96 - .62 - .وجه عروس .57 - .191 | |
| ورفة .42 | |
| وطن غربس .17 | |
| حرف (ن) | |
| ناحية أكديج .11 | |
| نجد .24 | |
| نهر ملوبة .16 - .68 | |
| النيل .101 - .195 | |
| حرف (ه) | |
| بنبع التخل .5 - .4 | |
| هـ | .176 |